بيار روفايل

ظلمتني يا قلبي



دار الجيل
بيروت

ظلمتني يا قلبي

هذه القصة...

هي قصة القلب المتمرّد الثائر الجموح، الذي يحب ويهوى، ويأبى ان ينصاع لنصائح العقل والارشاد، فيتعذّب ويتألم ويشقى

«ظلمتني يا قلبي» قصة الفراشة التي تحوم حول السراج مندفعةً نحو النور لتحترق بالنار. انها قصة الشمعة التي تذوب لتضيء ارجاء الظلام. قصة الوردة التي تجود بعبيرها لتعطّر الاجواء، فتذبل وتذوي وتفنى.

انها قصة فتاة حسناء ظلمها قلبها، فوقفت امام نور الشمس تائهةً هائمةً، مثخنةً بالجراح، هاتفة بصوت مروّع رهيب: «لقد ظلمتني يا قلبي، ظلمتني يا قلبي».

«ظلمتني يا قلبي» قصة الاديب المعروف بيار روفايل، الجديدة، التي كتبها بأسلوبه الشيّق السلس الرشيق، ساكباً عليها، نوراً من الحقيقة، وناراً من الحب، ووشاحاً من العاطفة والشعور.

و «دار الجيل» إذ تصدر هذه القصة الرائعة، تتمنّى ان تلقى لدى قرائها الاعزاء ما لقيت جميع قصص بيار روفايل من الاعجاب والازدهار والرواج.

تليجرام

هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون





ظلمتيني يا قلبي

بيار روفايل

ظلمتني يا قلبي

دار الجيل

بيروت


تليجرام : هنا سور الأزبكية
أكبر مكتبة رقمية

مُقــدّمة

ما أكثر القلوب الظالمة، وما أكثر القلوب المظلومة في هذه الحياة.

وما قصة «ظلمتني يا قلبي» سوى احدى مآسي هذه القلوب الظالمة والمظلومة.

وما دام هناك حب وهوى وعاطفة وشعور في هذه الحياة، فستظل قلوب البشر غارقة في الدموع، سائرة في دروب العذاب.

فكأن الحب والعذاب صنوان لا يفترقان.

وكأنه كتب على الانسان الذي يحب ان يتعذب ويتألم ويبكي كلما غمرت قلبه عواصف الهوى، وكلما عصفت في حنايا روحه رياح الشوق والحنين.

القلوب المتحجرة البعيدة كل البعد عن العاطفة والشعور، هي وحدها القلوب التي لا تعرف الدموع ولا تكتوي بنار العذاب.

فهنيئاً إذن للقلوب الظالمة وللقلوب المظلومة بعذابها وبدموعها لأنها تشعر وتحس وتحن وتشتاق.

إلى تلك القلوب المعذبة،
الى كل قلب ظالم،
الى كل قلب مظلوم،
أهدي هذه القصة.

بيار روفايل

الفصل الأول

- ١ -

الغابة الخضراء الجاثمة في سفح جبل شامخ من جبال شمال لبنان في سكون هادىء عميق بعيد.

فما هناك سوى حفيف أوراق الأشجار الخضراء تتمايل بين ايدي النسيم الفواح الاريج على نغمات العصافير التي تنتقل فوق الاغصان الخضراء على تيه واعتزاز.

وتسكب شمس الصيف الملتهبة، ثوبها الذهبي على اشجار الغابة الخضراء، فتموج أغصانها وكأنها مغموسة بالشعاع، وتتسلل خيوط الشمس من خلال الاغصان المتعانقة الى قلب الغابة لتغمر أرجاءها بالضياء..

وفجأة تعالى صوت رخيم شجي بالغناء:

« قالوا ابعدي بتنسيه وبتنسي هواه
وبتستريحي من عذابو ومن شقاه
قالوا ابعدي، والبعد بيخلي الجريح
ينسى جروحاتو ويعود لغناه »

وتعالى الصوت الشجي الرخيم يملأ الفضاء، فتردده الجبال والوديان في اعالي جبال الشمال من لبنان، وتعيده صدى بعيد المدى، رحيب الرؤى عميق الخيال.

وسكتت العصافير لتستمع الى الصوت الشجي، وترنحت الاغصان، وتمايلت كأنها سكرت بذلك الصوت العذب الحنون.

والاغنية للمطربة فيروز، أما الصوت فهو صوت فتاة رائعة الجمال، طرية العود، ندية الشباب، وقد جلست تحت اشجار الصنوبر الباسقة، الدائمة الاخضرار، العالية الاغصان، المرتفعة الرؤوس، كأنها تريد الوصول الى فوق، الى الغمام لتخترق ذلك النسيج الازرق البعيد المدى المجهول الحدود.

وجلس قرب الفتاة الشادية عدد من الفتيات، وكلهن في عمرها الندي العاطر الفواح.

وكن في نشوة سحيقة عارمة عامرة، وصوت رفيقتهن سعاد عبود ينسكب في آذانهن كالجدول العذب في الروض الرحيب أيام الصيف المحرق اللهاب.

ورددن بعد كل مقطع من الاغنية «آه يا سعاد آه..»

وشاركنها في الغناء، وقد اسكرهن الصوت الشجي.

ولاح منهن انهن في انطلاقة بعيدة المدى، وحرية فسيحة الارجاء، فالطبيعة فتحت لهن ذراعيها، وليس ثمة عين تقع عليهن. ما هناك سوى الصخور والطيور والزهور والاشجار.

وماجت الفرحة في عيونهن، وانطلقت السعادة مع كل كلمة من شفاههن النضرة الحمراء.

وأكملت سعاد عبود الغناء:

«وبعدت عامطرح هني كله أمان

وقلت بدي شيل من قلبي الحنان

وأرجع مثلما كنت غني من زمان
لا عاشقة ولا أسهر وأركض وراه.. »

وشعت الابتسامات على الثغور وهن يرددن: «لا عاشقة ولا أسهر وأركض وراه» فكأنهن يحسسن الكلمات ويشعرن بالسعادة والغبطة والهناء. كأنهن استعدن كبرياءهن وقد «شالت كل واحدة من قلبها الحنان» وأصبحت «لا عاشقة ولا تسهر وتركض وراه».

وازدادت الابتسامة ضياء في الثغور، وقد انتقلت سعاد الى مقطع آخر من الاغنية:

«بعدنا خلاص لازم نلملم هالدموع
ومن قلبنا نمحي المحبة والولوع
شرقت الشمس كثير حلوة بهالربوع
وغنى على شباكنا البلبل غناه»

وشعرن بلذة الانتصار، انتصار المرأة على قلبها وعلى عاطفتها، على حبيبها الممعن في تعذيبها واثخان قلبها بالجراح، وكأن كل واحدة منهن «محت من قلبها الولوع.. ولملمت الدموع.. وغنى على شباكها البلبل غناه».

وصفت الفرحة في قلوبهن، وشعت الابتسامة منورة على الثغور، وتركن للنسيم العليل اليد، يعبث بثيابهن وبشعرهن، وبصدورهن وبخدودهن الجملة. الا أن فرحتهن لم تدم طويلا، ولا سعادتهن طالت كما كنَّ يتمنين. فقد انتقلت سعاد الى مقطع آخر من الاغنية:

«لا القلب ناسي ولا الدموع مكفكفة

ولا الشوق خف ولا بتهدا العاطفة
والعمر ناقص هون. شو.. مش عارفة
وسمعت صوت بعيد. وعرفتو نداه.. »

وأحسَسْنَ بالخطر، فقد باءت المحاولة، محاولة التمرد على القلب بالفشل الذريع. لم تقوَ العاشقة على النسيان. قلبها تمرد عليها، ولم يستطع البعاد أن يمحو صورة الحبيب من ذلك القلب، فسمعت نداءه آتياً إليها من بعيد، من الغيب المجهول القرار، من حيث لا تعلم ولا تدري، من اعمق اعماق الحب العميق السحيق. انه الحب، الحنين، الشوق، الهوى.. يتمرد على كل عاطفة في قلب الانسان فيثور. ويعصف ويحطم كل ما يقع في طريقه من نوايا ورغبات وأهواء.

وتدحرجت الدموع على خدود الصبايا، وقد سمعن رفيقتهن سعاد عبود تشرح قصتها من خلال كلمات الاغنية.

وهاجت العاطفة العاتية في قلوبهن، وكأن قصة تلك الاغنية هي قصة كل واحدة منهن، وكل واحدة منهن عاشقة متيمة، أحبت، وتمردت، وأخفقت في التغلب على قلبها الثائر الولوع.

وتذكرت كل واحدة منهن قصتها مع الحبيب وسعاد عبود تغني المقطع الاخير من الاغنية:

« ولك راجعة وحياة عينو راجعة
والقلب عميسأل وعيني دامعة
ولك راجعة أوقف عابابو خاشعة
إستغفرو عن غيبتي واطلب رضاه »

وتعالى البكاء، ومسحت الصبايا دموعهن والصوت الشجي ينسكب في أذانهن.

ورثين لحال تلك البائسة التي غلبها قلبها، وقهرها فأذلها وأعادها الى الحبيب صاغرة كسيرة الخاطر «تستغفر وتطلب رضاه» وهن لا يجهلن أن حالها هي حال كل واحدة منهن تحاول التمرد على قلبها واعلان العصيان، الا أن ذلك القلب الثائر الغضوب يمعن في اذلالها وتحطيم ارادتها وغمر روحها بالدموع وبالجراح.

وشاركتهن سعاد سكب الدموع، وقلبها مثل قلوبهن، لم يكن خالياً، ولا بعيداً عن الحب والهوى والغرام.

وسعاد ابنة ثري كبير معروف، هو ناصر عبود، صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني القائم من العاصمة اللبنانية في الصميم، وهو يملك مزرعة شاسعة واسعة في اعالي جبال الشمال حيث جمال الطبيعة يظهر بأجلى معانيه وأروع آياته.

ولم يجد الله على صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني بسوى ابنته سعاد. فالله، سبحانه وتعالى، وهبه الثروة الضخمة، والجاه العريض، والمقام الرفيع الا أنه حرمه من البنين. ما هناك في دار ناصر عبود سوى فتاة واحدة هي ابنته سعاد.

واكتفى ابو سعاد، واكتفت زوجته ام سعاد، من الدنيا بسعاد، سعاد في نظر ناصر عبود وزوجته أفضل من فتيان الارض. انها تساوي لديها الدنيا بأسرها.

وحرص ناصر عبود على تثقيف ابنته سعاد فأدخلها الى معهد

كبير، ثم انتقل بها الى الجامعة. وتخرجت سعاد من الجامعة حاملة براءة عالية تنطق بتفوقها وذكائها.

وبدأ والدها ووالدتها يستعدان للفرحة العامرة، الفرحة بزواج سعاد.

والطامعون بالحسن والجمال والثقافة في سعاد عبود كانوا كثيرين، وأكثر منهم الطامعون في ثروة والدها الكبيرة، وهم لا يجهلون ان ثروة ناصر عبود ستنتقل الى كريمته سعاد، بعد عمر طويل.

الا ان ناصراً وزوجته كانا قد اختارا عريساً لابنتهما سعاد والعريس ذاك لم يكن غريباً عنها. انه ابن عمها جهاد عبود.

وجهاد شاب في عمر سعاد، يرتع في ثقافة متوسطة قضى شطراً كبيراً من حياته في المعاهد للوصول اليها. فلم يكن من الذكاء في المقام الذي يؤهله للوصول الى الثقافة العالية، هذا فضلا عن أنه كان كسولا يعدو وراء اللهو والعربدة والمجون.

وكان عمه ناصر عبود يأمل ان يرث ماجد أمواله، وقد تزوج من سعاد... أموال آل عبود ستظل لآل عبود. لن تنتقل الى غريب. بهذا كان يفكر ناصر وزوجته.

أما ابنتهما سعاد فلم تكن لتفكر بالزواج، فهي تريد أن تقضي العمر في أحلامها الزاهية وأمالها العذاب، تريد أن تنعم بما وهبها الله، والله عز وجل، لم يبخل عليها بشيء، فهو قد وهبها المال والجمال والذكاء، ولم يبخل عليها حتى بشجي الصوت.

وكلما خلت سعاد عبود بنفسها تطلق صوتها فتسكر بشجوه وتنتشي بصفائه. ويوم كانت في المدرسة كانت في طليعة المنشدات، فذاع اسمها بين الطالبات، واحتلت من فرقة المنشدات المقام الاول.

وكانت المعلمات، ورفيقاتها الطالبات يطلبن اليها في كل نزهة، وفي كل عطلة الغناء، فلا تبخل عليهن بما وهبها الله، وينطلق صوتها الرخيم منسكباً في آذانهن على دفقة من عطر وروعة من جمال.

وبعد أن تركت مقاعد الدروس، استمرت في إطلاق العنان لصوتها الشجي،

وعلم والدها بالامر، علم ان ابنته تطلق لصوتها العنان فغضب: ليس لمسعاد ان تغني، وأن تجود بصوتها على السامعين وهي ابنة صاحب المصرف الكبير ناصر عبود. سعاد يجب ان تتربع من الرصانة والوقار في أعلى مقام.

ودعاها اليه يؤنبها متسائلا: جاءني انك تغنين وتسمعين رفيقاتك شجي الغناء، أيكون ما جاءني صحيحاً يا سعاد؟

فابتسمت سعاد،

وتمتمت: ما جاءك صحيح يا والدي، فأنا ما تعودت الكذب، لم تكن ابنتك سعاد لتنكر ما اقدمت عليه.

فقطب صاحب مصرف الاقتصاد جبينه وهمس: لا أريدك على التهور في البذل يا ابنتي انت ابنة ناصر عبود - وعليك ان

تحافظي على اسم والدك وسمعته ومقامه محافظتك على المهجة والروح.

قالت: وهل لاح لوالدي انني أتهاون في المحافظة على السمعة والاسم والمقام؟.

قال: انصرافك الى الغناء أمام رفيقاتك ورفاقك يخدش سمعتنا يا سعاد، ويحط من مقامنا لم يسبق ان ظهر في اسرتنا مغنون ولا مطربون ولا مطربات، وفي انصرافك الى الغناء على مسمع من الناس يسيء الينا. أريدك أن تنقطعي عن الغناء.

فهمست بدهشة واستغراب: أتكون موهبة الصوت الشجي التي يجود بها الله على انسان عيباً ومذلة يا والدي الحبيب؟

فأمسك بيدها ليقول: اسمعي يا ابنتي، انت مرشحة للزواج وابن عمك جهاد يقيم على انتظار يوم العرس الميمون السعيد. زفافك من جهاد ليس ببعيد المدى، وعليك ان تلتزمي الرصانة.. وتتربعي من الوقار في اعلى مقام.

قالت بخبث ودهاء: ولكنني لم استشر في امر الزواج من جهاد، ويخيل الي ان لرأيي المقام الاول في هذه الخطوة الخطيرة التي سأقدم عليها يا والدي العزيز.

قال: وهل لك أن تنقضي حكماً أصدره ابوك يا سعاد...

قالت: الحكم الذي يصدره والدي على الرأس والعين. ما يقوله ابي مقدس لدي، غير أن موضوع الزواج، موضوع هام خطير، وأرى ان يكون لي فيه رأي، ان لم يكن أبعد واعمق من رأي والدي العزيز فهو في مقامه على الأقل.

فتقدم منها يضمها الى صدره، ويلثم جبينها، متمتماً: سيكون رأيك في المقام الاول يا ابنتي، انا لم اختر جهاداً ابن عمك عريساً لك، الا لأضمن مستقبلك ومستقبله، واوفر لكما السعادة الوارفة الظلال، وليس لي من أمل في هذه الحياة الا أن اراكما زوجين سعيدين يغرد في دارتكما العامرة أحفادي فاسعد بهم وبكما السعادة الهانئة المخضلة الجناح.

وصمتت سعاد،

وأبت ان تقول: «لا»... «فتصدم والدها في اعز امانيه، وهي تعلم ان رفضها سيكون صدمة عنيفة له، فآثرت الصمت على الكلام، تاركة للأيام المقبلة فض المعضلة، والايام لم تكن يوماً الا لتفض المشاكل والمعضلات.

وخيل لوالدها ان الصمت معناه الموافقة، فعاد الى تقبيلها قبلات الابوة والحنان.

وانصرف عنها ليدعو ابن اخيه جهاداً، ويطلعه على النبأ المفرح السار وقال: البشرى لك يا جهاد. لقد تم الاتفاق مع سعاد على ان تزف اليك.

فهلل جهاد عبود للنبأ المفرح السار، وهو يعلم أية ثروة ستحمل له ابنة عمه سعاد، وأي مستقبل زاهر زاه سعيد ينتظره بعد زواجه منها، وهو لا يهدف من وراء الزواج من سعاد الا الى الوصول إلى الثروة الطائلة الرابضة في مصرف الاقتصاد اللبناني.

وراح يحلم بالغد السعيد، وقد شاهد نفسه، بعين الخيال، يدير مصرف عمه، بعد ان يصبح زوج ابنته سعاد، فيغرف من صندوق

المصرف المال الوفير، وينفق من تلك الاموال كما يحلو له الانفاق.

وجهاد يتيم الاب، مات والده منذ امد بعيد تاركاً له ثروة متوسطة، لا هي بالثروة الكبيرة ولا هي بالمال القليل.

الا ان تلك الثروة التي ورثها عن والده كانت تستطيع ان تفتح امامه باب المستقبل الهانىء الرغيد لو أنه أحسن استثمارها، الا أن جهاداً راح يبذر الميراث، ويسرف في الانفاق دون حساب.

فانفق حصته من الثروة على الموائد الخضراء، وفي النوادي والملاهي وسلمت حصة امه من الميراث، الا انه راح يمد اليد من حين الى آخر، الى مال امه، فأنبرت الام محاولة صون ما بقي لها من ميراث زوجها ليوم الضيق، وقد ايقنت ان ذلك اليوم سيطل عليها ما دام ابنها ممعناً في التبذير والانفاق.

وكان الخلاف بينها وبين ابنها جهاد دائم النشوب فهما ابداً على مناقشة حادة وخلاف شديد.

وكانت المناقشة تنتهي دائماً بحصول جهاد على ما يريد، او على بعض ما يريد من المال.

وتبرم جهاد عبود بأمه،

الا أن تبرمه بتلك الام البائسة لم يطل،

فقد توفيت امه لاحقة بوالده الى العالم الآخر، تاركة لابنها المقامر السكير ما بقي من ثروتها، وما بقي من تلك الثروة سوى القليل القليل.

وانفق جهاد كل ما تركت له امه، كما انفق ما ترك له ابوه،.

ووقع في أزمة مالية خانقة، فراح يستدين حيناً، ويبيع أحياناً

بعض الاثاث والتحف والرياش في داره.

وعندما أعلن له عمه نبأ قرب زواجه من سعاد طرب جهاد عبود وهلل.

وابتسم وعمه يعلن له عزمه على ان يجعل منه صهراً عزيزاً، وادرك أن الحظ ابتسم له بعد طويل العبوس، فالثروة ستتدفق بين يديه، وهي ثروة ضخمة، أين منها تلك الثروة المتواضعة التي تركها له ابوه الراحل الى العالم الآخر.

وانحنى جهاد على يد عمه يقبلها بفرحة وابتهاج، ويتمتم: ان اغلى اماني العذاب هي الزواج من سعاد يا عمي.

فهمس ناصر عبود، مبتسماً: أتحبها يا جهاد؟

وأجاب جهاد: احبها يا عمي حباً عظيماً، وكنت قد عزمت على أن أتقدم منك طالباً يدها، الا انني خشيت رفض الطلب، فتريثت وكنت وما زلت أقضي الليالي ساهراً أناجي طيفها الحبيب.

واسترسل جهاد في وصف غرامه المزيف،

فارتاح ناصر عبود كل الارتياح لتلك العاطفة الملتهبة في قلب ابن اخيه: اذن زواج جهاد من سعاد سيكون زواجاً موفقاً سعيداً، ما دام ثمة عشق وحب وهيام.

وتمتم صاحب مصرف الاقتصاد سائلا ابن اخيه: وهل بحت لسعاد بحبك يا خبيث.؟

قال: لا، وحياتك يا عمي لم أبح لها بشيء حاولت البوح بما في قلبي فخانتني الجرأة، واستحكم بي الخجل، فلم اجرؤ على الكلام

وانا لا أجهل أية رصانة تتربع عليها ابنة عمي.

فلمعت الابتسامة الهانئة على شفتي ناصر عبود ليقول: إذهب اليها الآن، ايها الجبان وبح لها بكل ما يختلج في قلبك.

فتمتم جهاد: ولكنني اخشى ان تردني خائباً يا عمي.

فهمس العم: انت الان خطيبها، لا تخشَ الفشل، قد يكون بها ما بك من شوق وحب وحنين.

ودفعه اليها دفعاً، فهو يريد ان يضرم النار في القلبين، قلب ابنته، وقلب ابن اخيه ليكون زواجهما موفقاً ميموناً سعيداً.

ووثب جهاد الى ابنة عمه، والفرحة تملأ قلبه.

وأمسك بيدها يشدها متمتماً: سعاد!.. سعاد!.. ووجمت سعاد عبود وابن عمها جهاد يشد يدها على حرارة واشتياق.

وادركت ان العاصفة العاتية الهوجاء قريبة البزوغ فتمتمت بنفور: ماذا تريد يا جهاد؟.

قال فوراً، ودون مقدمات: احبك يا سعاد.

فاشتد الوجوم بها، وابتعدت عنه، الا انه لحق بها متسائلاً: هل تحبينني يا سعاد.؟

فقلقت، وقد ادركت ان والدها اطلع ابن اخيه على «مشروعه».

وهمست: احبك مثلما احب أخاً، احبك حب الاخت لأخيها يا جهاد.

قال: أليس في قلبك عاطفة غير عاطفة الاخوة؟

قالت، وهي تحاول الابتعاد عنه: عاطفة الاخوة اسمى العواطف وانبلها يا ابن عمي.

فسكت على مضض، وقد ادرك انها تحاول التملص من الجواب.

وأيقن انها لا تحبه، والا فما معنى المراوغة والتضليل؟ وماذا يثنيها عن البوح بما في قلبها لو انها تكن له نذراً قليلا من العاطفة والشوق والحنين؟

وجهاد خبير في قلوب النساء.

فهو قد خبر ابنة حواء، واطلع على خفايا قلبها، وهو لا يجهل خبثها ولا هو ببعيد عن مكرها وخدعها، وقد تنقل من حب الى حب، ومن واحدة الى واحدة الى واحدة. وكان له مع كل واحدة فصول من الحب والهوى دامية مؤلمة مخضبة بالدمع والدم.

ورأى ان يعمد الى الحيلة مع سعاد ليظفر بها، بها هي وليس بقلبها، وهو لا يهمه الوصول الى القلب، بقدر ما يهمه الوصول الى المال، وهو ما رغب في الحصول على سعاد الا ليصل الى ما في مصرف والدها من الذهب.

انه يريد ان يتزوج من سعاد ليستولي على مالها. أما الحب فهو شيء تافه ليس لجهاد عبود ان يسعى اليه في قلب سعاد وعنده عشرات النساء، وكل واحدة منهن تحفظ له في قلبها الحب وفسيح الغرام.

وتمتم جهاد على مسمع من سعاد: سعاد!.. ابنة عمي!.. انني لاحبك حباً يختلف عن حبك اياي، انني لغارق في حبك، متيم في

هواك يا ابنة عمي.

فابتسمت ابتسامة واهية صفراء، كأنها تقول من خلالها: كاذب محتال.

وادرك ما ترمي اليه ابتسامتها اللاذعة اللاسعة فتجاهل مرماها واكمل حديثه،

قال: طلبت يدك من عمي فوافق على طلبي، انني لأنتظر ان اسمع منك كلمة الموافقة لتكتمل فرحتي.

فأدركت انه كاذب في ما يعلن ويقول، فهو لم يطلب يدها من والدها، ولا هو يجرؤ على مصارحة عمه بمثل هذا الطلب. والدها دعاه اليه واطلعه على قراره، وهو القرار الذي اطلعها هي أيضاً عليه.

واستغرقت في صمت بارد طويل عميق،

فعاد جهاد الى السؤال: ما هو رأيك انت في ما طلبت يا سعاد؟.

قالت: ليس لي رأي أبديه يا ابن عمي، رأي والدي هو الرأي الاول والاخير وكلمته هي كلمة الفصل.

فلم يرتَح جهاد عبود لما تبدي سعاد.

وايقن انها ليست راضية عن القرار الذي اتخذه والدها، فاصر على معرفة رأيها الحاسم، وانتزاع كلمة الموافقة من بين شفتيها.

قال متسائلا: انني ارتاح للاستماع الى موافقتك على ما ابداه عمي يا سعاد، فهل لك ان تعلني على مسمعي هذه الموافقة؟.

فصمتت لا تجيب

وبماذا تجيب؟ . .
هل تقول له الحقيقة؟ . .
أتقول له: «ابتعد عني، فأنا لا أحبك، ولا أريدك زوجاً لي؟»

هل تعلن له أن رأيها في الزواج منه يختلف كل الاختلاف عن رأي والدها. وإن يكن والدها قد وافق على زواجه منها، فهي لا ولن توافق على هذا الزواج؟

وطال صمتها. وقد رأى جهاد أن يترك لها مجال التفكير قبل أن تجيب على سؤاله، فلم يهمس بحرف.
وساد الصمت بينهما عميقاً ساجياً بعيد القرار.

وعاد جهاد إلى الكلام، بعد صمت طويل ليسأل: هل أستطيع أن أحلم بالزواج منك يا سعاد؟

فأجابت بخبث ودهاء: لا أنا، ولا أنت نستطيع أن نحقق أحلامنا، ولا أن نعلم ماذا يخبىء لنا المستقبل المجهول، أحلام البشر كالضباب تلوح لنا رائعة فاتنة جميلة، حتى إذا اقتربت منا رأيناها ضباباً يتبدد في مهب الهواء.

قال: يكفيني أن أسمع منك الآن كلمة الموافقة كي أرتاح إلى مستقبل حياتي، وأن أطمئن إلى مصير قلبي المعذب الموجع الولهان.

فأيقنت أنه يخادع وينافق، ويحاول إيهامها بأنه متيم في هواها.
ورأت أن تسلك معه الطريق الذي يسلكه معها وأن تنقده نفس نقوده وتسلمه ما يسلمها من بضاعة مراوغة ومكر واحتيال.

قالت: من يدري ماذا سيحدث لنا، في المستقبل الآتي القريب، قد أموت أنا، وقد تموت أنت وقد تتغير العاطفة في قلبك نحوي، فتنقلب إلى كره وبغض، فتهرب مني، وتأبى الاستماع إلى ذكر اسمي.

فانتفض، متظاهراً بالغضب ليقول: مستحيل. مستحيل، أنا أحبك حباً هائلاً عظيماً يا سعاد. الحب الحقيقي خالد لا يموت ولا يتحول إلى كره وبغض يا ابنة عمي.

قالت: الحب كأوراق الخريف. لا بد له من السقوط. وعندما تتساقط الأوراق تتعرى الأغصان، وكذلك عندما يتساقط الحب يتعرى القلب، وتعصف به ريح الشتاء وتغمره الثلوج الناصعة البياض وتتحول نار الحب فيه إلى صقيع.

فتمتم بمكر ودهاء: هذه أوهام لا صحة لها. الفلاسفة والعلماء يجزمون أن حياة الحب ليس لها نهاية. إنها لتمتد إلى أبعد من حياتنا الأرضية، لأن الحب منبثق عن الروح لا عن الجسد، والروح خالدة لا تموت، وما ينبثق عنها خالد مثلها لا يموت.

وسعاد عبود لم تكن لتشك يوماً بخلود الحب، وهي التي ذاقت من الحب العسل والمر، إلا أنها كانت على يقين من أن ابن عمها جهاد لا يحبها، وأنه ما سعى للزواج منها إلا ليصل إلى ثروتها.

وقلبها ما هفا يوماً إلى جهاد، وقد قيل: «من القلب إلى القلب دليل».

وعادت سعاد عبود إلى الصمت العميق تنغمس فيه.

ورأى جهاد ان ينصرف عنها، وقد ايقن انه لن يستطيع ان ينتزع منها الموافقة على الزواج. لا بأس. فالثمرة لم تنضج بعد، ولا حان موعد قطافها. فلينتظر وليصبر، وقد ظفر من صبر. لا بد لسعاد من ان تقع يوما صريعة هواه، وهو الذي اوقع الكثيرات من الفتيات في حبائله، واستطاع ان يستولي على قلوب الكثيرات. انه لخبير في اجتذاب القلوب، قلوب الحسان الراتعات من الجمال في القمة العالية، وسعاد ابنة عمه لن تستطيع الأفلات، لا بد لها من الوقوع في الشرك، ومن الموافقة على الزواج، ان لم يكن اليوم فغداً، وان لم يكن غد فبعد غد.

وهب انها لم توافق، فعمه، صاحب مصرف الاقتصاد، كفيل باقناعها. واذا لم تمتثل سعاد لنداء قلبها فلا بد لها من الامتثال لاوامر والدها.

وانصرف عنها ليعود اليها في اليوم التالي حاملا باقة من الورد القاني الأحمرار، وهمس متسائلا وهو يلقي بباقة الورد الاحمر بين يديها: هل تعلمين الى ماذا يرمز الورد الاحمر يا سعاد؟.

فتجاهلت هامسة: لا...

قال: انه ليرمز إلى الحب الثائر الطاغي لثائر الملتهب السعير فابتسمت. وتمتمت: شكراً.

وراح يلاطفها ويتودد اليها، فما كانت الا لتزيد نفوراً منه وابتعادا عنه. واخذ يتردد كل يوم الى قصر عمه حاملا لابنة العم الهدايا والعواطف والشعور الا ان سعاد لم تكن لتأبه لا لهداياه ولا لعواطفه.

وانصرف الى مراقبتها ، وقد ايقن ان ثمة حبيبا سبقه الى قلبها وخيل اليه ان سعاد تهيم بأحد شبان بيروت . وحصر التهمة في احد طلاب الجامعة الذي كان يزورها زيارة الزميل للزميلة والرفيق للرفيقة .

وراح جهاد يراقب ذلك الطالب ويتقصى اخباره ، وقد عزم على الانتقام منه الا انه علم ان ذلك الطالب المسكين بعيد عن قلب سعادبعده هو عن قلبها ، وانه يهوى احدى رفيقاتها ولم تكن ابنة عمه سعاد سوى « واسطة خير » بين ذلك الطالب وبين رفيقتها الطالبة .

لقد ظلم ذلك الطالب اذن ، وعليه ان يبحث مجددا عن غريمه وان يجده وينتقم منه .

وعاد الى البحث والى المراقبة . وكلما خرجت سعاد من قصر والدها في محلة رأس بيروت ، كان ابن عمها جهاد في اثرها .

وذلك اليوم ... يوم توجهت سعاد ورفيقاتها الى مزرعة والدها في اعالي جبال لبنان ، لحق بها جهاد .

وعندما جلست سعاد في الغابة الخضراء تنشد لرفيقاتها اغنية « راجعة » كان جهاد عبود يقف بعيدا وراء صخرة ناتئة ، يستمع اليها ، وقلبه على قلق واضطراب ، فكأن ثمة حدثاً مؤلماً قريب البزوغ يهدده بكارثة قاصمة .

وخيل اليه ان ثمة شابا سيوافي ابنة عمه الى تلك الغابة الخضراء الوارفة الظلال .

واقام يرقب مجيء الحبيب المجهول ..

وطال انتظاره دون ان يبين لذلك الحبيب اثر.

وكاد النهار ان ينقضي والصبايا الفاتنات في جلستهن الهانئة ينشدن الاغاني ويتسامرن ويضحكن، ويشاركن الاطيار غناءها، والازهار فرحتها الطلقة الباسمة الزاهية البيضاء.

وقبل ان تتوارى الشمس وراء الافق البعيد بقليل شاهد جهاد عبود شابا يقترب من بعيد مخترقا الغابة، وهو يسير نحو الصبايا المنشدات الفرحات، فكاد قلبه الولوع يقفز من صدره.

وهمس في سره: هذا هو. انه غريمي ومزاحمي على قلب سعاد. الويل ثم الويل له من غضبي وانتقامي.

وراح يراقب ذلك الشاب والنار تعصف بفؤاده.

واقترب الشاب منه دون ان يراه، واجتاز الصخرة الكامن وراءها جهاد.

ووقعت عينا جهاد على الشاب فابتسم، وانطفأت شعلة الغيرة الحمراء المندلعة في فؤاده الولوع.

وهمس في سره: لقد أخطأت التقدير، واعمت الغيرة بصري وبصيرتي مسكينة سعاد. ظلمتها.

فالشاب ذاك كان نبيل الهادي، ابن ابي نبيل وكيل المزرعة، والخادم الامين في مزرعة عمه ناصر عبود.

وشاهد جهاد نبيلا يحمل اغراض الصبايا ومقاعدهن وما بقي في سلالهن من طعام الى سيارة سعاد التي كانت متوقفة على الطريق بالقرب من الغابة، فازداد اطمئنانا: الحمد لله، ثم الحمد لله ليس ثمة حبيب ولا عشيق. ما هناك سوى رفيقات ابنة عمه، وخادمها

الفلاح نبيل الهادي.

واسرع الى سيارته يستقلها قبل ان تقع عليه عين سعاد، ويطير بها الى بيروت، وقد ارتاح، وهدأت هواجس قلبه الثائر الهائم الولوع.

ولم يثبر نبيل الهادي غيرة جهاد عبود، ولا هو اثار في نفسه الشك والظنون، انه الخادم الامين، وهل له ان يتهم سعاد بحب الخادم في مزرعة ابيها؟

الا ان جهادا كان على ضلال. فالخوف كل الخوف كان من ذلك الفتى القروي الذي يقيم على خدمة سعاد ويتفانى في اجابة ما تطلب من خدمات، ولم يكن من غريم لجهاد عبود سوى ذلك الفتى، وليس له من مزاحم على قلبها الا نبيل ابن ابي نبيل.

- ٢ -

سعاد عبود تقيم على هوى ونار.

قلبها يعذبها ويمعن في تعذيبها. لله من هذا القلب الموجع الثائر الاليم.

كلما حاولت تهدئته ازداد ثورة وعصيانا.

وكلما حاولت ردعه عن الاحتراق، اندفع الى النار يكتوي بلهيبها ولا يرتدع.

فهو من الحب كالفراشة من السراج. يجذبه النور، فيندفع الى السراج ويحترق.

وكانت سعاد عبود تتقلب على نار الهوى، وتقتاد الهيام، تحترق ولا تستطيع الكلام، لا تستطيع البوح بما في القلب. وما في القلب هائل مروع مخيف.

وماذا في قلب سعاد عبود؟.

في ذلك القلب هوى نبيل الهادي.

وليس ثمة، من يعلم ماذا في قلب ابنة صاحب مصرف الاقتصاد، حتى نبيل الهادي نفسه لا يعلم ماذا في قلب سيدته سعاد.

فقد تدلهت سعاد عبود في هوى ابن ابي نبيل، واحبته، بكل ما يستطيع قلب ان يحب ويهوى.

لقد احبت سعاد في نبيل الوسامة، والشجاعة، والنبل، والكرامة والشهامة، والجمال.

وكل ما في ذلك الشاب يغري ابنة حواء. فهو طويل القامة، مديدها، عريض المنكبين، حلو الشمائل، عامر الصدر، عميق النظرات.

وهو في مطلع العقد الرابع من العمر، في الخامسة والعشرين. انه في عمر سعاد.

وكانت سعاد عبود تستعين بابن وكيل مزرعة ابيها، نبيل الهادي على قضاء الكثير من حاجاتها، أيام الصيف.

وأيام الصيف تقيم أسرة صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني ناصر عبود، في المزرعة الهادئة الباسمة الخضراء الجاثمة في اعالي جبال لبنان على هنأة وهدوء واطمئنان، فينتقل ناصر عبود، بأسرته مع مطلع كل صيف من بيروت الى المزرعة، ولا تعود الاسرة الى بيروت الا وقد أطلّ فصل الشتاء بثلوجه وبأمطاره وبعواصفه العاتية الهوجاء.

وبالرغم من ان دار ناصر عبود، في المزرعة كانت تضم عدداً من الخدم، فان ابنته سعاد لم تكن لتعهد إلى احد من اولئك الخدم بقضاء حاجاتها ولم تكن لترتاح الا الى نبيل الهادي ابن وكيل المزرعة.

ونبيل لم يكن خادماً، بل هو ابن الوكيل.

وكان مثقفاً نال قسطاً وافراً من العلم.

وكان ينوي ان يدلف الى عاصمة الشمال، الى طرابلس، في اثر وظيفة تضمن له العيش الكريم، الا أن والده الوكيل، منصور الهادي أبى ان يوافق على نزوح ابنه عن تلك القرى الباسمة الخضراء، المنثورة في سفوح ووديان وجبال الشمال الشامخة.

ووثب اليه قائلاً: ليس لنا يا ابني ان نبتعد عن أرضنا المعطاء، فالارض تجود علينا بما نحتاج اليه، وتمدنا بخيراتها الوافرة، وتصون حياتنا من الذل، وكرامتنا من الهوان، ان لكرم الذي نملكه وبستان التفاح الصغير الذي ورثته عن والدي، والبيت القروي الذي نعيش فيه يا ابني، كل هذه الغوالي تشدنا اليها. وليس لنا ان نبتعد عنها.

وحاول نبيل الهادي ان يقنع والده بالنزوح عن القرية، الا انه فشل.

فالوالد أصر على قراره وأبى ان يتراجع عما ابدى واعلن.

وليس لنبيل الهادي ان يتمرد على اوامر والده.

وأقام نبيل الهادي في القرية يساعد والده في حراثة البستان، وتقليم دوالي الكرم، وفي الاشراف على مزرعة صاحب مصرف الاقتصاد أيضاً.

ولعل رغبة ابن الوكيل في مشاهدة ابنة ناصر عبود الآنسة سعاد، طيلة كل صيف اهابت به الى البقاء في القرية، لا سيما وهو يشعر بحنين بعيد وبشوق رحيب الى الآنسة سعاد.

الا انه لم يكن ليأمل ان يصل يوماً الى قلبها ، وهو لا يجهل اية وهدة عميقة الغور ، بعيدة المدى تفصل بينه وبينها ، فهي ابنة صاحب مصرف كبير وصاحب ،زرعة شاسعة، وهو ابن فلاح ووالده وكيل مزرعة ابيها.

وكان نبيل الهادي يرتاح كل الارتياح للقيام بأية خدمة تطلبها منه الآنسة سعاد ، ويقوم بتنفيذ مطالبها فوراً.

ومطالب سعاد عبود كثيرة.

فما يكاد نبيل يقوم بتلبية طلب حتى تبادره بطلب آخر.

– نبيل!.. خذ « فسطاني » الى المصبغة.

– أمرك أيتها الآنسة سعاد.

ويحمل نبيل الثوب ويطير به الى المصبغة في القرية المجاورة.

وما أن يعود بالسلامة ، حتى تبادره سعاد بقولها : نبيل!... اليك بهذه الدراهم، أدلف الى طرابلس واشترِ لي بعض ادوات التجميل أسماء هذه الادوات كتبتها على هذه الورقة.

ويستقل نبيل السيارة ، سيارة المزرعة ، ويطير بها الى طرابلس ليعود بعد ساعات قليلة حاملا للآنسة سعاد ما طلبت من عطور ومراهم ومساحيق.

وقبل ان يرتاح من عناء الرحلة تبتسم له سعاد هامسة: خذ هذه الرسالة الى صديقتي نوال سلهان في القرية المجاورة يا نبيل ، وعد الى بالجواب.

– على الرأس والعين أيها الآنسة سعاد.

ويحمل الرسالة، ويسرع بها الى القرية المجاورة، ثم يعود بالجواب.

ويندفع نبيل الهادي الى تحقيق كل ما تطلب ابنة صاحب المزرعة، ويشعر بلذة فائقة، وهو يقدم للآنسة سعاد الخدمات.

ونبيل نشأ وترعرع في مزرعة ناصر عبود، ووالده كان يستعين به على القيام ببعض الاعمال في المزرعة.

واخلاص والد نبيل منصور الهادي لصاحب المزرعة ناصر عبود كان يضاهي اخلاص ابنه نبيل لابنة صاحب المزرعة.

وذلك الصيف.

صيف عام ١٩٧٠ كان نبيل الهادي، مثل كل صيف ينصرف الى تحقيق كل ما تطلب منه الآنسة سعاد،.

وكان الشوق يزداد اندلاعاً في فؤاده والحنين المضطرم يشتد في قلبه الولوع.

وبدأ الشوق يتحول الى عذاب في فؤاد نبيل الهادي، والحنين ينقلب الى دموع.

وعاد الى التفكير بالنزوح عن القرية ليبتعد عن الانسة سعاد، وفي البعاد عنها السلامة لقلبه والرحة لفؤاده والنجاة من العذاب،

فهو يدرك انه الفراشة، وان سعاد هي السراج، وكلما اقتربت الفراشة من السراج ازداد الخطر، واشتد السعير واصبحت مهددة بالاحتراق.

وحال سعاد لم تكـن افضل من حال نبيل.

فهي تشعر بأن حب هذا الفتى الوسيم الجميل القوي يحرق قلبها.

وتساءلت، وقد آضناها الهوى وأذابها الهيام: أيجوز لي أن أعلن ما في القلب على مسامع نبيل؟ وهل للفتاة أن تكون البادئة في البوح للشاب بما يخالج فؤادها؟.

وأجابت نفسها: لا .. لا، لا يجوز.

ولكن حال سعاد مع نبيل تختلف عن حال جميع الفتيات مع الشبان.

فما نبيل سوى قروي فلاح يعمل مع والده في مزرعة أبيها. هل تنتظر منه ان يكون البادىء في البوح؟

وهل يستطيع نبيل أن يتطاول اليها، الى فوق وهو دونها مقاماً ومالاً.؟

من المؤكد انه لن يجرؤ على ذلك.

وكانت سعاد تشاهد بريق الحب ووميض الهوى والحنين في عيني نبيل الهادي، فتود لو تبوح شفتاه بما يلوح في عينيه.

الا ان املها لم يتحقق.

وشفتا نبيل الهادي لم تهمسا في مسمعها بكلمة واحدة تشير الى ما يضطرم في فؤاده ويشتعل في قلبه.

ورأت ان تنتظر. لا بد من ان يبوح نبيل بما يعاني من شوق ووجد وحنين.

الا ان انتظارها طال دون جدوى.

اذن.. اذن ماذا؟.

اذن عليها ان تكون البادئة في البوح.

وانزوت في غرفتها تفكر:



كيف ستبوح لنبيل بما في قلبها؟ كيف ستبدأ بسرد قصة حبها على مسمعه؟.. هل تقول له: احبك؟..

لا لا، الموت ولا هذه الكلمة.

هل تقول له: انني أتعذب في هواك؟

مستحيل. هذا ما لا يجوز التلفظ به.

ماذا ستقول له؟ وماذا ستفعل؟ وكيف ستتصرف؟.

وانغمست سعاد عبود في تفكيرها السحيق العميق البعيد القرار.

وراحت تبحث عن وسيلة تستطيع بها ان تفتح عيني نبيل الهادي على ما في قلبها من هوى ونار، وهي لا تجهل ان كلمة واحدة منها تجذب نبيلا اليها وتقوده وراءها كما تقاد النعجة الوادعة، ولكنها ضنينة بهذه الكلمة، وفي النطق بها تحطيم كرامتها وانزلاق الى دركات الذل والخنوع.

وطال تفكيرها...

وابتسمت بعد تفكير طويل، وقد اهتدت الى الوسيلة: لن تبوح للشاب الفلاح بحبها، بل هي ستقوده الى البوح. هو سيبوح لها بحبه، ستفتح أمامه الطريق، وما عليه الا أن يسير في ذلك الطريق المعبد.

ورسمت سعاد الخطة الناجحة، وانصرفت الى تنفيذها.

ودعت اليها نبيل الهادي لتقول: نبيل، سأتوجه غداً الى الصيد، وستكون برفقتي انا أجهل أصول الصيد، هل تتقن انت هذه الاصول؟.

فابتسم نبيل الهادي على فخر واعتزاز ليقول: انني اجيد الصيد كل الاجادة أيتها الآنسة سعاد، فأنا لا أخطيء اصابة الهدف، كل طلقة بطريدة.

فابتسمت ابتسامة مكر وخبث ودهاء لتهمس متسائلة: كل طلقة بطريدة؟... مستحيل.

فساءه ان تشك بمقدرته.

قال ألا تصدقين؟ التجربة اكبر برهان، غدا سأبرهن لك من يكون نبيل الهادي في التفوق والابداع في اصطياد الطيور.

قالت: اريدك ان تعلمني الصيد يا نبيل، هذه رياضة تستهويني وأميل الى ممارستها. غداً مع مطلع الفجر البعيد تكون هنا، تحضر لي بندقية ولك بندقية، ونسير معاً الى الاحراج والغابات ونبلغ الى قمة الجبل الشامخ، ولن نعود الا والجعبة ملأى بالطيور.

قال: سأكون عند حسن الظن أيتها الآنسة سعاد.

وانصرف ليهيء معدات الصيد، وانصرفت لتكمل رسم الخطة المضمونة النجاح. حفلة الصيد هذه ستسفر عن اصطياد قلب نبيل الهادي،... نبيل حبيبها ولن يكون لها حبيب سواه.

ومع مطلع فجر اليوم التالي كان نبيل الهادي يشخص الى قصر ناصر عبود ومعه بندقيتان، وجعبة، وابريق ماء، وبعض الطعام، وكلب صيد.

هذه هي المعدات، معدات الصيد.

وأسرعت سعاد اليه، وقد ارتدت ثياب الصيد، قبعة من قش مبسوطة الاطراف، و« بنطلوناً » وحذاء من جلد متين، وقميصاً.

وتمتمت وهي تدلف اليه: تعالَ...

وسارت امامه، فلحق بها.

وسارا صعداً الى قمة الجبل متوغلين في الاحراج والغابات.

وبدأت الطيور تغرد على أغصان الاشجار مستقبلة الصباح بأناشيدها الشجية العذبة المتدفقة على عذوبة وفتنة وصفاء.

وراح نبيل يصوب بندقيته الى تلك الطيور المغردة البريئة ليجندلها. كل طلق يطير، لم يكن ليخطىء الهدف مرة واحدة.

ومرت أسراب الطيور الكبيرة في الفضاء مجنحة هانئة مطمئنة، وقد ارتفعت في الجو بعيدة عن أذى الانسان وناره، الا أن نبيلا كان يصوب بندقيته الى تلك الطيور، ويطلق عليها النار فيهوي الطير المصاب من الاعالي ليقع امام سعاد عبود مضرجاً بدمه.

وأعجبت سعاد بمهارة نبيل في الصيد.

واقتربت منه لتقول: فلنبدأ بالدرس الاول. كيف أمسك بالبندقية يا نبيل؟

وتقدم منها وامسك بيدها الناعمة البضة البيضاء ليرفعها الى البندقية، ويضع عقب البندقية على كتفها، ثم يصوب البندقية الى الهدف هامساً: هكذا تثبتين البندقية الى كتفك، وتمسكين بها وتصوّبينها الى الهدف ايتها الانسة سعاد.

وتطايرت خصلات شعرها على وجهه.

وعبق عطرها الفواح في أنفه فكاد عبيرها يسكره، ويفقده ما بقي من رشده.

ولامست يده يدها، وهو يحاول أن يثبت البندقية على كتفها فاضطرب وخيل اليه أن ما حصل كان صدفة فخجل، وابتعد قليلا عنها، محاذراً لمس يدها مرة ثانية.

الا أن سعاد اقتربت منه والتصقت به.

فذعر نبيل الهادي، وهو يشاهد سعاد تلتصق به،.

وشعر بحنينه يذوب، وبشوقه يتدفق، وبعاطفته تثور في صدره على نار وجوى، فود لو أن سعاد ليست سعاداً، ولو أنها ليست ابنة صاحب المزرعة ناصر عبود. ود لو انها ابنة فلاح من فلاحي القرية الباسمة الخضراء ليستطيع أن يقف قربها موقف الند للند.

لو ان سعاد ابنة فلاح مثله لما تورع عن البوح بما في الصدر وما في الصدر نار محرقة مذيبة تحرقه، وتعذب قلبه عذاباً موجعاً أليماً.

فهو يحب ابنة ناصر عبود.

الا انه يخشى البوح بحبه، وهو لا يجهل مصير ذلك الحب، مصيره هو اذا وقف والد سعاد على ذلك الحب العظيم.

وعاد الى الابتعاد عنها.

فعادت الى اللحاق به.

وبدأت الافكار القلقة تعصف برأسه فيتساءل: هل اندفع مع

التيار؟ هل ابوح لها بما يخالج قلبي؟ هل استجيب الى نداء القلب؟.

وحاول طرد تلك الافكار المقلقة الموجعة الممضة من رأسه فما استطاع.

كان كلما طرد فكرة الاقتراب منها وثبت الى رأسه فكرة الالتصاق بها.

وكلما طرد فكرة البوح لها بحبه شاهد عينيها تغزلان الهوى لتغمرا عينيه بالحنين فتثب الى رأسه فكرة ضمها الى صدره.

وبدأت المعركة هائلة رهيبة بين نبيل الهادي وبين افكاره المقلقة الموجعة الرهيبة.

وحاول العودة الى حقيقته، حاول الابتعاد عن فكرة التطاول الى ابنة صاحب المزرعة فما استطاع.

وكيف يستطيع ذلك وسعاد تشده اليها بنظراتها الحالمة وتدفعه الى البوح بما لا يريد.

وسارا متوغلين في الاحراج يطاردان الطيور ويصطادانها.

ونهكهما التعب فالتفتت سعاد الى نبيل تقول تعال نسترح قليلا يا نبيل تحت اغصان هذه السنديانة الوارفة الظلال.

وجلست سعاد فوق الاعشاب تحت الاغصان الخضراء.

وجلس نبيل الهادي بعيداً عنها.

فهو لا يجرؤ على الجلوس قربها.

والتفتت اليه تبتسم مشجعة، الا انه ما تشجع.

لقد ظل بعيداً عنها.

ورأت سعاد ان الابتسام لا يكفي للتشجيع فنادته اليها: نبيل تعال الى هنا لماذا تبتعد عني؟

واقترب منها على خجل وانكسار.

فأشارت اليه: أن يجلس قربها: اجلس هنا.. هنا قربي يا نبيل فوق هذه الأعشاب.

وجلس دون ان يتكلم.

لم يستطع الكلام لم يستطع ان ينبس بحرف.

كان ينظر اليها بعينين تائهتين واجمتين خائفتين كأنه ينظر الى الابدية كأنه ينظر الى شيء مقدس بعيد المنال.

وعادت سعاد عبود الى الكلام بعد صمت قصير لتقول: ما بك يا نبيل؟.. لماذا تنظر الي هذه النظرات التائهة الحيرى؟

فلم يجب.. لم يستطع ان يجيب فهو نفسه لا يعرف لماذا ينظر اليها بمثل تلك النظرات الحالمة الولهى.

فهمست متسائلة: نبيل!.. ما بك!.. ما بك يا نبيل؟

وودت لو يقول لها ما به، وهي لا تجهل ما حل به.

ودت لو ينظر اليها هامساً: أحبك... احبك يا سعاد.

الا ان نبيلا ما تحرك ولا تكلم.

بل هو مضى في صمته العميق وفي النظر اليها نظرات الهائم المحب الولهان.

وادركت سعاد عبود ان الارض اصبحت صالحة للزرع فزرعت.

قالت بماذا تفكر يا نبيل؟ هل هناك حبيب يشغل بالك
وعادت الى التمتني فتمنت ان يقول لها: «اجل هناك انت يا سعاد. انت حبيبتي...»

الا ان نبيلا ما تكلم، ولا هو نطق بحرف. بل مضى في صمته البارد العميق السحيق.

وحاول نبيل الهادي الكلام.

حاول ان يجيب سعاد، الا انه لم يستطع الى الكلام سبيلا لم يستطع ان يتلفظ بكلمة.

حتى الالفاظ خانته وتكسرت على شفتيه.

وساد الصمت برهة بينهما.

وخيم السكون على الغابة فما هناك سوى تغاريد الطيور وحفيف اوراق الاشجار المترنحة بين ايدي النسيم العليل.

ونظرت سعاد عبود الى نبيل على وله وحنين.

وغرزت عينيها في عينيه.

فاذا بالدموع تترقرق في عيني نبيل متأهبة للانحدار على وجنتيه السمراوين.

وشاهدت سعاد الدموع تموج في عيني نبيل الهادي فذعرت واقتربت منه.

لقد اقتربت منه حتى كادت تلتصق به.

ولمست يدها البضة البيضاء مقلتيه.

وهمست: نبيل!.. ما هذا؟. أتبكي.

فابتسم نبيل الهادي

وخرجت الابتسامة من بين شفتيه واهية باهتة صفراء.

والتفت اليها ليقول: لا.لا. انا لا ابكي، لا ابكي ايتها الانسة سعاد.

كان يقول لها: «انا لا ابكي» في حين تتدحرج الدموع كاللؤلؤ على وجنتيه السمراوين.

وامسكت سعاد بيده لتقول بحنان: قل لي، لماذا تبكي يا نبيل.

قال وقد استعاد كبيرياءه: من لا يبكي في الحياة لا يبتسم ايتها الانسة سعاد.

فأغضبتها، واغاظتها كلمة «الانسة».

فهي تريد ان يخاطبها باسمها دون لقب.

تريد ان يقول لها: «يا سعاد!.. يا حبيبتي سعاد!..»

قالت: انا لست بغريبة ولا ببعيدة عنك يا نبيل انني قريبة منك كل القرب تستطيع ان تبوح لي بكل شيء قل لي ما بك ولماذا تدمع مقلتاك؟

ورمقته بنظرة عميقة لم يخفَ معناها على نبيل-وكانت نظرتها تلك مشجعة.

وبالرغم من ان نبيلا ادرك معنى تلك النظرة العميقة الحالمة فهو لم يتشجع ولم يجرؤ على البوح بما في قلبه من هوى وشوق وحنين.

وهمس نبيل الهادي في سره: مستحيل!.. لن اتطاول اليها وليس لي ان احلم بالوصول الى قلبها وهي بعيدة عني بعد الثريا

عن الثرى فلا انا استطيع الوصول اليها ولا هي تستطيع الوصول الي.

وعاد الصمت يلفهما بوشاحه الفضفاض الوسيع. وادركت سعاد عبود ان الطريق باتت معبدّة أمامها وانها واصلة الى الهدف المنشود.

نبيل الهادي سيبوح لها بحبه، وستشجعه على المضي في طريق الهوى والغرام. حفلة الصيد هذه ستكون موفقة كل التوفيق وستظفر الصيادة الماهرة بقلب الصياد الكبير.

ومزقت سعاد حجب الصمت. فهمست متسائلة بخبث ومكر ودهاء: اتكون واقعاً في الغرام يا نبيل؟

فصمت لا يجيب.

وعادت إلى السؤال: هل ثمة حبيبة تحتل قلبك الندي الطهور؟.

فهمس: أجل.. أجل ايتها الانسة سعاد.

فتساءلت: من هي حبيبتك هذه؟ هل استطيع ان اعرف من هي يا نبيل؟

وشدت اصابعها اصابعه وهي تلقي عليه سؤالها.

وعادت الى التحديق في عينيه، فما كان من نبيل الا انه قال: انك لتعرفينها.

قالت: من هي اذكر لي اسمها فلعلي استطيع ان اكون واسطة خير بينك وبينها.

فهمس: ليتك تنصيفيني منها ايتها الانسة سعاد.

قالت: واصابعها لا تزال تشد اصابعه على جوى ونار: انني لانصفك منها يا نبيل وحياة عينيك انني لانصفك منها.ولكن قل من هي.

قال، وقد ادرك ان بها ما به من الحب والولوع: حبيبتي هي سيدتي، هي...

وتلعثم.. وعاد الكلام يتكسر على شفتيه.

وود أن يقول لها «حبيبتي هي أنت يا سعاد. أنت التي تعذبينني وتضرمين النار في قلبي، فهل تنصفينني منك؟»، الا انه جبن وخاف، وخانته الشجاعة، فاكتفى بما قال.

وأخفى وجهه براحتيه لئلا يفضحه الاصفرار البادي على وجنتيه، امام سعاد.

وادركت سعاد عبود كل شيء، وهي تشاهد نبيلا في ارتباكه وتلعثمه واضطرابه.

ادركت انه يحبها، وأنه متيم بهواها، وأن الوهدة العميقة الغور التي تفصل بين مقامه ومقامها، تحول دون البوح بما يريد ان يبوح به.

ورأت ان تمضي في تشجيعه على البوح.

فهمست، ويدها تشد يده برفق وحنان: نبيل!.. قل لي من هي حبيبتك، قل يا نبيل، انني لأريد أن أقف على اسمها، أريد أن اسمع اسمها ينطلق من بين شفتيك.

وغرزت عينيها في عينيه مجدداً، فما استطاع ان يقاوم نظراتها الساحرة النجلاء، ورأى نفسه مجبراً على البوح.

فهمس: أنت.. انت هي حبيبتي يا سعاد.

ومع تلك الكلمات المنبعثة من شفتيه انهمرت الدموع غزيرة على وجنتيه، فكأنه ارتكب جريمة في البوح بما في قلبه، فراح يغسل جريمته تلك بدموعه.

واكتفت سعاد بما سمعت من نبيل.

لقد ظفرت أخيراً بما تريد، وسمعت من نبيل الهادي ما ارادت ان تسمع

لقد باح لها نبيل أخيراً بحبه.الا يكفي ما قال؟

ورفعت يده الى وجهها تمرغ خديها النديين بها.

وشعرت بحاجة ملحاح الى البكاء وهي تشاهد دموع نبيل الهادي منسكبة على خديه.

لقد شعرت بأن قلبها يكاد يثب من صدرها. وخشيت،وقد تعالت ضرباته، ان يسمع نبيل تلك الضربات.

وبدأت الدموع تنحدر من عينيها الى خديها، الى اليد الممسكة بيدها.

وذعر نبيل الهادي، وهو يشاهد دموع سعاد

فهمس: ما هذا؟ ما هذا ايتها الانسة سعاد؟

وهدرت سعاد عبود: نبيل!.. لا تقل لي «يا آنسة» قل: «يا سعاد» هكذا يا سعاد فقط. انت لست بغريب عني يا نبيل.

فتساءل، وكأنه لا يصدق ما تقول: صحيح؟ صحيح آيتها الآنسة سعاد؟.

فعادت الى التأكيد هامسة: لا، وحياتك يا نبيل انت لست بعيداً عني، إنك لأقرب إلي من ظلي، انت قريب قريب الى قلب سعاد. ما نزل بك نزل بي، وما أصابك اصابني، وما دهاك دهاني ثق يا نبيل ان ليس ثمة قوة تبعدك عني ولا هناك احد يستطيع ان يبعدني عنك.

فتمتم وكأنه لا يصدق ما تقول: ولكن ثمة وهدة عميقة تفصل بيننا يا سعاد، وانني لأخشى ان تحول هذه الوهدة دون اتحادنا، فينطفىء هذا النور الذي يحيي الامل في قلبينا الطاهرين قبل أن ننعم بهوانا العاطر، الفواح الاريج.

قالت وهي تلقي برأسها الى صدره: الحب لا يعرف الوهاد، ولا يعجز عن تذليل الصعاب التي تعترض سبيله، ولا هو يتعرف الى المادة يا نبيل، الحب شيء روحي، ومتى كانت الروح تتأثر بالمادة؟ متى كانت الروح تشعر بالبرد، وبالجوع وبالعطش؟ متى كانت تحتاج الى الذهب والى الخبز والى الماء والطعام والثياب؟ روحي تحبك يا نبيل، وروحك تحبني وروحي وروحك ستنطلقان معاً في فضاء الحب البعيد الرحيب الفسيح الارجاء. لا تخف يا حبيبي، سأكون لك، وستكون لي، ولن تتمكن قوة على هذه الارض من أن تقف بين روحي وروحك.

فتمتم نبيل الهادي: يقولون ان القلوب هي التي تحب وتهوى الا انه يخيل الي ان ما يقولون بعيد عن الواقع الرهين. فالارواح

هي التي تحب لا القلوب، والارواح هي التي تحن وتهيم وتهوى.ولان الروح خالدة، فالحب خالد مثلها، اما القلوب فمصيرها الى التراب. وهي لا تستطيع ان تحمل في حناياها عظمة الحب ومجده وخلوده.

قالت: انها الحقيقة يا نبيل، فالارواح هي التي تحب وليست القلوب.

فهمس: غداً، بعد ان تنسلخ روحي عن هذا الجسد الفاني، ستحمل معها حبك الخالد الى هناك، الى دنيا الخلود، الى ما وراء الافق الرحيب البعيد الفسيح الارجاء. سأحبك يا سعاد حتى بعد الموت.

فانتفضت سعاد عبود ونبيل بذكر الموت، وتمتمت: دعنا من ذكر الموت يا حبيبي.سنحيا معاً، ويوم نموت سنموت معاً، ليس لي ان احيا بعدك دقيقة واحدة اذا ما قدر لك ان ترحل قبلي عن هذه الفانية، وكل ما ارجوه يا حبيبي هو ان ارحل قبلك، ان اسبقك الى العالم الآخر لاكون في انتظارك هناك.

فهمس: فليغيبني القبر قبل ان تصابي بخدش يا حبيبتي.

وضمها الى صدره، وشدها الى قلبه.

فعادت تلقي برأسها الى صدره وتحدق في الافق البعيد على أمال واسعة واحلام وارفة الظلال، لتهمس: حبذا لو أستطيع ان اقضي العمر هكذا.. هكذا رأسي الى صدرك ويداك على شعري وقلبك ينبض في أذني.

فتمتم: يا حبيبتي!..

وهمست : يا حبيبي!..

وتعالت الهمسات بين الحبيبين العاشقين المتيمين.

وسمعت اشجار الغابة الخضراء همسات نبيل الهادي وسعاد عبود فبسطت فوقهما أغصانها الوارفة تحجب عنهما العيون النهمة، الجائعة الراغبة في افشاء الاسرار، ونبش خفايا القلوب.

ومنذ ذلك اليوم، أصبحت تلك الغابة ملتقي نبيل الهادي وسعاد عبود، يشخصان اليها كل صباح ليجتمعا تحت اغصان تلك السنديانة العجوز المبسوطة الاغصان الخضراء.

وكثيراً ما كان نبيل يسبقها الى الغابة، لينتظرها عند السنديانة الهرمة، وقليلا ما كانت تسبقه هي، لتجلس تحت الاغصان الخضراء..

وما ان يطل نبيل حتى تثب اليه هامسة: نبيل!.. تعال يا حبيبي.. تعال لنجلس هنا. هنا فوق هذه الاعشاب الخضراء.

ويجلسان، وينصرفان الى الهمسات والوشوشات، والى الانغماس في يمّ من الاحلام العارمة، والانطلاق في رحاب الآمال الباسمة الزاهرة السمحاء.

ونعمت سعاد عبود بهوى حبيبها نبيل الهادي.

وكانت تأمل ان يطل يوم تستطيع ان تقف فيه امام والدها لتقول: «والدي!.. انا احب نبيلا واريد الزواج منه..»

وهي لا تجهل أية ثورة ستعصف في أبيها وهي تعلن له حبها لابن وكيل المزرعة، ولا هي تجهل ما سينالها من والدها، وقد وقف على خفايا قلبها الطهور. الا انها كانت تأمل ان تلقي في امها

المساعدة والعون.

وامها كانت دائماً في جانبها، تساعدها، وتعضدها وتدافع عنها امام الوالد الحازم الحاسم العنيد.

وراحت سعاد عبود تعمل جاهدة، وتسعى للوصول الى ذلك اليوم البهيج، الوضاح الجبين، ذلك اليوم الذي ستعلن فيه لوالدها انها تنوي الزواج من نبيل الهادي.

ولم تكن سعاد تدري اذا كان ذلك اليوم سيكون ناصع البياض، ام تراه يكون قاتم السواد، الا انها كانت تشعر برغبة عاصفة شديدة للوصول الى ذلك اليوم.

كان التفاؤل يغمر قلبها الندي، والامل الباسم الوضاح يبسط على روحها الطاهرة جناحه الاخضر الجميل.

الا ان موقف نبيل الهادي من ذلك اليوم، كان يختلف عن موقف حبيبته سعاد.

كان نبيل متشائماً يرى نهاية حبهما كارثة هائلة رهيبة مخيفة.

وكلما فكر بالنهاية، نهاية ذلك الحب ارتجف خوفاً، ورعباً وهلعاً.

فهو يعلم ان ناصراً عبود والد سعاد، لن يرضى عن هذا الحب.

وربما فتك به وبأبنته معاً اذا وقف على حقيقة النار المتأججة في قلبه وقلبها.

وكان نبيل يظهر من حين الى آخر مخاوفه وهواجسه لحبيبته سعاد، فتضحك سعاد منه

وتتمتم: لا تخف يا نبيل، ولا تخشَ بأساً.

فيهمس نبيـل الهادي: اني لأخشى على حبنا الندي من غضبة اهلك يا حبيبتي، اخشى ثورة والدك وامك، وابن عمك جهاد.

فتتسع الابتسامة البيضاء على شفتيها النديتين هامسة: ماذا عساهم يفعلون؟.. سيغضبون، ويثورون، ثم.. ثم تهدأ ثورتهم رويداً رويداً وتنقشع الغمام ويرضون.

فيتساءل نبيل: واذا تفاقم غضب والدك؟

فترد عليه: امي ستتكفل بتهدئة الثورة، انا اعرف امي، فهي دائماً الى جانبي، ولن تدع والدي يمضي في ثورته الى البعيد.

ويعود نبيـل الهادي الى التساؤل بقلق واضطراب: واذا ارغموك على الزواج من ابن عمك جهاد؟

فتضحك سعاد.

وتجيب: اطمئن، لن يستطيع احد ان يرغمني على الزواج من جهاد. لا تخف، لن اتزوج الا منك انت، اذا وافق اهلي على هذا الزواج، كان ذلك خيراً لنا ولهم، واذا لم يوافقوا فسأهرب واياك، سنهرب الى مجاهل الارض، الى حيث لا تقع علينا عين، ونعيش معاً عيشاً هانئاً مطمئناً رغيداً.

ويغمض نبيل الهادي عينيه على ألم وحيرة واضطراب. ويمضي في تفكيره العميق فيرى، بعين الخيال، المستقبل القريب. لا كما تصوره وترسمه وتراه حبيبته سعاد، بل كما يراه هو على حقيقته، اسود قاتماً بلون الليل المتجهم العابس المدلهم.

الفصل الثاني

بدأ الصيف يلملم اطرافه في لبنان.

وبدأت الغمام البيضاء تنتشر متقطعة في فضاء الجبل الاخضر الباسم الوضاح الجبين.

وأخذ الرعاة يتأهبون للنزوح بقطعان الاغنام والماعز عن قمم الجبال الشماء الى السواحل وقد بدأ الخريف يتأهب للبزوغ.

والفلاحون راحوا يجمعون الغلال، فيقطفون الاثمار من البساتين وينقلون القمح عن البيادر الى الاقبية.

وانتشرت طيور ايلول في الفضاء تمر فوق جبال لبنان في طريقها من الشمال الى الجنوب، وهي رحلة سنوية تقوم بها الطيور منذرة باقتراب فصل الخريف وبقدوم فصل الشتاء بثلوجه ورياحه وامطاره وسيوله.

والمصطافون المنتشرون في القرى اللبنانية الهاجعة على هنأة واطمئنان وسلام على الروابي الخضر، وفي السفوح المخضلة الاجنحة بدأوا يستعدون للعودة الى المدن الساحلية، قبل ان تدهمهم نسمات الخريف اللاسعة القارسة.

ووثب ناصر عبود معلناً لزوجته ولكريمته المصون سعاد عزمه على الانتقال بها الى قصرهم الرابض على بهجة وسلام في محلة رأس

بيروت، المطل على فسيح البحر، واختلاج الأمواج.

وكان من عادة سعاد ان ترحب كل عام بقرار العودة الى بيروت في مطلع الخريف،

الا ان ذلك العام أبدت الاعتراض على قرار الوالد الكريم

قالت: يطيب لي ان اقضي فصل الخريف في هذه الربوع يا والدي الحبيب وايام الخريف في جبال الشمال من اجمل الايام، وابعدها زهواً وبهجة واشراقاً.



فدهش ناصر عبود لاعتراض سعاد.

وتمتم: كنتِ دائماً تستعجلين العودة الى بيروت، فما بالك اليوم ترغبين في قضاء فصل الخريف بكامله، هنا في المزرعة يا سعاد؟

ولم تقل لوالدها انها لا تريد الإبتعاد عن المزرعة وفي الإبتعاد عن المزرعة ابتعاد عن حبيبها نبيل الهادي. بل هي اكتفت بالقول: يطيب لي قضاء فصل الخريف هنا يا والدي الحبيب.

قال: البرد يبدأ بغزو هذه الجبال يا ابنتي وانا وامك لا نستطيع احتمال برد تشرين، هذا فضلا عن انني سألقى التعب والعناء في الانتقال كل يوم من بيروت الى المزرعة، من الافضل لنا ان نعود الى قصرنا في بيروت.

فلم يرقها اصرار والدها على النزوح عن المزرعة،

قالت: اذا شئت العودة مع والدتي الى بيروت فلأظل أنا هنا مع ام سعيد، ومع صديقتي نوال سلمان، وسألحق بكما الى العاصمة اللبنانية في اواخر فصل الخريف.

ورحبت ام سعيد، وهي خادمة مزمنة في قصر ناصر عبود باقتراح سعاد

وتمتمت: سأكون هنا في خدمة الآنسة سعاد يا سيدي، ولك ان تطمئن الى سلامتها.

وأطل جهاد عبود، ليستمع الى ما يدور من مناقشة وحوار بين عمه ناصر وابنة عمه سعاد.

ورأى جهاد ان يقف في جانب سعاد تملقاً واسترضاء.

قال: أرى الحق في جانب سعاد يا عمي، ان ايام الخريف

رائعة في هذه الجبال، فلماذا اذن العودة الى بيروت؟

والتفت ناصر عبود الى ابن اخيه ليقول: وانت ايضاً يجب ان تعود معنا الى بيروت لتتسلم منصبك في مصرفي.

فتساءل جهاد بدهشة واستغراب: منصبي؟ وما هو هذا المنصب

قال ناصر عبود: لقد اصدرت قراراً بتعيينك مديراً للمصرف وعليك ان تبدأ العمل في مطلع فصل الربيع.

فلمعت الفرحة في عيني جهاد.

وتراجع فوراً عن موقفه.

فالتفت الى سعاد قائلا: من الافضل ان نسرع بالعودة الى بيروت يا سعاد قبل ان يدهمنا البرد اللاسع القاسي الصفيق.

الا ان سعاد اصرت على موقفها

واعلنت بتمرد وعصيان:

لا... لن اعود الى بيروت قبل انقضاء فصل الخريف.

ولمعت ومضة الغضب في عيني ناصر عبود.

فخشيت ام سعاد ان تندلع تلك الومضة الى ثورة لاهبة، وهي لا تجهل ايّة ثورة هي ثورة زوجها ولا أي غضب هو غضبه.

فتمتمت: لا بأس يا ناصر، فلنقضِ شطراً من فصل الخريف هنا، فالجو ما زال صافياً، ونسمات الخريف تعطر الاجواء.والحياة هنا في المزرعة اشهى وافضل من الحياة في بيروت.

واقترب صاحب مصرف الاقتصاد من زوجته ليقول بحزم يجب ان نعود غداً الى بيروت.

فتساءلت ام سعاد: غداً؟ ولماذا العجلة؟

قال: في اواخر هذا الشهر سنعلن خطوبة سعاد وجهاد رسمياً في حفلة رائعة في قصرنا في بيروت، وعلينا ان نبدأ بالاستعداد لاحياء هذه الحفلة الباسمة.

ووجمت سعاد.

ووقعت كلمات والدها في اذنيها كقصف الرعد،كدوي المدافع، كأزيز الرصاص.

وانبرت ام سعاد لتقول مخاطبة زوجها: لا بأس يا ناصر، فلنحسم الخلاف بينكما، أنت تريد ان تعود الى بيروت غداً، وسعاد لا تريد ان تغادر المزرعة قبل انقضاء فصل الخريف، فليكن القرار بين بين، فلا يموت الذئب ولا تفنى الغنم سنقضي شهراً واحداً من فصل الخريف هنا، ونعود الى بيروت في اواخر شهر تشرين الاول.

وأيد جهاد امرأة عمه في رأيها.

فقال: لقد حكمت بالعدل يا «تانت» وارى ان حكمك هذا يرضي سعاد ولا يغضب عمي.

وصمت الجميع.

والصمت معناه الموافقة.

الا انه لاح من سعاد انها مضطربة قلقة، شاردة الذهن.

فاقترب والدها منها يضمها الى صدره طابعاً قبلة ابوية على جبينها.

وهمس: ليكن ما تريد امك يا سعاد، لن نعود الى بيروت الا

وشهر تشرين الاول يشرف على الافول.

وهمست سعاد: شكراً يا والدي الحبيب.

وأسرعت سعاد الى غرفتها لتستلقي على سريرها وتنغمس في التفكير. ماذا عليها أن تفعل الآن، ولم يعد ثمة أمامها سوى أيام قليلة، وتبتعد عن نبيل.

تبتعد؟..

لا هي لن تبتعد عنه ستظل قربه طيلة العمر...

ولكن...

وتوقفت في تفكيرها وجلة حيرى خائفة عند كلمة «ولكن...»

ولكن والدها اعلن ان خطوبتها لأبن عمها جهاد ستتم في العاجل الوشيك فهل توافق على اعلان هذه الخطوبة؟..

وانتفضت، وهي تلقي على نفسها هذا السؤال: «هل توافق على اعلان هذه الخطوبة؟...»

وهمست في سرها: لا وألف لا، لن اكون خطيبة ابن عمي جهاد، لن أخدع جهاداً، ولن أخدع والدي ووالدتي، ولن اخدع نفسي، ولن اخون حبيبي نبيلا.

وعادت سعاد الى التساؤل وهي مستلقية على سريرها الوثير: ماذا علي ان افعل؟.. ماذا علي ان افعل؟

وأجابت على السؤال: يجب ان أطلع نبيلا على الحقيقة، وأن أرسم واياه خطة النجاة من المأزق الحرج الملحاح.

وتمنت لو تستطيع ان تطير الآن، الى نبيل، فتلقي برأسها الذي تعصف فيه الهموم، الى صدره العامر وترتاح من همومها كلها.

الا أنها لم تكن تستطيع ان تلتقى نبيلا تلك الساعة، فموعدها معه صباح كل يوم عند السنديانة العجوز الوارفة الظلال الرابضة من قلب الغابة الخضراء في الصميم وعليها ان تنتظر اطلالة صباح اليوم التالي.

مع مطلع الصباح ستشخص الى الغابة وتخلو بنبيل وتطلعه على كل ما دار من حديث بينها وبين والديها.

وترسم واياه الخطة المضمونة النجاح.

ولكن ما هي هذه الخطة؟

واين تبدأ؟.. وكيف تنتهي؟

اين تبدأ؟...

تبدأ بالهرب مع نبيل الى المهجر القاصي البعيد،الى ما وراء البحار فيتزوجان ويعيشان هناك في المهجر كما يعيش الازواج السعداء.

و... هكذا ستنتهي الخطة المرسومة بالزواج وبالسعادة، وبالرفاه والبنين.

واقامت سعاد عبود تنتظر بزوغ صباح اليوم التالي على احر من الجمر.

وكان القلق يعصف بها والاضطراب يهد قواها، والخوف من المستقبل المجهول يغمر قلبها الهائم الولوع.

وفي الليل، عندما آوت الى سريرها لتستسلم الى الرقاد، لم تستطع الى النوم سبيلا.

وكانت كلما أغمضت عينيها محاولة الأستسلام لسلطان الكرى، يلوح لها نبيل والقلق والاضطراب يعصفان به، والخوف يطل من عينيه.

وراحت سعاد تتقلب في فراشها الوثير وكأنها تتقلب على ابر وشوك.

ولم تستطع ان تستسلم للنوم الا وخيوط الفجر البعيد، الواهية البيضاء، بدأت تتسلل من نافذة غرفتها الفسيحة الارجاء.

ومع النوم المنساب الى عينيها انسابت الاحلام

فشاهدت في الحلم نبيلا يمسك بيدها ويسير بها فوق الثلوج الناصعة البياض التي تكلل هام الجبل العالي الأشم.

وفجأة شاهدت دماء قانية الاحمرار تنسكب من طائر جريح ملقى فوق الثلوج فتحول ناصع الثلج الى نجيع.

وهمست في الحلم «نبيل!... انني خائفة».

ولم يجب نبيل بحرف

بل هو حملها بين يديه وطار بها في الفضاء فوق الجبل العالي المكلل بالثلوج.

وفجأة هوى النسر هوى نبيل الهادي بها من اعالي الفضاء ليستقر فوق بركان يقذف الحمم.

اما هي فقد أفلتت من بين يديه

،شاهدت نفسها تغوص في بحيرة سوداء

كانت مياه البحيرة بلون الليل،
فأخذت تبكي وتنادي: «نبيل!.. نبيل!.. نبيل».
واستفاقت فجأة من الحلم الرهيب وهي تنادي نبيلا، فاذا بوسادتها مبللة بالدموع.
ووثبت من السرير، والخوف يستبد بها.
الحلم المروع اخافها، واقلق خاطرها وشغل بالها.
ومسحت دموعها التي كانت لا تزال تنسكب على وجنتيه النديتين.
وكانت خيوط الشمس الذهبية قد بدأت تتسلل من النافذة لتغمر غرفتها بالضياء فاسرعت تغسل وجهها وترتدي ثيابها وتحمل البندقية محاولة الخروج من الدار.
واذا بأمها تعترض سبيلها متسائلة: اتخرجين الى الصيد قبل ان تتناولي طعام الصباح يا سعاد؟
وتمتمت، وهي تحاول المسير: سأتناول الطعام بعد عودتي.
فامسكت امها بيدها هامسة: ستشربين القهوة معي قبل ان تنطلقي الى الصيد.
ولم يكن لها ان تعترض، لا سيما وأمها راحت تنادي ام سعيد طالبة اليها ان تحمل اليهما القهوة الى الشرفة.
وجاءتها أم سعيد بالقهوة.
فراحت سعاد ترشفها على سرعة
فهي في قلق على نبيل وتود لو تستطيع أن تطير اليه.
وسألتها أمها: لماذا اصررت امس على قضاء فصل الخريف هنا

في المزرعة، وقد كنت كل عام تستعجلين العودة الى بيروت في نهاية كل صيف.

ولاح من الام انها تريد ان تقف على السبب المجهول الذي اهاب بأبنتها الى الاصرار على الاقامة في المزرعة طيلة فصل الخريف.

فما كان من سعاد الا انها بادرتها بالجواب المقنع: في السنوات السابقة لم اكن اتقن صيد الطيور، اما هذا العام فقد تمرنت على الصيد، واصبحت ماهرة في اصابة الهدف، وفصل الخريف هو موسم الصيد في هذه الربوع يا أمي.

وبدا جوابها مقنعاً ليس فيه اي مجال للظن او للشك.

وانتهت سعاد من رشف قهوتها.

وحملت بندقيتها وودعت أمها وأسرعت الى الغابة الخضراء، الى السنديانة الهرمة العجوز الدائمة الاخضرار أملة ان تجد نبيلا في انتظارها.

ووجمت سعاد وقد وصلت الى السنديانة دون ان تقع عينها على نبيل.

لم يكن نبيل الهادي في انتظارها كما خيل لها.

وراحت تطوف انحاء الغابة باحثة عن نبيل، الا انها لم تقع له على أثر، فازدادت قلقاً واضطراباً

وعزمت على ان تشخص الى منزل وكيل المزرعة سائلة عن نبيل.

وسارت.

الا ان نبيلا اطل عليها حاملا البندقية وبعض الطيور التي اصطادها.

ووثبت اليه هاتفة: نبيل!.. ما بك يا حبيبي؟ لماذا تأخرت في الحضور؟

فأبتسم ليقول: أأكون أنا الذي تأخرت في الحضور أم أنت؟ لقد جئت الى هنا مع مطلع الصباح، وجلست تحت اغصان السنديانة انتظر حضورك،ولما طال انتظاري انصرفت الى الصيد في السفح القريب.

فادركت ان استغراقها في النوم كان السبب وراء تأخرها عن الحضور.

وامسكت بيد نبيل هامسة: تعال نجلس هنا تحت هذه الاغصان الوارفة.

وجلسا..

وروت له ما شاهدته في الحلم المرعب المخيف.

فتمتم: انها اضغاث احلام يا حبيبتي، ولم تكن الاحلام يوماً لتتحقق.

قالت: انني خائفة يا نبيل، اخشى ان ارغم على الابتعاد عنك، اخشى ان تقف الايام بيننا فتبعدني عنك وتبعدك عني.

فصمت، وكأنه يخشى هو أيضاً ما تخشاه هي.

وعادت سعاد، الى الكلام لتخبر نبيلا كل ما دار بينها وبين والدها من حديث.

قالت: لقد قرر والدي ان يعلن خطوبتي من ابن عمي جهاد،

بعد أن اسند الى جهاد منصب المدير في مصرفه، وكان يريد ان نعود الى بيروت الآن، الا انني استطعت بمساعدة والدتي ان امدد مهلة العودة شهراً واحداً وعلينا خلال هذا الشهر ان نتدبر أمرنا، وان نبتعد عن هذه الربوع الى بلاد بعيدة لا يصل الينا فيها غضب والدي وحقد ابن عمي جهاد.

فمضى نبيل الهادي في صمته البارد الكئيب.

وانصرف الى التفكير العميق ينغمس فيه على ذهول وشرود.

واستأنفت سعاد كلامها لتقول: اسمع يا نبيل، علينا اولا ان نهيء جوازي السفر، ثم نبدأ بالاستعداد الى الرحيل، سأهرب من دار والدي ونسرع الى الزواج، ثم نطير فوراً الى ما وراء البحار، الى سويسرا او الى فرنسا او الى ايطاليا او الى اي بلد تختاره انت يا حبيبي.

ولم يفه نبيل الهادي بحرف، بل هو مضى في الصمت والتفكير.

فمضت سعاد في كلامها لتقول: لا تفكر بالمال، لدي منه الكثير، انا احتفظ في خزانتي بمبلغ خمسين الف ليرة لبنانية وبعدد من النقود الذهبية، وبجواهر وحلى ثمينة. سننفق بسخاء، ريثما نتدبر امرنا ونجد مورداً لنا في بلاد الاغتراب.

وهمس نبيل: لا يا سعاد.

فوجمت. ماذا يقول نبيل؟ اتراه غازماً على الابتعاد عنها؟

وسألته: الا توافق على ما ابدي يا نبيل؟

فعاد الى الهمس: لا يا سعاد لا يا حبيبتي، لن ادعك تهربين من

دار والديك كما يهرب اللصوص المجرمون، أي حزن سينزل بوالدتك، وقد ابتعدت عنها،وأي غضب سيعصف بوالدك وقد علم ان ابنته سعاد التي سترث كل ثروته وسمعته العطرة، ومقامه الرفيع، قد غدرت به وثلمت شرفه ومرغت جبينه بالوحول، فلنفكر اولا بوالدك وبوالدتك، ثم فلنفكر ثانياً بوالدتي ووالدي اللذين سيؤلمها ويعذبها بعادي عنهما قبل ان نفكر بأنفسنا.



فازدادت سعاد وجوماً.

وتمتمت متسائلة: الا تحبني يا نبيل؟

قال: ويده تشد يدها: احبك يا سعاد حباً هائلاً رهيباً عظيماً ولأنني احبك أريد ان اصونك وأن أحافظ على كرامة والدك المئناف وعلى شرفه الاثيل. ليتني لا احبك يا سعاد، اذن لكنت أهرب بك الى اقاصي الارض غير عابىء بما ينزل هربي بك من كوارث ومصائب ونكبات.

وأدمعت عيناه...

وشاهدت سعاد عبود الدموع تموج في عيني حبيبها نبيل الهادي فذعرت.

وادركت إنه عازم على إتخاذ قرار مخيف. فتمتمت ماذا علينا ان نفعل اذن يانبيل كي نصون حبنا ونظل معاً؟..

قال: لست أدري، لست أدري يا سعاد.

قالت: الخطة التي رسمتها هي الخطة الفضلى، ليس امامنا سوى الهرب، سوى السفر، سوى الابتعاد عن هذه الربوع.

فعاد يمسك بيدها ويشدها ليقول: لا.. خطتك، ليست بالخطة الفضلى يا حبيبتي..

قالت: هل لديك خطة افضل منها؟

فأجاب: اجاب.. يلوح لي ان خطتي هي الخطة التي يجب علينا تنفيذها.

فتساءلت: هل لي ان اعلم ما هي خطتك هذه يا نبيل؟

قال: انت لن تغادري لبنان يا حبيبتي، ولن تهربي من دار

والديك، انا وحدى سأسافر الى المهجر القاصي البعيد.

فذعرت، ماذا يقول نبيل؟ هل جن؟

وارتمت على صدره تجهش بالبكاء، وقد عاد الحلم الرهيب يتراءى لعينيها... نبيل يطير بها في الفضاء، ثم يهوى فوق بركان ثائر، وتغوص هي في البحيرة السوداء...

ورفعت رأسها عن صدره.

ومسحت دموعها لتتمتم: لا . لا . لا . مستحيل.انت لن تسافر وحدك، سأسافر معك لن اظل وحدي هنا لن ادعك تبتعد عني يا نبيل، ولن ابتعد عنك.

قال: يبدو لي ان الفراق واقع بيننا حتماً يا سعاد، فلماذا نحاول اتقاء الفراق ما دام هذا الفراق محتماً علينا؟

قالت: لا نحن لن نفترق، لن نبتعد عن بعضنا، سنظل معاً. معاً حتى الموت.

قال: ستظل روحانا معا يا سعاد.روحي وروحك لن تفترقا حتى بعد الموت. سنعيش ونحيا معا حياة هانئة سعيدة هناك، هناك ما وراء الافق البعيد، اما هنا حيث المادة هي التي تتحكم بالبشر فلن تكون لنا حياة معاً.

وضمّها الى صدره برفق وحنان هامساً: انت حياتي يا سعاد، وهل يستطيع الانسان ان يبتعد عن حياته.

فهمست: اذن ما عليك الا ان توافق على الخطة التي رسمتها ليس امامنا الا الهرب سنسافر معاً، ونحيا معاً، ونعيش معاً يا حبيبي.

فعاد الى الأصرار على الرفض قال: لا . لا . لا . يا سعاد أأدفع بك الى وهدة الظلام؟. أأسير بك في طريق الذل والعار؟ اتريدينني ان اوافق على ان تمدي يدك الى اموال والدك وعلى ان تهربي من دار والدك كما يهرب اللصوص المجرمون.

قالت: اطمئن يا نبيل الاموال التي سأمد يدي اليها هي اموالي انا وليست اموال والدي.

فتساءل: وماذا ستكون حال هذا الوالد البائس المسكين، وقد طعنته ابنته في صميم كرامته وشرفه ونبله؟

قالت: ليس ثمة اية طعنة في صميم الشرف والكرامة، انا لن اهرب مع عشيق، بل مع زوج أحبه ويحبني، وسيحبك والدي بعد ان يعلم اي صهر شريف نبيل كريم هو صهره، وسيدعونا للعودة الى لبنان.

قال: اخشى ان يدفعه الغضب الى الفتك بنا، وربما اكتفى بالفتك بك وحدك يا سعاد.

فلمعت ابتسامة واهية صفراء على شفتيها.

وهمست: اطمئن، والدتي ستتكفل بتهدئة ثورة غضبه فهي دائماً الى جانبي يا حبيبي.

واذا بوقع خطوات تقترب منها، فذعرا.. من تراه القادم اليهما المنغص عليهما هنأة لقائهما.. من هو؟..

وهل تراه سمع ما دار بينهما من حديث.

وأرهف نبيل وسعاد آذانهما يسترقان وقع الخطوات التي تقترب منهما وهما في قلق واضطراب.

ولم يكن لهما ان يقفا ويختفيا وراء الاشجار وخطوات القادم اليهما باتت على مقربة منهما.

وفجأة أطل عليهما صاحب الخطوات، فتنفسا الصعداء.

لم يكن ذلك ابن عم سعاد. جهاد عبود كما خيل اليهما. بل كان الشاب القروي الساذج، الطيب القلب نصور ابن ام نصور.

ونصور اشتهر في القرية الشمالية القريبة من مزرعة ناصر عبود، بسذاجته وطيبة قلبه، هذه الطيبة التي تكاد تبلغ حدّ البلاهة.

وهو يتيم الأب مات والده وهو لم يبلغ العاشرة من عمره فقامت والدته بتربيته وبرعايته، وهي ليست بأبعد «ذكاء» منه، فأطلق عليه ابناء القرية اسم «نصور ابن ام نصور» وكانت ام نصور ترى فيإبنها زينة شبان القرية.

وكان نصور شاباً شهماً يندفع الى خدمة ابناء القرية. ويستميت في خدمة الفتيات

ويخيل اليه ان جميع بنات تلك الربوع مغرمات به، وكل منهن تريد الزواج منه.

وكان نصور ابن ام نصور يحمل في جيبه دفتراً سجل فيه اسماء جميع فتيات القرية والمزرعة، حتى اذا تزوجت احداهن عمد الى «شطب» اسمها من دفتره متمتماً بلهجته القروية العريقة: «الله لا يردها، غيرها احسن منها..».

ولم يكن دفتر نصور ابن ام نصور يخلو من اسم سعاد عبود ابنة صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني وصاحب المزرعة الواسعة

الارجاء ولا هو يخلو من اسم.صديقتها نوال سلمان.

وكان يخيل اليه ان سعاد ونوال تتزاحمان على قلبه، وكل منهما تريد ان تظفر به زوجاً كريماً تشاطره الحياة الهانئة السعيدة.

وكثيراً ما كانت سعاد ونوال تمازحان نصوراً ابن ام نصور فتسألانه: من تختار منا عروساً لك يا نصور؟

ويفتل نصور شاربيه متباهياً

ويتمتم: «المسألة بحاجة الى تفكير اتركا لي مجال التبصر قبل الاختيار.

وتثب نوال اليه هاتفة: انت من نصيبي يا نصور، ولن ادع سعاد تختطفك مني.

وتهب سعاد هادرة: لا.. بل انت خطيبي يا نصور وليس لك ان تنظر الى فتاة سواي.

ويبتسم نصور مفتخراً

ويهمس: اتفقا على ان اكون لاحداكما.

فتسأله نوال: واذا لم نتفق؟

فيسحب نصور الدفتر من جيبه قائلا: اذا لم تتفقا ستخسرانني، وسأختار فتاة غيركما. الراغبات في الزواج مني كثيرات.

ويبدأ بقراءة الاسماء: سعدى ابنة خليل عبد الله، شفيقة الشقرا، نبيهة الطرابلسية، ناديا ابنة ابو ناديا...

ويلتفت نصور حوله، وقد انتهى من القراءة في سجل الاسماء

فلا يرى احداً قربه.

وتكون نوال وسعاد قد ابتعدتا عنه.

وحال نصور ابن ام نصور مع فتيات القرية لم تكن لتختلف عنها مع الشبان.

فالشبان في القرية، وفي المزرعة كانوا يمازحون نصوراً ايضاً ويتهمونه بأنه يستأثر بهوى فتيات القرية، ويسلبهم قلوبهن.

ويطلبون اليه بتوسل ورجاء ان يبعد الفتيات عنه كي يستطيعوا ان يحظوا منهن ببعض العطف والهوى والحنان.

ويهدر نصور بفخر واعتداد: أيكون بينكم من يرتع بمثل قوتي وجمالي؟ يوم يصبح لاحدكم ما لنصور ابن ام نصور من فتنة وبهاء سيجد الصبايا يحمن حوله كما يحمن على نصور.

هذا هو نصور الذي اطل على نبيل الهادي وعلى سعاد عبود وهما في جلستهما الهانئة تحت أغصان السنديانة الدائمة الاخضرار الوارفة الظلال.

وارتاحت سعاد كل الارتياح وهي تشاهد نصوراً يطل عليهما

وتمتمت اهلا بنصور، كنت هنا اقيم على انتظارك لماذا تأخرت في الحضور يا خطيبي؟

فنظر الشاب القروي الساذج الى نبيل الهادي نظرة ملؤها الغيرة والحقد ليسأله: ماذا تفعل هنا يا نبيل؟ ولماذا تجلس قرب خطيبتي الآنسة سعاد؟

وابتسم نبيل الهادي ليجيب نصوراً بقوله: أهذا هو جزاء الجميل يا نصور؟..

فتساءل نصور: أي جميل لك في عنقي؟

ورد نبيل بقوله: لقد ابيت ان اترك خطيبتك في هذه الغابة وحدها فجلست قربها لاحميها من الحيوانات والحشرات وابناء الحرام ريثما تصل اليها بالسلامة.

وتحول التجهم في وجه نصور الى اشراق.

وتمتم: شكراً لك يا أخي نبيل على هذه البادرة الكريمة.

ووثبت سعاد هامسة في اذن نصور: ان نبيلا يعلمني اصول الصيد كي استطيع ان ارافقك يوماً في رحلات البعيدة. اذهب الآن ودعه يكمل معروفه ويمضي في تعليمي اصول الصيد يا نصور.

وهمس نصور في اذنها: لا بأس يا خطيبتي.. سأذهب وعندما تصبحين ماهرة في اصطياد الطيور ستكونين رفيقتي في رحلات الصيد.

وسار في طريقه وهو مطمئن البال، مرتاح الفؤاد

وتوغل في الغابة ووقع خطواته يتلاشى رويداً رويداً كلما ابتعد عن السنديانة الخضراء.

وتمتم نبيل الهادي، وقد ابتعد نصور ابن ام نصور عنهما: اخشى ان يفضح هذا الساذج امرنا يا سعاد؟ ويذيع سرنا، ويطلع والدك على ما شاهد، وربما يكون قد سمع ما دار بيننا من حديث.

فابتسمت هامسة: اطمئن فهو لن يتكلم، وهب انه تكلم، فماذا عساه يقول؟.. سيقول انه شاهد نبيلا الهادي يعلم «خطيبته»

اصول الصيد.. ولن يعلم احد اسم هذه الخطيبة، وكل الفتيات في القرية خطيباته.

قال: من يدري قد تدفعه سذاجته الى اطلاع والدك او ابن عمك جهاد على الامر فتقع الكارثة، ويفضح سرنا.

فعادت الى الهمس: اطمئن، لن تكون لاقوال نصور ابن ام نصور اية قيمة لدى والدي او لدي ابن عمي، ان هو اطلعهما على ما رأى وما شاهد وما سمع.

قال: ارى ان ننقطع عن ارتياد هذه الغابة يا سعاد؟ وقد بات الخطر يحدق بنا من كل جانب.

فأمسكت بيده تشدها بعطف وحنان متسائلة: أتريد أن تبتعد عني يا نبيل؟ وهل تستطيع ذلك؟ هل تستطيع ان لا ترى سعاد كل يوم؟.

قال: الحب العظيم الذي احفظه لك في قلبي يدفعني الى الانقطاع عن الاجتماع بك في هذه الغابة يا سعاد. انني لاخشى أن يسيء لقاؤنا هنا الى سمعتك، ويحط من كرامتك. لم يعد لنا ان نلتقي هنا بعد ان كشف نصور ابن ام نصور امرنا، وقد يكون سمع ما دار بيننا من حديث عابق بالهوى والشوق والحنين.

فابتسمت وشدت يدها يده لتقول: انه لشاب ساذج يا نبيل لا يخشى منه، ولا يحسب له اي حساب.

فتمتم: لانه ساذج لا يفقه خطورة ما يتكلم به، يجب ان نحذر منه، ونخشاه. ان كلمة نابية تنطلق من شفتي نصور الساذج هذا تدمر سعادتنا وتقضي على كل ما نرتع به من سلام وهناء

واطمئنان، وهل غاب عنك ان عود الثقاب على صغره يشعل النار في غابة شاسعة المدى مترامية الاطراف؟

قالت: لا تدع للاوهام طريقاً الى رأسك يا حبيبي. نحن سنواصل لقاءنا هنا في هذه الغابة، وتحت اغصان هذه السنديانة، ريثما نتدبر امرنا ونتفق على حل لمعضلتنا اطمئن يا نبيل، لن تستطيع قوة ان تقف بيننا ولا أن تبعدني عنك او تبعدك عني، والحب الذي يربط بين قلبينا سيذلل كل ما يعترض سبيلنا من العقبات، لقد قيل يا نبيل ان الحب اقوى من الموت، افلا يكون هذا الحب الذي هو اقوى من الموت، اقوى من جميع الصعاب التي تقف في طريقه؟

ونظر نبيل الهادي الى الافق البعيد، من خلال اغصان االسنديانة الخضراء.

وهمس: الحب اقوى من الموت؟ هذا صحيح يا سعاد، ان الموت الذي يحصد اعناق البشر، وينتزع الارواح من الاجساد لا يستطيع انتزاع الحب من القلوب، ولن يستطيع الموت ان ينتزع حبك العظيم من قلبي، الا أن البشر يستطيعون ان يفرقوا بيننا على هذه الارض ما دمنا على قيد الحياة، اما بعد ان نرحل بعد ان تنعتق ارواحنا من اجسادنا نصبح اقوى من البشر، وعندئذ يصبح حبنا اقوى من الموت.

والقت سعاد عبود برأسها الى صدر حبيبها نبيل

وهمست: كم يطيب لي ان نظل هكذا معاً الى الابد، ورأسي مرتاح الى صدرك العامر بالحب العميق البعيد الفسيح يا حبيبي.

- ٢ -

فيما كان نبيل الهادي وسعاد عبود يمضيان في جلستهما الهانئة الحالمة تحت اغصان السنديانة الخضراء كان نصور ابن ام نصور يسير الى مزرعة صاحب مصرف الاقتصاد وهو مطمئن البال مرتاح الفؤاد.

« فخطيبته » أو بالاحرى احدى خطيباته سعاد ابنة صاحب لمصرف السيد ناصر عبود منصرفة الى تعلم اصول الصيد كي تستطيع مرافقته يوماً في رحلاته الموفقة الى صيد الطيور

انها لخطيبة مخلصة محبة تتفانى في ارضاء « خطيبها » نصور.

اذن؟ اذن على نصور ان يبادلها الاخلاص بالاخلاص، والتفاني بالتفاني والتضحية بتضحية مثلها.

نصور سيرد لسعاد الجميل، وسيختارها من بين عشرات الخطيبات اللواتي يحمن حوله كما تحوم الفراشات حول الزهور، لتكون زوجته الحبيبة.

ولكن...

وترددت كلمة « ولكن » في خاطر نصور، وهو يسير الى المزرعة

فهمس في سره: ولكن كيف سأتخلى عن جميع الصبايا الجميلات

واغدر بهن، واكفر بحبهن لاكون لفتاة واحدة؟ وهل لي ان احطم قلوب عشرات الفتيات من اجل فتاة واحدة فقط؟

وشعر نصور بأنه واقع في مأزق حرج.

وتوقف عن السير.

وجلس تحت اغصان صنوبرة ترتفع بأغصانها الدائمة الاخضرار

واخرج دفتره من جيبه، وراح يقرأ اسماء خطيباته.

وكلما قرأ اسم فتاة توقف عنده ليفكر: اتكون سعاد افضل من هذه؟

ويحتار بماذا يجيب كلهن جميلات وكل منهن تستميت في هواه، فكيف سيستطيع الابتعاد عنهن؟

وحاول تمزيق دفتره، وقد عزم على ان يخلص لسعاد

أي حاجة له بهذا الدفتر، بعد ان أصبح مرتبطاً بسعاد عبود ارتباطاً وثيقاً؟

ايجوز ان يخونها، وهي التي تتعلم اصول الصيد من اجله، ومن اجل مرافقته الى الرحلات؟

وعاد الى الهمس في سره، وهو يخاطب نفسه: «لا يا نصور! لا تكن خائناً ان روابط الصيد المتينة تشدك الى سعاد وتشدها اليك. وليس لك ان تغدر بها وتخون هذه الروابط العاطفية الشديدة».

وامسك بدفتره يحاول تمزيقه، الا انه توقف فجأة

وتمتم: لماذا لا تحسب حساب الرجعة يا نصور؟ الا يجوز ان

تتخلى عنك سعاد يوماً وتذهب مع صياد غيرك الى الصيد؟ يجوز.. كل شيء يجوز في هذه الحياة.. اذن. لا تمزق السجل يا نصور؟ بل اكتف بشطب اسماء بعض الفتيات اللواتي لا يرجى منهن خيراً.

واطمأن الى هذا القرار وتناول قلم الرصاص من جيبه وراح يستعرض الاسماء فيشطب بعضها ويبقى على البعض الاخر.

وبعد أن شطب زهاء عشرين اسماً من دفتره نهض ليكمل سيره الى المزرعة.

وكان عليه ان يمر بدار ناصر عبود والد سعاد

وما ان اقترب من الدار حتى لاحت له نوال سلمان، تتحدث الى جهاد عبود ابن عم سعاد في حديقة الدار

ومر بهما والقى عليهما التحية.

وبادرته نوال كعادتها، مازحة: كيف حالك يا خطيبي؟

ولم يجب نصور بل هو سحب الدفتر من جيبه وراح يعرض الاسماء ثم التفت الى نوال متمتماً انت لست خطيبتي بعد اليوم ايتها الآنسة نوال.

وابتسمت نوال متسائلة: لماذا يا نصور؟

وبكل وقار اجاب: اسمك مشطوب من الدفتر.

ومن تراه شطب اسمي من دفترك يا نصور.

- انا.. انا شطبت اسمك.

- لماذا؟.

قال: لانني اريد ان اكون مخلصاً لخطيبتي الوحيدة .

وضحك جهاد عبود وهو يسمع ما يجود به نصور ابن ام نصور وسأله: من هي خطيبتك الوحيدة؟

وتمتم نصور مجيباً: هي ابنة عمك سعاد يا خواجه جهاد.

وسأله جهاد مازحاً: هل اتفقت معها على اعلان الخطوبة يا نصور؟

ورد نصور: اجل

- متى؟.

- الآن.. منذ نصف ساعة.

ووجم جهاد عبود: منذ نصف ساعة؟ واين شاهدتها منذ نصف ساعة، ان سعاد لا تزال نائمة في سريرها والساعة الآن لم تبلغ التاسعة من الصباح.

ولم يجب نصور فعاد جهاد عبود الى طرح السؤال: اين هي سعاد الآن.

وفتل نصور ابن ام نصور شاربيه.

وعقد حاجبيه.

وارتسمت الرصانة على وجهه الأسمر.

ولمعت البلاهة في عينيه.

وأجاب: لا.. لن أقول لك أيها السيد جهاد، أين هي خطيبتي الآن..

ومضى جهاد عبود في مزاحه.

قال، محاولاً تحريض نصور على البوح: ولكن خطيبتك ما زالت في سريرها تغط في نومها الآن.

فضحك نصور وهمس: « مسكين يا خواجه جهاد.. ما معك خبر شي.».

وتدخلت نوال سلمان، صديقة سعاد عبود، فانبرت تسأل نصور، بدورها: ألا تقول لي أنا، أين تكون صديقتي سعاد الآن يا نصور؟.

وأمسكت بيده تشدها برفق وحنان وتهمس متسائلة: ألست خطيبتك الحبيبة؟ أتخفي عن خطيبتك الأسرار؟.

وكاد نصور يعلن لسعاد ما شاهد وما سمع في الغابة الخضراء.

الا أنه عاد إلى التفكير ينغمس فيه: «أيجوز له أن يعلن لنوال أن سعاد في الغابة مع نبيل الهادي، وأنها منصرفة إلى تعلم أصول الصيد، اكراماً لعينيه هو، كي تستطيع أن ترافقه إلى الجرد العالي في رحلات الصيد؟.

وتمتم نصور: لن أقول لك أين تكون خطيبتي سعاد أيتها الآنسة نوال، فهذا سر بيني وبين خطيبتي، وليس لأحد أن يطلع عليه.

قال نصور هذا، وسار في سبيله وهو يهدر بحنق وغضب واستياء: يا لهؤلاء البشر... انهم ليطمعون أبداً في كشف خبايا قلوب المحبين. والوقوف على اسرارهم.

ووقف جهاد عبود، بعد ابتعاد نصور يقول لصديقة ابنة عمه، نوال سلمان: مما لا شك فيه ان سعاد لا تزال غارقة في نومها: سأصعد إلى الدار وأدعوا امرأة عمي إلى إيقظاها لتوافيك إلى هنا، إلى الحديقة حيث نتناول قهوة الصباح معاً.

وهم بالسير.

إلا أنه توقف وقد شاهد الخادمة أم سعيد مقبلة نحوهما.

واقتربت أم سعيد منهما فبادرها جهاد بقوله: أرجو أن تصعدي إلى غرفة سعاد، فتوقظيها وتقولي لها: اننا ننتظرها هنا في الحديقة لنتناول قهوة الصباح، ولا تنسي يا أم سعيد، أن تحضري لنا القهوة إلى هنا.

وقفلت أم سعيد عائدة.

وصعدت إلى الدار لتعود بعد قليل قائلة: الآنسة سعاد ليست في غرفتها أيها السيد جهاد.

ووجم جهاد عبود، ودهشت نوال سلمان: اذن. ما قاله نصور ابن أم نصور كان صحيحاً.

والتفت جهاد إلى أم سعيد يسألها: وأين هي؟

فقلبت ام سعيد شفتيها، وهزت كتفيها وهمست: لست أدري يا سيدى.

وإذا بوالد سعاد، ناصر عبود يطل عليهما.

وتقدم منهما مرحباً بصديقة ابنته متمتماً: أهلاً بالآنسة نوال، ستكون فرحة سعاد بك كبيرة وأنت تفاجئينها بزيارتك في هذا الصباح.

ثم التفت ناصر عبود إلى ابن أخيه ليقول: أتكون على استعداد للذهاب الآن إلى بيروت يا جهاد.

وكان جهاد قد اعتاد أن يرافق عمه صباح كل يوم إلى المصرف في بيروت، بعد أن أصبح مديراً لذلك المصرف، إلا أنه

ذاك اليوم، لم يكن راغباً في مرافقة عمه، وقد شغل غياب سعاد تفكيره، وكلمات القروي الساذج نصور ابن أم نصور، بدأت تتردد في خاطره: «مسكين يا خواجه جهاد.. ما معك خبر شي».

ورد جهاد على عمه بقوله: لن أرافقك اليوم يا عمي إلى المصرف.

وسأله ناصر عبود: لماذا يا جهاد؟

قال: انني لأشعر بصداع شديد. وأرجو أن أتمكن غداً من مرافقتك.

قال صاحب مصرف الاقتصاد: يجب أن تواظب على عملك.

في المصرف يا ابني.لا سيما وأنت ما زلت في مرحلة التمرين على إدارة المصرف. قد اضطر يوماً إلى الانقطاع عن العمل، وعليك أن تكون ملماً بجميع أعمال المصرف.

وتمتم جهاد: غداً سأكون برفقتك يا عمي، وثق أنني لن انقطع عن عملي في المصرف، وسأكون دائماً عند حسن ظنك.

وودع ناصر عبود ابن أخيه، وصديقة ابنته نوال.

واستقل سيارته الخاصة، وأشار إلى السائق بالتوجه إلى بيروت.

وأدركت نوال سلمان، أن جهاداً اعتذر عن مرافقة عمه، لا بسبب الصداع، كما ادعى أمام عمه، بل ليكتشف سر سعاد، فازدادت قلقاً.

ورأت أن تبحث عن سعاد، فتجدها وتعود بها إلى الدار قبل أن تبدأ النار بالاندلاع، وتقع الكارثة. لا سيما، ونار الحقد

والغضب والغيرة تتقد في عيني جهاد عبود.

وما فكرت به نوال سلمان فكر به جهاد عبود: يجب أن يبحث عن سعاد، ويقف على مقرها، ويعود بها إلى الدار.

وتساءل جهاد عبود في سره: أين أجدها؟ وكيف؟

وما خطر في بال جهاد من أسئلة، خطر أيضاً في بال نوال سلمان، إلا أن جهاداً لم يستطع أن يجيب نفسه على هذه الأسئلة، في حين استطاعت نوال سلمان أن تجيب.

والمرأة أشد ذكاء من الرجل، وأبعد حكمة، وأعمق حيلة، في ما يتعلق بكشف الخبايا وجلاء الأسرار.

وأجابت نوال سلمان نفسها على اسئلتها هامسة في سرها: نصور ابن ام نصور... ما هناك سوى نصور يستطيع أن يرشدني إلى مقر سعاد.

والتفتت نوال إلى جهاد لتقول: ما دامت صديقتي سعاد ليست في الدار فانني سأعود إلى دارنا. أرجو أن تبلغها سلامي أيها السيد جهاد عندما تعود.

فهمس جهاد عبود: لن يطول غياب سعاد. يمكنك أن تنتظريها هنا ريثما تعود. سنتناول القهوة، ونقوم على انتظارها.

فاعتذرت. قالت: لا.. يجب أن أعود إلى الدار.

فتمتم جهاد عبود والقلق باد على وجهه: لا أخفيك يا نوال، انني لست مطمئناً لخروج سعاد من الدار في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح. ان تصرفات سعاد تثير مخاوفي، فهي بعيدة

كل البعد عني، وكلما حاولت التقرب منها أشعر أنني أزداد بعداً عنها. أيكون ثمة شاب في حياة سعاد؟.. أنت صديقتها وهي تصارحك بخفايا فؤادها. أرجو أن تجيبي على سؤالي: أيكون ثمة حب يشغل قلب ابنة عمي سعاد؟.

فحاولت نوال طمأنة خاطره.

قالت: لا.. اطمئن يا جهاد. سعاد تحبك، وهي مخلصة في حبها لك، وليس ثمة أي شاب في حياتها.

فهمس: أرجو أن يكون ما تعلنينه صحيحاً يا نوال.

قالت: اطمئن. فأنا ما نطقت بسوى الحق.

ومدت يدها تصافحه مودعة، هامسة: إلى اللقاء يا جهاد.

فتمتم، وهو يصافحها: إلى اللقاء.

وسارت نوال سلمان في الطريق الذي سار فيه نصور ابن أم نصور وهي لا تعلم أين ستجده.

ومرت بالفلاحين المنتشرين في أنحاء المزرعة، يجمعون القمح على البيادر، أو يقطفون أثمار الاجاص والتفاح، أو يحرثون الأرض، فراحت تبحث بنظرها بينهم عن نصور.

إلا أنها لم تقع له على أثر.

واقتربت من فلاح شاب كان يجمع القمح عن البيدر، تسأله: هل تعلم أين يكون نصور الآن؟.

فتساءل الشاب الفلاح: نصور؟.. ابن أم نصور؟.

قالت: أجل ابن أم نصور؟

قال: نصور فوق، في الكروم انه يعمل مع القطافين في قطف

العنب ونقله إلى المعصرة.

والكروم لم تكن تبعد كثيراً عن البيادر فسارت نوال إلى الكروم.

مسيرة عشر دقائق ووصلت إلى الكروم الفسيحة الأرجاء المبسوطة من أعلى الجبل إلى السفح على تيه وعظمة وشموخ.

وكان الفلاحون والعمال في الكروم الواسعة الأطراف.

منهم من يقطف العناقيد الصفراء كثريات الذهب.

ومنهم من ينقل سلال وصناديق العنب إلى المعصرة.

ومنهم من يتولى العصر لتحويل العنب إلى دبس.

فراحت نوال سلمان تبحث عن نصور بين أولئك العمال والفلاحين.

ولم يطل بحثها.

فالاهتداء إلى نصور ابن أم نصور بين الفلاحين والعمال ليس بالأمر العسير...

وهل يخفى القمر؟...

وشاهدته..

كان يحمل صندوقا مليئا بالعناقيد ويسير به الى المعصرة.

فبادرته بالسلام: اسعد الله صباحك يا نصور.

وتوقف نصور.

ولمعت عيناه ببريق الدهشة والاستغراب.

ولم يرد السلام بل هو تقدم منها متسائلاً، وكأنه لا يصدق ما يشاهد: من أرى؟ الآنسة نوال؟.

فابتسمت له.

واقتربت منه هامسة: جئت لأراك يا خطيبي العزيز، لقد حملني الشوق على اجنحته إليك.

فارتاح نصور لما تقول نوال سلمان.

وقال متفاخراً: لست وحدك من تشتاق إلي ولا تستطيع الابتعاد عني. كل بنات القرية والمزرعة يشتقن الى نصور ويتعذبن لابتعاده عنهن.

فهمست بمكر وخبث ودهاء: الكل ما عدا سعاد عبود.

فأنزل نصور صندوق العنب عن كتفه، ليقول: وسعاد عبود قبل الكل..

واقترب منها ليهمس في اذنها: سعاد تحبني حباً عظيماً. وهي المرشحة الأولى بينكن لتكون زوجة نصور ابن أم نصور. سعاد ستخطف نصوراً منكن يا بنات.

قالت نوال: لن تستطيع سعاد أن تخطفك مني يا نصور.

فلمعت البلاهة في عينيه وتساءل: لماذا؟.

قالت: لأنني أحبك أكثر مما تحبك.

فارتاح نصور كل الارتياح.

وانبسطت أساريره لما يسمع من نوال، إلا أنه عاد إلى التساؤل: أنت تحبينني أكثر مما تحبني سعاد عبود؟

قالت مؤكدة: أجل أحبك أكثر مما تحبك بنات القرية والمزرعة كلهن.

فهمس بلهجته القروية: «مش صحيح...» سعاد تحبني أكثر.

فربتت بيدها على كتفه متمتمة: لدي البرهان القاطع على صحة ما أقول.

قال: إلي ببرهانك أيتها الانسة نوال؟.

فتمتمت: والدليل على أنني أحبك أكثر من سعاد، هو أنني لحقت بك إلى هنا إلى الكروم، أما سعاد فمن يدري أين هي الآن...

وقهقه نصور.

وهز رأسه هازئاً ليقول: سعاد تحبني أكثر مما تحبينني أنت.. أنت لحقت بي إلى هنا. هذا صحيح. ولكن هل تعلمين أين هي سعاد الآن، وماذا تفعل من أجلي؟.

فأدركت نوال أنها واصلة إلى ما تريد الوصول اليه.

قالت متسائلة: أين هي؟.. وماذا تفعل الآن من أجلك؟.

فارتسم الجد والحزم في عيني نصور.

وتمتم: سعاد الآن في الغابة الخضراء تتعلم الصيد كي تستطيع أن ترافقني في رحلات الصيد إلى الجرد.

فدهشت نوال لما يقول، وهي تعلم أن نصوراً لا ينطق بالكذب. سعاد إذن في الغابة الخضراء، تتعلم أصول الصيد؟.. ومن تراه يعلمها أصول الصيد وفنونه؟.

ورأت أن تستطلع الأمر من نصور.

فتساءلت: ومن تراه يعلم خطيبتك سعاد عبود الصيد في الغابة الخضراء يا نصور؟.

فهمس في أذنها: نبيل الهادي، ابن ابي نبيل، وكيل المزرعة.

وازدادت نوال دهشة: هل يمكن هذا؟.. مستحيل.

وعاد نصور إلى التأكيد: وحياة عينك أيتها الآنسة نوال. إن سعاد جالسة الآن مع نبيل الهادي تحت أغصان السنديانة الكبيرة في الغابة الخضراء، تتعلم أصول الصيد، وقد مررت بهما منذ قليل، وأنا في طريقي إلى الكروم، وشاهدتها وتحدثت اليهما. وقد باحت لي سعاد بحبها، وقال لي أنها تتعلم أصول الصيد اكراماً لخاطري كي تستطيعْ مرافقتي يوماً إلى الجرد لاصطياد الطيور.

واتسعت الابتسامة على شفتي نصور وهمس: من تراها تحبني أكثر؟ أنت؟ أم هي؟!..

وتمتمت نوال: لا.. هي.. هي تحبك أكثر يا نصور

قال: اما قلت لك ذلك؟..

واكتفت نوال بما سمعت.

وأسرعت بالابتعاد عن نصور مسرعة في طريقها إلى الغابة الخضراء.

ووصلت بعد مسير طويل إلى الغابة.

وتوغلت بين الأشجار الكثيفة الوارفة الظلال الدائمة الاخضرار.

واتجهت نحو السنديانة الكبيرة العجوز، وهي تتساءل: ترى هل تكون سعاد هناك تحت ظلال السنديانة الخضراء كما ادعى نصور؟. وهل تكون وحدها هناك؟ أم انها تجلس قرب ابن وكيل المزرعة نبيل الهادي كما أعلن الشاب الساذج القروي، نصور ابن ام نصور؟.

واقتربت نوال من السنديانة الخضراء العجوز فاذا بها تسمع همسات ووشوشات.

وتوقفت وأرهفت أذنيها، وهي تدنو من السنديانة بتمهل وحذر، فسمعت صوت صديقتها سعاد عبود: «نبيل!.. ان الله، سبحانه وتعالى، الذي جمع بين قلبينا سيجمع بيننا ويمهد أمامنا سبيل الحياة معاً. لن نفترق سنحيا معاً على هذه الأرض وسننعم بهوانا الطهور الفواح العبير. لن تستطيع يد أن تفرق بيننا يا نبيل، ما دامت يد الله عز وجل، هي التي جمعتنا، وباركت حبنا الخالد العظيم».

وتهادى صوت نبيل الهادي ليتساقط في أذن نوال سلمان: «حياة الإنسان تمتد إلى ما وراء الأفق البعيد المدى الواسع الأطراف يا سعاد. نحن سنلتقي هناك في دنيا الخلود، اذا قدر لنا أن نفترق هنا على هذه الأرض الفانية، ما همنا إذا افترقنا على الأرض ما دمنا سنلتقي هناك في العالم الثاني، حيث لا هم ولا ألم ولا عذاب ولا دموع، ثقي يا حبيبتي يا سعاد أن روحينا ستظلان معاً، ولن تستطيع يد أن تفرق بينهما».

ووجمت نوال سلمان وهي تسمع همسات الحبيبين المتيمين.

وادركت أن الحب الهائل العظيم يعصف بالقلبين قلب سعاد وقلب نبيل.

فهمست في سرها بهلع وخوف، فلينقذهما الله مما ينتظرهما الويل لسعاد من غضب ابن عمها جهاد وثورة والدها إذا وقفا يوماً

على ما يربط بين قلبها وقلب نبيل الهادي من عاطفة وشوق وهوى وغرام وحنين ».

وتقدمت منهما..

والتفتت سعاد لتشاهد صديقتها نوال سلمان تقترب منهما وهي تبتسم.

وقلق نبيل الهادي، وقد أيقن أن نوال سلمان سمعت كل أو بعض ما دار بينه وبين سعاد من حديث.

وخشي نبيل أن تفشي نوال السر وتطلع والد سعاد على ما التقطت أذناها من كلمات الهوى والهيام.

واقتربت نوال منهما، والابتسامة تشع على شفتيها النديتين.

وبادرتهما بالقاء التحية: صباح الخير...

ووثبت سعاد إليها تعانقها

ووقف نبيل يصافحها والقلق يطل من عينيه.

وتمتمت سعاد عبود متسائلة: ما جاء بك إلى هذه الغابة في هذه الساعة المبكرة من الصباح يا سعاد؟

فأجابت سعاد وهي تبتسم: نصور ابن ام نصور... هو الذي أرشدني إلى مقركما.

فتمتمت سعاد: قصف الله عمره...

فأمسكت نوال بيد صديقتها سعاد هامسة: يجب أن تعودي الآن فوراً إلى الدار يا سعاد.

وتساءلت سعاد: لماذا؟

قالت: أخشى أن يكون ابن عمك جهاد في طريقه الآن إلى هذه الغابة.

فوجمت سعاد.

ووجم أيضاً نبيل.

وتابعت نوال سلمان كلامها.

قالت: ان الظنون والشكوك بدأت تعصف برأس ابن عمك بعد أن وقف على غيابك عن الدار في هذه الساعة المبكرة.

فعادت سعاد الى التساؤل: ومن اطلعه على غيابي؟

قالت: نصور ابن أم نصور.

- وهل أخبره نصور أنني هنا مع نبيل؟

- لا لم يفش نصور السر. لم يطلع جهاداً على ما يعلم، إلا أنه اكتفى بأن أعلن أنه شاهدك وأن الإتفاق تم بينكما على الزواج، أما أنا فقد لحقت بنصور ابن أم نصور واستطعت أن أحمله على البوح بكل ما يعلم، بعد أن لمست الغضب والغيرة والحقد في عيني ابن عمك جهاد، وقد خشيت أن يبحث عنك ويقف على مقرك فتكون الكارثة الكبرى، ولذلك فقد أسرعت لأُطلعك على كل ما جرى وما حدث.

والتفتت سعاد عبود إلى حبيبها نبيل الهادي مودعة، قائلة: إلى اللقاء غداً يا نبيل.

وهمس نبيل: إلى اللقاء يا سعاد.

وحملت سعاد بندقيتها وطيورها المصطادة وسارت قرب صديقتها نوال عائدة إلى دارها.

والتفتت نوال سلمان إلى صديقتها سعاد عبود، وهما سائرتان بين الأشجار الباسقة الخضراء لتقول: سعاد!... أنت تعلمين أنك عندي في منزلة أختي، ومحبتي اياك تدفعني إلى إسداء النصح اليك.. ان ما تقدمين عليه يا سعاد سيقودك إلى الكارثة، ويصل بك إلى وهدة عميقة الغور بعيدة القرار، ليس لك أن تتورطي في هوى نبيل الهادي وهناك ابن عمك جهاد عبود، يقيم منك على انتظار.

وصمتت سعاد، فلم تنبس بحرف، وكأنها تعلم أن ليس لها أن تتورط في هوى نبيل الهادي.

فعادت نوال إلى الكلام لتقول: كوني عاقلة يا سعاد، كوني حكيمة واعية، هل تعلمين إلى أي منحدر تنحدرين وإلى أية وهدة تتدحرجين وأنت تنغمسين في هوى نبيل الهادي؟

فتمتمت سعاد، وهي تسير قرب نوال بين الأشجار الوارفة الظلال: اعلم... اعلم يا نوال.

فعادت نوال سلمان الى التساؤل: ما دمت تعلمين مصير هذا الحب فلماذا تكملين المسير في طريقه الشائك الخطر البعيد؟

وعادت سعاد عبود الى الصمت تعتصم به، ولا تفوه بحرف.

واكملت نوال سلمان نثر نصائحها في مسامع صديقتها سعاد.

قالت: نظرة واحدة إلى المستقبل القريب القريب يا سعاد نوضح لك هول الكارثة الرهيبة التي ستنقض عليك وعلى حبيبك نبيل الهادي أيضاً، إذا وقف والدك على العلاقة العاطفية العميقة

الغور، الوثيقة العرى التي تربط بين قلبيكما... وهل يخيل إليك أن والدك سيكون راضياً عن هذه العلاقة؟. ثم تصوري أي انتقام سيكون انتقام ابن عمك جهاد منك ومن نبيل إذا قدر له أن يطلع على علاقتكما هذه؟

ولم تجب سعاد عبود على اسئلة صديقتها نوال سلمان، بل هي بادرتها بسؤال ينطوي على المكر والدهاء.

قالت: نوال!.. هل احببت يوماً؟ هل وقعت مرة في شرك الحب يا صديقتي؟

فأجابت نوال: وأية فتاة لم تحب وتهوى يا سعاد؟

قالت سعاد: ما دمت قد احببت فأنت تعلمين أية عاصفة عاتية هوجاء تعصف بقلوب المحبين العاشقين. نحن أمام عاصفة الحب الرهيبة كالأزهار الندية الطرية العود، لا تستطيع الصمود ولا تقوى على المقاومة، بل هي تستسلم للرياح، وتعصف بها تلك الرياح فتحطم اغصانها الطرية وتنثر أوراقها الندية، أنا حيال حب نبيل الهادي كالفراشة يا نوال. هل رأيت فراشة يوماً تقترب من السراج وتظل تقترب حتى تحترق؟ أنا هي تلك الفراشة، وحب نبيل الهادي هو السراج المنير، انني أعرف، كما تعرف الفراشة، ان مصيري الاحتراق اذا اقتربت من نور السراج وبالرغم من ذلك فأنا ما زلت اقترب من هذا السراج لأحترق بناره وبنوره يا نوال.

فتمتمت نوال سلمان، وقد هالها ما تسمع من صديقتها سعاد: يا سعاد، أنا أعلم أن الحب العنيف لا يقاوم، وأن العاطفة المشتعلة في قلوب البشر لا يمكن اخمادها وان نور الشوق والحنين الذي ينير

قلوبنا لا يمكن أن يطفأ،إلا أننا يجب أن نلجأ دائماً إلى عقولنا لا أن ننقاد إلى قلوبنا ، فالعقل وحده يرشدنا إلى الطريق المستقيم،أما القلب فهو أعمى يقودنا دائماً نحو المجهول، وكثيراً ما يكون هذا المجهول وهدة عميقة الغور، بعيدة القرار.

فصمتت سعاد، وانصرفت الى التفكير.

انها لتفكر بهذا المصير المجهول الذي يقودها قلبها إليه. ترى ما هو هذا المصير؟ وإلى أين سيقودها هذا القلب الخافق المعذب المتمرد المجنون؟

وكانتا قد اقتربتا من الدار من دار ناصر عبود.

وشاهدت نوال سلمان جهاداً يتمشى في الحديقة وهو يدخن على تأفف وتجهم وانقباض فهمست في أذن سعاد: ها هو ابن عمك جهاد يقيم على انتظارك، يبدو أنه حاقد غاضب ثائر فلينجنا الله من ثورة غضبه ومن نار حقده.

فهزت سعاد كتفيها هازئة.

وهمست: فليفعل ما يطيب له فأنا لست مهتمة به وبغضبه.

ودخلتا الى الحديقة.

واقتربتا من جهاد فإذا به مقطب الحاجبين مكفهر الجبين، وقد ألقى بلفافة بين شفتيه راح ينفث دخانها بغضب وتأفف.

وألقت نوال سلمان عليه التحية، والابتسامة تشع على شفتيها: أسعد الله صباحك أيها السيد جهاد.

والتفت جهاد اليها

ونفث دخان اللفافة في الفضاء متمتماً: صباح الخير، أيتها الآنسة نوال.

ولم يلتفت إلى ابنة عمه متجاهلا وجودها قرب نوال.

وتمتمت نوال: لقد عدت اليك ثانية هذا الصباح، الا أنني لم أعد وحدي، بل اصطحبت معي سعاد هذه المرة.

ولم ينبس جهاد عبود بحرف.بل هو مضى في التدخين وفي نفث دخان اللفافة في الفضاء.

وتابعت نوال كلامها.

قالت: لقد التقيت بسعاد وهي عائدة من رحلة الصيد فعدت معها، انظر يا جهاد ماذا اصطادت سعاد اليوم.

وألقى جهاد عبود نظرة سريعة على سعاد، فشاهد البندقية في كتفها وبعض الطيور معلقة في وسطها فابتسم، وانبسطت أساريره واطمأن فؤاده: اذن سعاد لم تكن في موعد غرام، ولا هي كانت في زيارة شاب لقد كانت تصطاد الطيور، لقد أساء الظن بها، وأثارت الغيرة العمياء غضبه وفجرت الحقد في قلبه. يا له من عاشق غيور غبي.

وعجب جهاد عبود من نفسه: كيف يغار على سعاد، وهو لا يحبها ولا هو يطمع في الوصول الى قلبها بقدر ما يطمع في الوصول الى مالها. والغيرة لا تكون إلا حيث يكون الحب، ترى هل يحب جهاد عبود ابنة عمه سعاد، وهو الذي ينتقل من امرأة إلى امرأة دون أن يعرف الهوى طريقاً إلى قلبه؟.

وأدرك جهاد أنه لا يحب سعاد ، إلا أنه يخشى أن يكون ثمة من يزاحمه على الوصول الى قلبها ، وفي الوصول الى قلبها وصول الى الأموال الطائلة المكدسة في مصرف الاقتصاد اللبناني الذي يملكه والدها ، والذي أصبح هو مديره العام.

وساد الصمت ارجاء الحديقة فيما جهاد منصرف الى التفكير.

وقطعت نوال حبل الصمت لتقول: لقد أصبحت سعاد صيادة ماهرة أيها السيد جهاد ومن يصطد الطيور يصطد القلوب فكن حذراً منها على قلبك.

وضحك جهاد.

وتقدم من ابنة عمه هاتفاً: يا لك من صيادة ماهرة يا سعاد، كيف استطعت أن تصطادي كل هذه الطيور؟

ولم تجب سعاد بحرف، بل هي دخلت إلى الدار دون أن تعير جهاداً أي اهتمام.

ولحقت نوال بها.

وظل جهاد في الحديقة يفكر في المستقبل الزاهر الزاهي السعيد الذي ينتظره بعد زواجه من سعاد.

وقضت سعاد عبود طيلة ذلك النهار مع صديقتها نوال.

وفي المساء، خرجت سعاد مع نوال في نزهة الى القرية المجاورة.

وحرصت سعاد على المرور بمنزل وكيل المزرعة منصور الهادي علها تصادف نبيلا في طريقها أو لعلها تراه امام منزله.

إلا أن الحظ لم يسعفها في مشاهدة نبيل، فلا هو في الطريق ولا هو امام المنزل.

وعادت الى دارها لتتناول العشاء مع والديها ومع جهاد ثم تدخل الى غرفتها لتستلقي على سريرها وتنصرف الى التفكير بحبيبها نبيل وبرسم خطة الهرب معه إلى ما وراء البحار.

لقد عقدت سعاد عبود العزم الثابت المتين الذي لا رجوع عنه، على الهرب مع نبيل وقد أيقنت أن ليس ثمة من طريق تسلكه للبقاء قرب نبيل الا طريق الهرب.

ستهرب مع نبيل الهادي، وسيتزوجان ويعيشان في المهجر القاصي البعيد عيش الأزواج السعداء.

ونامت سعاد عبود على احلامها الهانئة وامانيها المخضلة الجناح.

واستفاقت كعادتها، في ساعة مبكرة من الصباح لتحمل بندقيتها وتخرج من الدار الى الغابة الخضراء للقاء حبيب القلب والروح.

ووصلت الى الغابة آملة أن تجد نبيلا في انتظارها كعادته.

الا أن املها خاب.

فلم يكن نبيل هناك تحت اغصان السنديانة الدائمة الاخضرار.

وجلست فوق الاعشاب تنتظر حضور نبيل الهادي، الا أن انتظارها طال، ونبيل لم يبن له أثر...

وبدأت الشمس تغمر الغابة الخضراء، فيتسلل نورها من بين الأغصان كخيوط الذهب، والطيور راحت تتنقل من غصن إلى غصن مغردة شادية، وسعاد عبود جالسة تحت اغصان السنديانة الوارفة الظلال على قلق وحيرة واضطراب.

واشتد القلق بها، وقد بدأت الشمس تتوسط كبد السماء دون أن يلوح لنبيل أي أثر.

وتأففت وتبرمت.

وكادت الدموع تطفر من عينيها، وقد شعرت بان ثمة كارثة ستنقض عليها، فليس من عادة نبيل أن يخلف موعده معها، ولا هو تأخر يوماً في موافاتها الى الغابة.

وهمست في سرها والقلق يستبد بها: نبيل!.. أين أنت يا حبيبي؟

ولم تلق من جواب سوى حفيف أوراق الأغصان الخضراء وتغاريد الطيور.

ونهضت سعاد عبود، وقد أدركت أن نبيلا لن يحضر فقد كان من عادته أن يكون في الغابة مع مطلع الصباح. وعندما تصل هي إلى الغابة، صباح كل يوم، تجده في انتظارها تحت أغصان السنديانة الوارفة الظلال.

أما اليوم فان الشمس استقرت في كبد السماء ونبيل لم يبن له أثر، ومن المؤكد أن ثمة ما حال دون حضوره، وهي تخشى أن تكون هناك مصيبة دهياء نزلت بنبيل.

وحملت بندقيتها وسارت دون أن تصطاد طيراً واحداً،.

فالصيادة الماهرة لم توفق اليوم.

وسارت عائدة إلى الدار وهي تفكر بحيرة وقلق واضطراب انها لتفكر بنبيل الهادي وبالسبب الذي دفعه الى التخلف عن موافاتها الى الغابة.

ووصلت الى الدار، والقلق يستبد بها.

وشخصت الى غرفتها تنزع عنها ثياب الصيد وترتدي ثوبها.

واستلقت على السرير، وهي تفكر: ترى ماذا حل بنبيل؟

ولماذا اخلف موعده معها؟

ولماذا لم يوافها كعادته إلى الغابة؟

ولم تستطع أن تجيب على سؤال واحد، فوثبت من السرير وخرجت من الغرفة إلى البهو.

ونادت اليها أم سعيد: يا أم سعيد!.. تعالي.

وأقبلت أم سعيد، وقد كانت في المطبخ منصرفة الى تهيئة الطعام: يا روح أم سعيد ما بك؟

فسألتها: أين هي أمي؟

وردت أم سعيد: أمك ذهبت مع والدك وجهاد إلى بيروت وهم سيعودون بعد الظهر.

فتأففت وتبرمت سعاد.

وتمتمت: هل حضر إلينا اليوم الوكيل منصور الهادي؟

فتساءلت أم سعيد: أبو نبيل؟

قالت أجل أبو نبيل.

- أجل.. لقد مر بنا في الصباح الباكر فتحدث إلى والدك ثم تابع سيره إلى الكروم، فموسم القطاف كما تعلمين في أوجه، والعمال كلهم في الكروم.

- وابنه نبيل؟ هل كان برفقته.
- لا.. لم يكن ابنه برفقته.
- حسناً عودي إلى عملك يا أم سعيد.
وأدركت أم سعيد أن سعاد في قلق واضطراب.
فسألتها: هل أهيء لك فنجان قهوة يا ابنتي؟
- لا. شكراً يا أم سعيد، انني خارجة من الدار.
- إلى أين يا ابنتي.
- سأشخص إلى صديقتي نوال سلمان.

فتمتمت أم سعيد، وهي تسير عائدة إلى المطبخ: لا تتأخري يا ابنتي فوالدك ووالدتك وجهاد سيعودون بعد قليل وسينتظرونك لتناول طعام الغداء.

ولم تجب سعاد، بل هي خرجت من الدار.
واتجهت إلى دار صديقتها نوال سلمان.
واستقبلتها نوال بالترحيب.

وأمسكت بيدها قائلة: تعالي نجلس في الشرفة يا سعاد.
وتمتمت سعاد: لا.. لن نجلس سنخرج معاً.
- إلى أين؟
- إلى الكروم.

فتساءلت نوال سلمان: لماذا تريدين الصعود إلى الكروم الآن يا سعاد؟

فهمست سعاد: ان السأم يعصر قلبي، أريد أن أخرج إلى الأحراج. إلى الكروم، إلى الحقول، إلى البساتين تعالي، تعالي معي يا نوال.

فشدت يد نوال يد سعاد.

وهمست: تريدين أن تهربي من السأم؟ ألا تعلمين أن السأم سيلحق بك إلى حيث تهربين منه؟ تعالي يا سعاد، سنهيء القهوة معاً أنا وأنت، وسنرشف قهوتنا على الشرفة ونتحدث لعلني أستطيع أن أخفف عنك وطأة السأم وعبء الهموم والآلام.

ودخلتا إلى المطبخ.

وكانت أم نوال في المطبخ تهيء الطعام فرحبت بسعاد..

وراحت تسألها عن والدها ووالدتها، وسعاد تجيبها على أسئلتها وهي شاردة الذهن تفكر بنبيل.

وهيأت نوال القهوة، وحملتها واتجهت مع سعاد إلى الشرفة، وجلستا ترشفان القهوة وتتحدثان.

ولمست نوال سلمان في صديقتها سعاد القلق، والاضطراب.

فهمست: سعاد!.. أنت عندي في مقام أختي لو عندي أخت لما أحببتها أكثر مما أحبك. أخبريني يا سعاد ما بك؟

قالت: انني قلقة حائرة.. أنا تعسة يا نوال التعاسة تحيط بي والشقاء يغمرني بأجنحته الحالكة السواد.

فتمتمت نوال: إنك لعلى خطأ يا سعاد فأنت فتاة سعيدة، السعادة تغمر روحك، إلا أنك لن تعرفي قيمة هذه السعادة إلا إذا فقدتها، فالإنسان على هذه الأرض، يسعى إلى السعادة في حين تكون السعادة قربه حتى إذا ابتعدت عنه أدرك أنه كان سعيداً فما هناك انسان يستطيع أن يقول: «أنا الآن سعيد...» هو يقول: «كنت سعيداً» أو يقول: «سأكون سعيداً» يوم كنا في المدرسة كان يخيل إلينا أننا تعسات وأننا سنلقي السعادة يوم نخرج من المدرسة، وبعد أن خرجنا من المدرسة، أدركنا أننا كنا سعداء يومذاك وتمنينا لو أننا نعود إلى مدرستنا، ونحن اليوم أنا وأنت يخيل إلينا أننا تعستان وأننا سنكون سعيدتين يوم نتزوج. وغداً عندما نتزوج سندرك أننا كنا سعيدتين ونتمنى لو أننا نعود كما كنا هذه هي حال البشر، يفتشون عن السعادة في المستقبل الآتي حتى إذا وصلوا إلى المستقبل شاهدوا السعادة في الماضي الآفل.

فهمست سعاد، وهي ترشف القهوة: لن نلقى السعادة على هذه الأرض يا نوال ومن يدري إذا كنا سنلقاها بعد الموت، تافهة هي حياة البشر على هذه الأرض الفانية يا أختي.

قالت نوال: إذا أردنا أن نكون سعداء في حياتنا علينا أن نتخلى عن همومنا، وقلقنا، وأفكارنا الممضّة المتعبة، ليس ثمة على هذه الأرض ما يستحق سكب الدموع وإثارة الآلام والهموم.

وصمتت سعاد..

وراحت تنظر إلى الأفق البعيد بعينين تائهتين تغمرها الدموع.

وقلقت نوال سلمان كل القلق، وهي تشاهد الدموع تموج في عيني صديقتها سعاد عبود، فعادت تمسك بيدها هامسة: ما بك يا سعاد أخبريني كل شيء لعلني أستطيع أن أخفف عنك.

ولم تجب سعاد.

فحاولت نوال استدراجها إلى الكلام.

قالت: ماذا فعلت اليوم؟ وأين كنت قبل أن تحضري إلي؟

وردت سعاد: كنت في الغابة.

فطغت ابتسامة ماكرة على شفتي نوال سلمان.

وهمست متسائلة: كنت مع نبيل الهادي في الغابة الخضراء؟

فأجابت: لا... نبيل لم يحضر اليوم إلى الغابة.

واتسعت الإبتسامة على شفتي نوال.

وتمتمت بتساءل ملحاح: ولذلك فأنت تريدين الذهاب إلى الكروم علك تشاهدينه هناك؟

فتمتمت سعاد: إنني قلقة على نبيل يا نوال.

فأسفت نوال لقلق صديقتها، وقد أدركت أنها تتألم.

قالت: سعاد!.. كوني عاقلة يا أختي أنت ما زلت في أول الطريق من حب نبيل. خير لك وله أيضاً أن تعودا من أول الطريق.

فتدحرجت الدموع غزيرة على وجنتي سعاد عبود الجميلتين.

وهمست: ليتني أستطيع العودة قبل أن أتوغل في الطريق يا نوال. ليتني أستطيع أن أتخلص من هذا الحب المحرق الموجع

المرهق الذي يعذبني ويدمي فؤادي ليتني أستطيع أن أبتعد عن نبيل.

وتمتمت نوال سلمان: أرى أن تحاولي الابتعاد. فإذا استطعت كان ذلك خيراً لك وله ولأهلك ولأهله، وإذا لم تستطيعي فما عليك إلا أن تتركي الأمر للأقدار وتتكلي على الله عز وجل، وهو سبحانه وتعالى يوجه خطواتك إلى الطريق المستقيم.

ومسحت سعاد عبود دموعها.

وكانت الصديقتان قد انتهيتا من رشف القهوة.

فوقفت نوال تقول متسائلة: أتريدين الإطمئنان إلى مصير نبيل ومعرفة سبب تخلفه عن الحضور إلى الغابة في الموعد المضروب؟

ولم تجب سعاد، بل نظرت إلى صديقتها نوال سلمان نظرة ملؤها التوسل والرجاء.

فابتسمت نوال ابتسامة هادئة مطمئنة وتمتمت: تعالي معي.

فتساءلت سعاد: إلى أين؟ إلى الكروم؟

قالت: لا.. سنشخص إلى دار نبيل.

- إلى دار نبيل.

- أجل، إن لم نجده في الدار فسنجد أمه أو والده أو أحد أقاربه، فأنت ابنة صاحب المزرعة ونبيل ابن وكيل المزرعة، وليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة والاستغراب عندما تزور ابنة صاحب المزرعة دار الوكيل طالبة إلى ابن الوكيل أن يساعدها في غرس بعض الأزهار في حديقتها.

ودهشت سعاد، وهي تسمع ما تقول نوال، فنوال على حق، وهي كما يبدو أشد ذكاء منها، وأبعد حيلة.

وسارتا...

واتجهتا إلى منزل منصور الهادي وهما تتحدثان وتتسايران.

وكانت سعاد قلقة وهي تسير إلى منزل وكيل المزرعة قرب صديقتها نوال، فهي تخشى أن تقع على كارثة تحطم قلبها في منزل منصور الهادي تخشى أن تقف على مصيبة نزلت بحبيبها نبيل، والمصيبة التي تنزل بنبيل تنزل من قلبها في الصميم.

ووصلتا بعد سير طويل إلى منزل وكيل المزرعة، وهو منزل قروي صغير، تحيط به الأشجار المثمرة والأزهار والورود وتخيم عليه النظافة وتغرد حوله الطيور إنه مثل منازل جميع القرويين في لبنان.

وطرقت نوال الباب.

فتعالى صوت امرأة من الداخل: من؟ من.. يطرق الباب؟

انه صوت أم نبيل.

وردت نوال: أنا نوال سلمان يا خالتي أم نبيل.

وفتح الباب.

وأطلت منه امرأة في زهاء الستين من العمر، نحيلة الجسم ما زالت على مسحة من الجمال القروي الآفل.

وتمتمت أم نبيل، وعيناها تقعان على الفتاتين: الآنسة سعاد؟ والآنسة نوال؟ أهلاً أهلاً وسهلاً يا ابنتي أهلاً بكما، لقد أنرتما منزلنا، تفضلا، تفضلا بالدخول.

وأفسحت أمامها سبيل الدخول إلى المنزل وهي تلقي في مسامعها كلمات الترحيب الصادق العميق: يا لها من مفاجأة سارة، لم يكن لهذا المنزل المتواضع أن يحظى بتشريفكما يا حبيبتي أهلاً أهلاً، أهلاً.

وفيما سعاد ونوال تجلسان في صحن المنزل القروي الصغير كانت أم نبيل تسرع إلى المطبخ لتعود بعد قليلٍ حاملة لهما المرطبات.

وقدمت لهما كأسي المرطبات وعادت إلى المطبخ، لتعود حاملة لهما الأثمار.

ثم تسرع بالعودة إلى المطبخ لتعود حاملة لهما الحلوى: تفضلا.. هذه الحلوى صنعتها بيدي ستروق لكما.. تفضلا.. ألف ألف صحتين.

وفيما تتناول الفتاتان الحلوى كانت أم نبيل تنصرف إلى اعداد القهوة.

إنها الضيافة المدهشة التي عرف بها القروي اللبناني.

وبعد قليل حملت أم نبيل إليهما القهوة..

ولم تعد هذه المرة إلى المطبخ بل هي جلست قربهما تسايرهما وتحدثهما وتسألهما عن أحوالهما وأخبارهما وصحتهما وصحة أهلهما.

وفيما هما يتناولات القهوة همست أم نبيل في اذانهما: «اقلبا» فنجانيكما بعد الانتهاء من رشف القهوة سأبصر لكما واكشف لكما ما ينتظركما من سعادة وهناء.

والتبصير في لبنان، هواية تتقنها النساء لا سيما القرويات، وهي وسيلة تسلية لا تمت إلى الإطلاع على المستقبل بصلة.

وهن يعرفن أن ليس ثمة من يستطيع أن يقف على المستقبل المجهول إلا الله عز وجل.

والتفتت نوال إلى المرأة القروية اللطيفة تسألها: أين هو المحروس نبيل؟ فنحن لا نشاهده في المنزل؟

وأرهفت سعاد أذنيها لالتقاط الجواب، وقد خيل إليها أن زوجة منصور الهادي ستجيب: «نبيل في الكروم، يشرف على العمال وهم يقطفون العنب»..

إلا أنها وجمت وهي تسمع أم نبيل تجيب: نبيل ليس هنا لقد ذهب اليوم إلى طرابلس، وقد يشخص من طرابلس إلى بيروت.

وتساءلت سعاد بدهشة واستغراب: ذهب إلى طرابلس وقد يشخص إلى بيروت؟

وردت أم نبيل: أجل يا ابنتي، هل أنتما بحاجة إليه؟

وتولت نوال الجواب

قالت: أجل، نريد منه أن يساعدنا في غرس بعض الأزهار فهو خبير في أصول الزراعة.

وعادت سعاد الى السؤال: لماذا ذهب إلى طرابلس؟ ولماذا سيشخص إلى بيروت؟

فأجابت أم نبيل متأوهة: لا أعلم يا ابنتي ماذا حل بابني.لقد تغير نبيل.كان هانئاً سعيداً فرحاً فأصبح الآن كما يلوح لي تعساً شقياً.البسمة لم تعرف شفتيه منذ شهور، والتجهم ماثل أبداً في وجهه، والاكفهرار يسود جبينه، وهو يبدو ساهماً، قلقاً شارد

الذهن. لا يعرف الاستقرار ولا ينعم بالسكينة والهدوء، لقد تغير نبيل يا ابنتي يا سعاد، ولا أعلم لماذا تغير؟ ولا ماذا حل به، وبت أخشى عليه وعلى مصيره في الحياة.

وعادت سعاد إلى التساؤل بقلق واضطراب: ولكن لم تقولي لنا لماذا شخص نبيل إلى طرابلس، ولا قلت لنا لماذا سيشخص إلى بيروت.

وتمتمت أم نبيل: وهي تتحاشى الإجابة على السؤال: هل قلبتما الفناجين؟ أين هو فنجانك أيها الآنسة سعاد؟

وأعادت سعاد السؤال: لماذا غادر نبيل القرية اليوم يا خالتي؟

وترقرقت الدموع في عيني أم نبيل.

وخنقتها الغصة وهي تجيب: نبيل يريد أن يسافر.. يريد أن يتركنا، ويبتعد عنا، يريد أن يغادر لبنان إلى هناك، إلى ما وراء البحار يا ابنتي.

وذعرت سعاد...

وظهر الذعر واضحاً جلياً في عيني سعاد عبود.

وخشيت نوال سلمان أن يفضح الذعر المطل من عيني سعاد ما في قلبها.

فالتفتت إلى زوجة منصور الهادي تسألها: متى سيسافر نبيل يا أم نبيل؟

ومسحت أم نبيل دمعة انسابت من مقلتها على وجنتيها.

وتمتمت: لست أدري يا ابنتي. لست ادري متى سيبتعد نبيل عنا.

وتناولت سعاد الكلام متسائلة: وماذا عساه يفعل اليوم في طرابلس؟ ولماذا يريد التوجه إلى بيروت؟

وردت الأم: إنه يلاحق معاملات السفر، الجواز، والتأشيرة، وبطاقة السفر..

وعادت الدموع لتنسكب على وجنتي أم نبيل.

وتكسرت الكلمات على شفتيها وهي تتمتم فليحرسه الله، وليعده إلي سالماً.

وسألتها سعاد: متى سيعود إلى القرية؟

فأجابت: سيعود مساء اليوم أو غداً على الأكثر.

- ومتى سيسافر؟

- لا أدري يا ابنتي، قد يسافر خلال اسبوع أو اسبوعين على أبعد تعديل.

ونهضت نوال هامسة في اذن صديقتها: فلنعد أدراجنا يا سعاد.

ووقفت سعاد تهم بالمسير مع نوال،إلا أن أم نبيل دعتها إلى الجلوس هاتفة: أتذهبان قبل أن أقرأ لكما ما في فنجاني القهوة من خفايا وأسرار؟

وتولت نوال سلطان الرد.

قالت: سنعود في المساء لنستشير نبيلا في غرس أزهارنا، وسنحسو القهوة وتبرجين لنا.

وودعتا أم نبيل وسارتا عائدتين.

وكانت سعاد تفكر بعزم حبيبها نبيل على السفر، وهي سائرة

في الطريق بين الأشجار.

وكان الألم يعصر قلبها وهي تتساءل: أيسافر نبيل ويتركني هنا وحدي؟ هل يطاوعه قلبه على الابتعاد عني؟ وكيف ستكون حالي وقد نأى نبيل عني و...

وشاهدت نوال سلمان، صديقتها سعاد في صمتها وتفكيرها وذهولها، وهما سائرتان، فأمسكت بيدها لتقول: سعاد! لا تستلمي للألم ولا تلقي بنفسك في وهدة العذاب، كوني عاقلة يا أختي، وارجعي عن هذا الحب الأليم الذي يعذبك ويبعث الآلام إلى قلبك والدموع إلى عينيك.

فتمتمت سعاد عبود: ما أهون اسداء النصائح يا نوال، وما أصعب العمل بها، أنا لو استطعت لما أبقيت على ذرة من شوق وحب وحنين في قلبي يا أختي.

ومضتا في سيرهما.

وتمتمت نوال: سترافقينني إلى دارنا وسنقضي ما تبقى من النهار معاً.

لقد أرادت نوال سلمان أن تظل قرب صديقتها سعاد لتخفف عنها وطأة الألم الذي يعصف بقلبها.

وردت سعاد: لا ... بل أنت سترافقينني إلى دارنا، تعالي معي يا نوال تعالي فأنا بحاجة قصوى إليك.

قالت نوال: كما تشائين يا سعاد، سأرافقك إلى داركم وسأظل قربك طيلة هذا اليوم.

وسارتا إلى دار صاحب مصرف الاقتصاد فاذا بالجميع، بأم سعاد وبوالدها وبابن عمها جهاد يقيمون منها على انتظار لتناول طعام الغداء.

وتمتمت أم سعاد: أين كنت يا ابنتي؟ لقد أشرفت الساعة على الثانية بعد الظهر ونحن ما زلنا ننتظرك لتناول طعام الغداء.

وتولت نوال سلمان رد الجواب قالت: كانت سعاد في زيارتي، وقد أبت أن تتناول طعام الغداء عندي، ودعتني إلى تناول الغداء عندها..

فأشرق وجه زوجة ناصر عبود.

وقالت: أهلاً وسهلاً بك يا ابنتي يا نوال.

واقترب جهاد عبود من سعاد ليقول مازحاً: لقد ذهبت مع عمي إلى بيروت وعدنا، وسعاد لم تستطع أن تجتاز المسافة القصيرة بين دار نوال ودارها.

وضحكت نوال.

وتمتمت: هل يخيل إليك أن البطولة في اجتياز المسافة أيها السيد جهاد؟ إن أقرب الطرق للوصول إلى الأهداف هي الطرق المعبدة وليست القصيرة.

وكأن نوال تقول له: «إذا شئت أن تصل إلى قلب سعاد فما عليك إلا أن تعبد الطريق إلى ذلك القلب قبل أن تبدأ المسير..»

ووقف ناصر عبود ليقول: تفضلوا إلى قاعة الطعام، انني أتضور جوعاً.

ودخلوا إلى غرفة الطعام.

وكانت سعاد غارقة في ذهولها وتفكيرها وشرود ذهنها.

انها لتفكر بنبيل: ترى هل سيعود في المساء إلى القرية؟..

هل سيظل في بيروت أو في طرابلس؟

وأخيراً أتراه يسافر إلى المهجر القاصي البعيد دون أن يعود إلى القرية ليودعها ويودع والديه؟

ولم تتناول سعاد إلا القليل من الطعام.

وعندما انتهوا من تناول الغداء خرجوا إلى قاعة الاستقبال حيث تناولوا القهوة.

وحاولت نوال العودة إلى دارها إلا أن سعاد أبت أن تبتعد عنها.

قالت: تعالي معي. سنرتاح قليلا في غرفتي ثم أرافقك إلى دارك.

ودخلتا الى الغرفة.

وجلستا...

وعادت نوال سلمان إلى القاء النصائح في مسامع سعاد وهي تشاهدها ساهمة حائرة مثقلة بالهموم.

قالت: سعاد! يلوح لي أن الله سبحانه وتعالى يسدّد خطواتك في طريق التخلص من هذا الحب الذي يعذبك، ويمهد أمامك السبيل إلى السلوان والنسيان، غداً يوم يسافر نبيل سترين نفسك مجبرة على النسيان، وقد قيل: «البعد جفاء» وأرى أنه من الخير لك

وله أن تبتعدا وأن تتخلصا من الآمكما وعذابكما ودموعكما فليسافر وفي سفره انقاذ قلبيكما من نار محرقة رهيبة.

ومسحت سعاد عبود دمعة ترقرقت في مقلتيها.

وهمست: أية حال مؤلمة ستكون حالي وقد ابتعد نبيل عني يا نوال؟ أي ألم سيحل بي وأية كارثة ستنقض علي؟.

وابتسمت نوال لتقول: ستتعذبين يوماً يومين، ثلاثة... شهراً شهرين، ثلاثة، وربما سنة كاملة، ثم تجدين نفسك سائره في طريق النسيان، لقد قيل: أن كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فهي تبدأ كبيرة ثم تصغر.

قالت سعاد: لا. لا. لن أقوى على احتمال المصيبة يا نوال، لن أدع نبيلا يسافر، وإذا كان لا بد من سفره فسأكون إلى جانبه في طريق السفر.

فوجمت نوال سلمان.

قالت: مجنونة... أتسافرين معه؟ أتهربين من دار والديك؟.. وماذا سيحل بهذين الوالدين وقد هربت ابنتهما من دارهما مع حبيبها؟ يجب أن تفكري بوالديك يا سعاد قبل أن تفكري بنفسك.

وانهمرت الدموع غزيرة على وجنتي سعاد، ونصائح صديقتها نوال سلمان تقع منها في الأذنين: نوال على حق، يجب أن تفكر بوالديها قبل أن تفكر بنفسها.

وعادت نوال إلى الكلام لتقول: نحن الفتيات خلقن لنكون دائماً الضحية يا أختي، هكذا خلقنا الله، فهو سبحانه وتعالى الذي زرع في قلوبنا الطاهرة الرحيمة، العطف والشوق والحنان، ودفعنا

في طريق التضحية، لقد كتبت التضحية علينا يا أختي ولن نستطيع أن نهرب مما كتب علينا.

ومضى الوقت سريعاً، وسعاد ونوال جالستان تتحدثان وتتداولان.وعجزت نوال عن اقناع سعاد بالابتعاد عن ذلك الهوى الذي يعذب قلبها.

ووقفت نوال تقول: فلنخرج من الدار تعالي معي يا سعاد.

قالت سعاد: إلى أين؟.

وشعت ابتسامة هادئة على شفتي نوال سلمان.

وهمست: إن أم نبيل تنتظرنا لتبصر لنا تعالي...

لقد رأت نوال سلمان أن تساعد صديقتها سعاد على إخماد النار اللاهبة المتقدة من قلبها، بعد أن عجزت عن اقناعها بالابتعاد عن ابن وكيل المزرعة.

وارتاحت سعاد بعض الارتياح، وصديقتها نوال سلمان تدعوها للعودة إلى دار وكيل المزرعة فهي تريد أن تعلم أين أصبح نبيل-هل عاد إلى القرية، أم تراه ما زال في بيروت؟

وسارتا متجهتين إلى منزل منصور الهادي.

وقبل أن تصلا إلى المنزل بقليل شاهدتا أم نبيل تحمل جرتها وتخرج من المنزل في طريقها إلى العين.

واقتربت أم نبيل منهما مبتسمة لتقول متسائلة: عدتما لتتناولا القهوة عندي فأبصر لكما وأقرأ طالعكما؟

وردت نوال: لا بأس... أنت الآن ذاهبة إلى العين سنعود إليك غداً يا خالتي أم نبيل.

وهتفت أم نبيل: لا ... وحياتكما الغالية عندي لن تعودا الآن قبل أن تشربا قهوتي وتستمعا إلى تبصيري، ادخلا إلى المنزل ان نبيلا في الداخل، لقد عاد منذ قليل انتظراني سأعود بعد دقائق قليلة يا ابنتي الحبيبتين.

نبيل داخل المنزل؟

واتسعت الابتسامة على شفتي الفتاتين، سعاد ونوال.

وتمتمت نوال: سننتظرك في المنزل ريثما تعودين يا أم نبيل، لن نعود قبل أن نتناول قهوتك اللذيذة ونستمع إلى تبصيرك المدهش العظيم.

وسارت أم نبيل في طريق العين وهي تتمتم: دقائق قليلة وأكون عندكما.. انتظراني.

وتوارت عنهما بين الأشجار...

واتجهت سعاد ونوال إلى منزل وكيل المزرعة.

وقرعت نوال الباب.

وإذا بنبيل يطل عليهما.

وعقدت الدهشة لسانه وهو يشاهد سعاد ونوال أمامه.

وتمتمت نوال: جئنا نهنئك بعودتك من بيروت.

ولم تنبس سعاد بحرف.

وأفسح نبيل أمامهما السبيل إلى الداخل متمتماً: أهلاً وسهلاً. تفضلا.

ودخلتا...

وجلستا...

وجلس نبيل قرب سعاد فتولت نوال سلطان الكلام وقد لمست القلق والاضطراب في الحبيبين المتيمين: قالت: أهكذا تقرر السفر إلى المهجر القاصي البعيد يا نبيل دون الوقوف على رأي سعاد؟.

ورد نبيل: يبدو أن الله كتب انا الفراق يا نوال.

قالت نوال: إذا كان لا بد من الفراق فليكن فراقاً بطيئاً أي فليكن فراقاً «بالتقسيط» لا فراقاً مفاجئاً سريعاً أنتما لن تستطيعا احتمال وطأة الفراق الأليم يا نبيل.

قال نبيل: لقد اتضح لي أن بقائي قرب سعاد سينزل بها المصائب والكوارث والويلات فآثرت الابتعاد عنها يا نوال، خير لسعاد أن تخسر نبيلا من أن تخسر السعادة مدى الحياة ومن أن تكون السبب في الإساءة إلى والديها ·ان التضحية في الحب هي أسمى ما يستطيع الحبيب أن يقدم لحبيبته.

وماجت الدموع في عيني نبيل الهادي، وهو يتحدث عن التضحية في الحب.

وأدمعت أيضاً عينا سعاد.

وكادت تدمع عينا نوال.

وتمتمت سعاد، وهي تمسح دموعها: نبيل.. فلننظر أولاً إلى الحاضر القريب قبل أن ننظر إلى المستقبل البعيد. لماذا نستعجل فراقنا؟ لماذا نستعجل انقضاض الكارثة؟ لماذا نستعجل مصرع قلبينا؟ فلنترك للأيام تدبير أمرنا وليس لنا أن نتدخل في ما يقره القدر وتدبره الأيام.

قال: يجب أن أسافر يا سعاد. يجب أن أبتعد عنك.

قالت بحزم وعزم وثبات: لا. لن تسافر ستظل هنا قربي يا نبيل.

قال متسائلاً: وإلى متى سأظل قربك يا سعاد؟.

قالت: إلى أن يفرجها الله، من يعلم ماذا تخبىء لنا الأقدار؟ قد تكون ثمة سعادة تنتظرنا ونحن على اعتقاد أن الشقاء مصيرنا.

قال بأصرار: يجب أن أسافر.. يجب أن أسافر.

قالت: سأسافر معك؟

فوجم وقال: لا. لن تسافري معي يا سعاد، فأنا ما عزمت على السفر إلا لأبتعد عنك وأنقذك من العذاب؟.

قالت: اذن ابقَ هنا قربي.

وتدخلت نوال في الحديث لتقول: اسمع يا نبيل!.. أنا أرى أن نؤجل موعد سفرك الآن. فلنتريث لعل الله ينفحكما ببصيص أمل في المستقبل القريب.

وصمت نبيل.

وخيم الصمت بينهم.

وعادت نوال إلى محاولة اقناع نبيل بتأجيل موعد السفر.

ووفّقت بعد محاولة طويلة صعبة.

فهمس نبيل الهادي: لا بأس لن أسافر اذن قبل انقضاء فصل الخريف.

قالت سعاد: يخيل إلي انك تعللني بالوعد يا نبيل.

قال: ثقي يا سعاد أنني صادق، لقد وعدتك بأن أظل هنا في هذه القرية حتى انتهاء فصل الخريف.

قالت: هل انجزت جواز السفر.

قال: أجل.

- أين الجواز؟.

- انه معي.

- الي به...

وابتسم...

وهمس: تريدين أن تحتفظي بالجواز لتضمني تنفيذ الوعد؟ لا بأس يا سعاد.. إليك بجواز السفر.

ونهض ليدخل إلى غرفته، ويعود بجواز السفر فيدفع به إلى حبيبته سعاد هامساً: تفضلي.. هذا هو جواز السفر احتفظي به إلى آخر فصل الخريف.

وامتدت يد سعاد الى الجواز لتخفيه في محفظتها مبتسمة هامسة: سأنتظرك صباح غد في الغابة الخضراء تحت أغصان السنديانة الوارفة الظلال.

ونهضت.. ووقفت نوال.. وودعتا نبيلاً وخرجتا.

وفيما هما تخرجان التقتا بأم نبيل عائدة بجرتها الملأى فهتفت بهما متسائلة: إلى أين بالسلامة؟ ألا تريدان أن تشربا القهوة وتقفا على مستقبلكما السعيد يا ابنتي الحبيبتين؟..

وردت نوال: سنعود غداً أو بعد غد إليك يا خالتي أم نبيل، وليس لنا غنى عن قهوتك وتبصيرك.

وسارتا مبتعدتين.. واختفتا في الطريق القروي الضيق الغارق بين أشجار التفاح المثقلة بالأثمار.

وتمتمت نوال سلمان، وهي تسير قرب صديقتها سعاد عبود: هل اطمأن قلبك الآن يا سعاد؟

قالت سعاد: أنا ما زلت أخشى أن يعمد نبيل إلى السفر يا نوال، أخشى أن أفقده وأن يقف النوى بيني وبينه.

فابتسمت نوال قائلة: كيف يخيل اليك انه سيسافر وجواز سفره في حقيبتك؟

قالت سعاد: لست أدري ما بي، فأنا ما زلت قلقة يا نوال.

واتسعت الابتسامة على شفتي نوال سلمان لتقول: ان قلوب العشاق دائمة القلق شديدة الاضطراب، فما هناك قلب عاشق إلا ويغمره القلق وتعصف به رياح الشكوك والظنون والأوهام اطمئني يا سعاد، وإذا كان لا بد لك من القلق فعليك أن تقلقي وتخافي من أن يكتشف والدك أو ابن عمك جهاد سر علاقتك العاطفية العميقة الغور بحبيبك نبيل.

فتساءلت سعاد: وماذا علي أن أفعل لأتقى الخطر يا نوال؟

قالت نوال: أنا ما زلت عند رأيي. أرى ان تمهدي منذ الآن لقطع كل علاقة لك بنبيل الهادي، عليك أن تسيري خطوة خطوة منذ الآن، منذ هذه الساعة في طريق الابتعاد عن نبيل يا نوال: انت لن تستطيعي ان تقطعي علاقتك به دفعة واحدة، الا انك تستطيعين ان تبتعدي عنه على دفعات. ان الدواء لا يؤخذ يا اختي مرة واحدة، بل هو يؤخذ على جرعات عليك ان تبدئي بتناول الجرعة الاولى الآن، بالعودة مع ذويك الى بيروت وتحاولي النسيان، اما الجرعة الثانية فتكون بأن تعيدي لنبيل جواز سفره

وتتركي له حرية التصرف به.

فهدرت سعاد، وهي تسير قرب نوال: لا.. لا.. لا لن ابتعد عنه ولن أدعه يبتعد عني،الموت اهون لدي من الابتعاد عن نبيل يا نوال.

وهمست نوال: فليأخذ الله بيدك يا سعاد يا اختي وليساعدك على احتمال ما ينتظرك من مصائب وويلات والآم ودموع.

قالت: ارجو ان لا تتخلّي عني يا نوال، وان تقفي بجانبي وأن تساعديني لأصل الى ما أصبو اليه من آمال عذبة وأحلام وارفة الظلال.

وهمست نوال: اطمئني سأظل ابداً قربك يا سعاد لن اتخلى عنك وأرجو ان استطيع درء الآلام عنك وابعاد الدموع عن عينيك الحلوتين يا اختي.

- ٣ -

اقامت سعاد عبود تنتظر موعدها مع نبيل الهادي على نار ولهب..

فهي تريد ان تتفق واياه على الهرب والسفر معاً الى ما وراء البحار

هناك في المهجر القاصي البعيد تستطيع أن تعيش واياه عيشاً هادئاً هانئاً مطمئناً.لقد انجز نبيل جواز سفره وما عليها ألا ان تنجز هي جواز سفرها.

وما أن أطل صباح اليوم التالي حتى كانت سعاد عبود ترتدي ثياب الصيد وتحمل بندقيتها وتتجه الى الغابة آملة أن تجد نبيلا في انتظارها هناك تحت السنديانة الخضراء الوارفة الظلال.

ووصلت الى الغابة.

ووجمت وقد اكتشفت ان نبيلا لم يكن في انتظارها تحت السنديانة.

وجلست فوق الاعشاب الخضراء تنتظر حضوره وهي قلقة حيرى: ترى، لماذا لم يحضر نبيل؟ وهل هو سيحضر ام لا؟ واذا هو لم يحضر فماذا عليها ان تفعل؟ هل تشخص الى داره؟

وطال تفكيرها وطال انتظارها دون أن يبين لنبيل الهادي اي اثر .

ووقفت تهم بالعودة الى المزرعة ، وقد عزمت على أن تشخص الى صديقتها نوال وتذهب وإياها الى ام نبيل لتبصر لهما بالقهوة .



وقبل ان تهم بالمسير سمعت وقع خطوات تتكسر فوق الحصى والصخور.

وارهفت أذنيها فاذا بالخطوات تقترب منها: من تراه القادم اليها؟ أيكون نبيلا؟

واقترب القادم منها، وأطل عليها من بين الاغصان والاشواك والاعشاب فاذا هو نصور ابن ام نصور.

وابتسم نصور: صباح الخير يا حلوة..

- صباح الخير يا نصور.

- ماذا تفعلين هنا يا خطيبتي؟.

- كما ترى يا نصور.. اني اصطاد الطيور.

واقترب منها نصور ابن أم نصور متمتماً: يبدو انك ما زلت تجهلين اصول الصيد يا «مدموازيل» سعاد.

- ومن قال لك ذلك؟

- انا لست بحاجة الى من يقول لي.. «محسوبك» نصور ابن ام نصور شاب ذكي يعجبك، لو كنت تجيدين أصول الصيد لكنت اصطدت عصفوراً واحداً على الاقل.

قالت: انني كما تعلم يا نصور، ما زلت أتعلم أصول الصيد، وسأتقن اطلاق النار يوماً واصطاد الطيور.

قال: وترافقينني الى الجرد في رحلات الصيد؟

فتمتمت: طبعا.. طبعا يا نصور فأنا لا اتعلم اصول الصيد الا لأرافقك في الرحلات البعيدة الى اعلى قمم الجرد.

فضحك نصور فرحاً وقال: «إي.. شدي حيلك» يجب أن تتقني الصيد خلال أسابيع قليلة لانني سأقوم برحلة صيد قريباً بعد ان ينتهي موسم القطاف وستكونين برفقتي يا خطيبتي.

فهمست: ان شاء الله يا نصور.

وهدر: «بخاطرك... أشوف وجهك بخير».

قالت: مع السلامة يا نصور.

وسار نصور ابن ام نصور متابعاً سيره، الا ان سعاد نادته اليها: نصور.. تعال.. تعال يا نصور.

وعاد نصور: ماذا تريدين يا حلوة؟

قالت: لي عندك طلب.

- «امر؟.. نحنا بأمرك يا حلوة».

- هل تؤدي لي خدمة يا نصور؟

- «بدها سؤال؟. لك ان تطلبي وعلى خطيبك نصور ابن ام نصور ان يلبي الطلب».

- قالت: اريدك ان تشخص الى منزل وكيل المزرعة منصور الهادي.

وهم نصور بالمسير وهو يتمتم: بأمرك يا حلوة انني سأشخص إلى منزل الوكيل الآن حالا.

فاستوقفته قائل: وماذا ستفعل هناك؟

قال: لا شيء.. سأمتثل لامرك واذهب الى دار منصور افندي.

قالت: اسمع ما اقول لك يا نصور تذهب الى دار الوكيل فاذا وجدت ابنه نبيل هناك قل له انني انتظره هنا، اما اذا لم تجده فلا تتكلم الى احد، لا الى امه ولا الى ابيه بل عد توا الي.

فلمعت الغيرة في عيني نصور وهدر: ماذا تريدين من ابن منصور الهادي يا خطيبتي؟

فابتسمت سعاد

واجابت: انت تعلم يا نصور ان نبيلا يعلمني أصول الصيد كي أستطيع ان أرافقك الى الجرد.

قال مقاطعاً: «مظبوط».

قالت: ولكن نبيلا انقطع عن تعليمي منذ يومين.

- لماذا؟

- قال انه ليس مجبراً على ان يعلم الصيد لخطيبة نصور.

- هو قال ذلك؟

- أجل.. هو يا نصور قال ذلك.

وهز نصور رأسه وهدر: طيب...

قالت: أرجو ان تذهب اليه وتقول له انني انتظره هنا.

قال: اسمعي يا حلوة.. انا ذاهب الآن الى عملي في الكروم الا انني سأشخص الى منزل الوكيل وسيكون لي حساب مع ابنه نبيل اذا وجدته.. اما اذا لم اجده فسأتابع طريقي الى الكروم ولن اعود اليك.. ولكن..

- ولكن ماذا يا نصور؟.

- ولكن غداً لن ادعك « ترجين جميلة » نبيل ابن ابي نبيل: غداً سأعلمك أنا اصول الصيد.

قالت: لا.. لا أريد ان تنقطع عن عملك من اجلي.

قال: « فدى عيونك... وبلا اجرة نهار »..

وسار متمتماً: اطمئني اذا لم يحضر نبيل بعد نصف ساعة عودي الى البيت يا خطيبتي وغداً ستجدينني هنا مع مطلع الصباح.

وعادت سعاد الى الجلوس فوق الاعشاب

وسار نصور متجهاً الى منزل منصور الهادي.

ووصل نصور الى منزل الوكيل،

ووقف أمام الباب يطرقه.

وفتح الباب، وأطل منه نبيل.

وتمتم نصور، وهو مقطب الجبين: صباح الخير يا خواجه نبيل.

- اهلا بنصور...

- لا أهلا ولا سهلا.

- ما بك يا نصور؟ تفضل.

- « ما بدي اتفضل ».

- ولكن ما بك؟ لماذا يرتسم الغضب على جبينك يا نصور؟

وهدر نصور: « ولو يا خواجه نبيل.. هيك بتعمل فينا؟ ».

- وماذا فعلت بك يا نصور؟

وبدأ نصور بالعتاب: نحن لم نكلفك بشيء بعد ولم نطلب منك خدمة قط.. « مظبوط؟ »

- مظبوط » يا نصور.

- لقد تفضلت وبدأت بتعليم خطيبتي سعاد اصول الصيد، واذا بك تنقطع عن القيام بالمهمة..

- ولكن..

- بلا «ولكن».. تفضل وأكمل معروفك.

- ولكنني مشغول اليوم يا نصور أرجو أن تعفيني من هذه الخدمة

وزعق نصور: «ما راح اعفيك.. البنت ناطره بالحرج لا تتأخر عليها».

قال نبيل متسائلا: الا تزال سعاد في الغابة؟

وهز نصور رأسه مشيراً بالإيجاب وقال: «إي...»

وابتسم نبيل الهادي

وهمس: اكراماً لخاطرك يا نصور سأشخص اليها، وانصرف الى تعليمها اصول الصيد.

وكان حملا ثقيلا سقط عن ظهر نصور.

وتمتم: أشكرك يا أخي نبيل والله يقدرنا على ان نرد لك الجميل.. بخاطرك.

- مع السلامة يا نصور.

وسار نصور الى عمله، الى الكروم

واسرع نبيل الى بندقيته يحملها ويسرع الى الغابة الخضراء.

ووصل الى الغابة.

واتجه الى السنديانة العجوز فاذا بسعاد تقيم منه على انتظار

ممض أليم.

ووثبت اليه، والدمعة عالقة في اجفانها

وهمست: اهكذا تحملني على الانتظار الطويل يا نبيل؟

قال: الحقيقة يا سعاد هي انني لم اكن انوي الحضور اليك اليوم.

فتساءلت: لماذا يا نبيل؟

قال: لانني كنت انوي الذهاب الى طرابلس.

فعادت الى التساؤل: وماذا ستفعل في طرابلس.

فجلس

وجلست قربه فوق الاعشاب

قال: سأعمل في مؤسسة تجارية، لن أظل في هذه الربوع يا سعاد.

قالت: أتكون مصمما على العمل في طرابلس.

قال: ما دمت قد حكمت علي بالاّ أسافر الى ما وراء البحار فليس لي الا أن اعمل هنا في لبنان.

قالت وهي تبتسم: تريد ان تهرب مني؟

فتساءل: ليتني استطيع ان اهرب منك يا سعاد،ثقي انك ستظلين في قلبي سواء أكنت هنا في القرية اما هناك في طرابلس اما هنالك في المهجر القاصي البعيد، لقد حللت من هذا القلب الموجع المعذب في الصميم، ولن استطيع ان اقصيك ولا أن ابعدك عن قلبي.

قالت نبيل! نحن لن نفترق، لن تبتعد عني، ولن ابتعد عنك

ستكون حيث اكون، وسأكون حيث تكون.

قال: يخيل الي يا سعاد انني لن استطيع ان اكون حيث تكونين، ولا انت تستطيعين ان تكوني حيث أكون، فلماذا اذن نعذب قلبينا؟ فلنفترق اليوم، خير لنا من أن نفترق غداً.

قالت: لا تكن متشائماً يا حبيبي، نحن لن نفترق لا اليوم ولا غداً.

فأمسك بيدها يشدها بشوق وحنين هامساً: سعاد! يا حبيبتي!.. كل ما في الارض من قوى لا تستطيع ان تسلخ روحي عن روحك، ولا أن تقف بين قلبي وقلبك، ألا أن البشر يستطيعون أن يفرقوا بين جسدينا وأن يبعدوك عني ويبعدوني عنك لذلك فانا أرى أن نبتعد، وأن نفترق، قبل أن نرغم على الإبتعاد. والفراق نحن الآن نستطيع أن نتقي الكارثة قبل وقوعها نستطيع ان نبتعد عن الوهدة العميقة الغور البعيدة المدى التي تنتظرنا انت تعلمين كما اعلم انا اية كارثة ستنقض علينا على وعليك، إذا وقف والدك على ما بيننا من حب وهوى وشوق وحنين..

فشدت يدها يده هامسة: اسمع يا نبيل، أنا ارى ان نكمل الطريق الذي سرنا فيه بكل جرأة وشجاعة حتى النهاية.

قال متسائلا: أية نهاية تنتظرنا في آخر هذا الطريق؟

قالت: أنت لن تسافر الآن الى المهجر القاصي البعيد، ولكنك ستسافر بعد زمن قصير، الا انك لن تسافر وحدك؟ بل سأكون رفيقتك في السفر.

قال بخوف واضطراب: لا .. لا .. لا .. يا سعاد لن تسافري معي، لن تهربي من دار والديك.

قالت: دعني اكمل حديثي.. سنقضي ما بقي من فصل الخريف معاً هنا في هذه القرية، حتى اذا أطل فصل الشتاء، تشخص انت الى طرابلس لتعمل في المؤسسة التجارية، وأشخص انا مع والدي الى دارنا في بيروت.وسنلتقي في بيروت كل اسبوع في دار صديقتي نوال سلمان ونرسم خطة السفر، حتى اذا أطل الربيع نكون قد انهينا كل شيء.

فعاد الى الهمس: لا .. لا يا سعاد.

قالت بأصرار: هذا هو الطريق الوحيد الذي يجب علينا السير فيه يا نبيل. سأغادر دار والدي ونتزوج ثم نستقل الطائرة الى ما وراء البحار حيث نكون هناك في مأمن من كل خطر.

قال متسائلا: ولكن اية حال ستكون حال والدك وقد هربت ابنته من داره كما يهرب اللصوص، وماذا سيفعل هذا الوالد المسكين؟

قالت: سيفعل مثلما يفعل كل والد، يغضب ثم .. ثم يرضى.

فصمت نبيل..

وانصرف الى التفكير الفسيح البعيد العميق القرار.

وعادت سعاد الى الكلام لتقول: سنبدأ بالاستعداد لذلك اليوم الهانيء البهيج يا نبيل، يوم زفافنا الميمون، منذ اليوم، ففصل الخريف قد أشرف على النهاية، والشتاء بدأ يتأهب للبزوغ ونحن،

انا ووالدي وأمي سنغادر هذه الربوع الى دارنا في بيروت بعد اسابيع قليلة وعلينا أنا وأنت أن نتأهب لتنفيذ الخطة المرسومة المضمونة النجاح.

ومضى نبيل الهادي في صمته البارد الكئيب.

فعادت سعاد الى الكلام متسائلة: ما بك يا نبيل؟ انني لأراك منصرفاً الى التفكير، تجلس قربي وتجنح بأفكارك الى البعيد البعيد، قل لي بماذا تفكر يا حبيبي؟

فهمس: انني لأفكر بوالدك، وبوالدتك يا سعاد، افكر بهذا الوالد وبتلك الوالدة اللذين ستهرب ابنتهما مع حبيبها مخلفة لهما الهم والدمع والألم والعذاب.

قالت: مهما أشفقت على والدي ووالدتي فأنت لن تستطيع ان تبلغ بأشفاقك اشفاقي، ومهما أحببتهما فلن تستطيع أن تحبهما كما أحبهما. انني أعلم ماذا سيحل بهما يوم يكتشفان هربي، الا انني أعلم أيضاً أن أمي ذات قلب حنون، وأن والدي مهما غضب وقسا علي فهو سيصفح عني ويعفو، انني أؤكد لك أن والدتي ستلحق بنا الى المهجر القاصي البعيد بعد أيام قليلة من سفرنا لتعيدنا الى لبنان وسنجد والدي بانتظارنا ليضمنا الى صدره الحنون ويصفح عنا، ان والدي يا نبيل سريع الغضب، الا أنه سريع الرضى أيضاً وسيرضى عنا وسيحب صهره نبيلا كما يحب ابنته سعاد.

قال: أخشى ان لا يجد والدك متسعاً من الوقت للصفح والغفران يا سعاد. اخشى ان يقضي الحزن عليه.

فهمست: لا. لا تخف فوالدي يتمتع بصحة منيعة جيدة، فهو

لا يشكو داء، ويستطيع ان يحتمل الصدمة بصبر وقوة وشموخ.

قال: سعاد!.. يا حبيبتي ليس لدي امنية في الحياة اشهى من أمنية العيش قربك مدى الحياة فانا أحبك حباً هائلاً مروعاً مخيفاً رهيباً. هل شاهدت يوماً عاصفة عاتية مجنونة. تمر بغابة وارفة الظلال فتقتلع الاشجار وتحطم الاغصان؟ حبي اياك هو هذه العاصفة، لقد مر بي فحطم ارادتي، اقتلع من قلبي كل عاطفة، الا عاطفة حبك. هل شاهدت يوماً عصفوراً يقع مضرجاً بدمائه تحت نار الصياد؟ أنا هو ذاك العصفور يا حبيبتي يا سعاد. لقد وقعت مضرجاً بدمي تحت نار حبك الهائل العظيم. لقد حاولت وما زلت احاول الهرب من هذا الحب الذي اجتاح قلبي، وعصف بفؤادي، وحطم كل ما في نفسي من ارادة قوية وحزم وعزم وثبات، فعجزت. أنا طوع امرك يا حبيبتي سأنفذ الخطة التي رسمتها أنت لك ان تأمري وعلي أن أطيع.

فهمست سعاد عبوذ، ويدها تشد يده على وله وهوى وشوق وحنين، ما نزل بك نزل بي يا نبيل، وما أصابك أصابني. العاصفة الهوجاء التي عصفت بقلبك الطاهر الحنون، هي نفسها العاصفة التي عصفت بقلبي، وطلق الصياد الذي جندل العصفور واسقطه على الأرض مضرجاً بدمه هو نفسه الطلق الذي جندل العصفورة وأسقطها على الأرض مضرجة بدمها. هو نفسه الطلق الذي جندل العصفورة وسفح دمها. أيخيل اليك يا حبيبي انني راضية عن الهرب من دار والدي؟ أيلوح لك انني مرتاحة الى تسديد هذه الطعنة النجلاء الى ظهر والدي؟.. لا. لا يا نبيل ثق يا حبيبي ان

الالم يعصر قلبي وأنا أفكر بما سأسبب لوالدي ولوالدتي من حزن وألم ودمع في هربي من دارهما والزواج منك، إلا انني أراني مرغمة على ما سأقدم عليه. ان والدي كما تعلم مصر على ان يزفني الى ابن عمي جهاد، وهو لن يرضى بك عريساً لابنته، انني لواقعة الآن بين شرين يا حبيبي. الزواج من جهاد شر، والهرب من دار والدي شر، ولقد اخترت اهون الشرين.

قال ويده لا تزال تشد يدها: ليكن ما تريدين يا حبيبتي سننصرف الى الاستعداد للبدء بتنفيذ الخطة المرسومة، وأرجو أن يسدد الله خطأنا الى ما فيه الخير لنا، ولقلبينا الهائمين المعذبين.

واذا بخطوات تتكسر في اذانهما مقتربة منهما.

فصمتا وارهفا السمع. من تراه القادم اليهما، المقترب منهما؟.. اتراه ابن أم نصور؟

وخيل اليهما ان نصوراً هو القادم اليهما، وقد عودهما الاطلالة عليهما بطلعته البهية.

الا أن القادم لم يكن هذه المرة «الخطيب» العزيز نصور، بل كانت نوال سلمان، صديقة سعاد الحميمة.

واقتربت نوال منهما، والقلق يطل من عينيها.

وتمتمت وهي تقترب منهما دون أن تلقي عليهما التحية: سعاد! .. تعالي.. تعالي معي.. اسرعي يا سعاد اسرعي يا اختي لا تتأخري.

ووقف نبيل، على وجوم،

ووقفت سعاد متسائلة: ما بك يا نوال؟ ماذا حدث؟ ماذا جرى يا اختي.

قالت نوال: ان ابن عمك جهاداً مقبل الى هنا، باحثاً عنك وأخشى أن يدهمكما معاً، وهناك الطامة الكبرى.

فعادت سعاد الى التساؤل: ومن أنبأ جهاداً انني هنا؟

قالت: يبدو انه عالم بأنك مولعة بصيد الطيور، وقد عاد مع والدك من بيروت منذ قليل ولما لم يجدك في الدار قال لوالدك: «من المؤكد ان سعاد ما زالت في الغابة تصطاد الطيور سأشخص الى الغابة وأعود بها الى الدار لنتناول طعام الغداء.

فهمست سعاد متسائلة: طعام الغداء؟

قالت سعاد هذا، ورفعت الساعة الذهبية المشدودة الى معصمها فاذا بالساعة تشير الى الثانية بعد الظهر.

فتمتمت: أوه.. لقد مر الوقت سريعاً.لم أشعر بمرور الدقائق والساعات.

فطغت على شفتي نوال سلمان ابتسامة زاهية.

وهمست: من أين لك أن تشعري بمرور الزمن وأنت الى قرب حبيب القلب والروح؟ المهم الآن ان تخرجي من هذه الغابة وأن تبتعدي عن نبيل قبل وصول ابن عمك.

فتساءلت سعاد: ولكن كيف قدر لك أن تعلمي أن جهاداً قادم الى هذه الغابة في اثري؟

وردت نوال: يبدو ان الله لا يريد كشف سرك، ونشر الفضيحة، ووقوع الكارثة، لقد كنت عندكم، كنت انتظر

عودتك، وأنا اعلم انك هنا في الغابة مع نبيل، وقد دعتني والدتك لتناول طعام الغداء عندكم،قالت لي: «ستعود سعاد وستفرح بوجودك بيننا»..

ورحت أساعدها في اعداد الطعام آملة ان تعودي قبل عودة والدك وجهاد من بيروت، الا أن أملي خاب، فقد عادا قبل عودتك..

وسمعت جهاداً يعلن لوالدك أنه قادم الى الغابة ليعود بك الى الدار فأسرعت اليك، مجتازة الطريق الاقرب، وأشكر الله أنني وصلت قبله.تعالي تعالي اسرعي.. ماذا تنتظرين؟.

وودعت سعاد نبيلا بنظرة ملؤها الهوى والحنين هامسة: الى اللقاء غداً هنا يا حبيبي.

وهمس نبيل: الى اللقاء يا حبيبتي.

وسارت سعاد قرب صديقتها نوال سلمان عائدة الى الدار، وهمست نوال وهي تسير قرب سعاد: سعاد!.. يا اختي الحبيبة، ان لقاءك بنبيل في هذه الغابة لن يكون سليم العاقبة، قد يتمكن جهاد ابن عمك يوماً من أن يدهمكما معاً هنا، وما كل مرة تسلم الجرة، أرى أن تختارا مكاناً آخر للقاء. مكاناً أميناً لا تقع فيه عليكما عين، حتى ولا عين «خطيبنا» نصور ابن أم نصور.

فتمتمت سعاد:اطمئني يا أختي لن يطول ترددنا الى هذه الغابة أيام قليلة ونعود الى بيروت. وقد اخترنا مكاناً للقائنا في بيروت أتعلمين اين هو هذا المكان؟

فتساءلت نوال: أين؟

قالت: عندكم.. في داركم.

فابتسمت نوال وهي تتمتم: ارى انه خير مكان تلتقيان فيه دون ان تخشيا اكتشاف سركما الدفين يا اختي.

وأسرعتا في السير.

وما أن ابتعدتا قليلا عن الغابة حتى شاهدتا جهاداً مقبلا نحوهما.

وابتسمت نوال، وهي تشاهد جهاداً مقبلا نحو الغابة.

وهمست: الحمد لله.. لقد وصل قبل فوات الأوان..

والتقى جهاد بهما.

وألقى التحية عليهما مبدياً دهشته من وجود نوال سلمان قرب ابنه عمه سعاد.

ولم يخفِ دهشته.

فبادر نوال بالسؤال: منذ قليل كنت في دار عمي فماذا اتى بك الى هنا ايتها الآنسة نوال؟ وكيف استطعت ان تسبقيني وتصلي قبلي الى هذه الغابة؟

وضحكت نوال سلمان.

وأجابت: مهما كنت بارعاً في الجري والعدو، فأنت لن تستطيع أن تجاريني يا جهاد، لقد اجتزت المسافة البعيدة بين دار عمك وبين هذه الغابة في دقائق قليلة، وكنت انوي العودة مع سعاد قبل ان تتحرك قدماك في الطريق الى الغابة.

ولم يكن جهادِ عبود مرتاحاً لوصول نوال سلمان قبله الى الغابة.

الا انه لم يبدِ أي استياء.

وسار معها عائداً الى المزرعة، والظنون تعصف به، والشكوك تثير قلقه واضطرابه: ترى لماذا اسرعت نوال في الذهاب الى الغابة؟ ولماذا حرصت على الوصول قبله الى تلك الغابة؟

وجهاد عبود ليس بالشاب الغبي،ولا هو نصور ابن ام نصور،انه ليتربع من المكر والخبث والدهاء على القمة العالية.

وهو خبير في شؤون النساء،وقد اجتاز معهن مراحل شاسعة المدى، ووقف على حيلهن ومكرهن فما ثمة امرأة استطاعت ان تخدع جهاداً،ولا هناك من استطاعت ان تغدر به.

وادرك جهاد عبود ان ثمة سراً في اسراع نوال سلمان الى الغابة لتصل قبله الى سعاد.

ولكن ما هو هذا السر؟

ليس يدري.

وانغمس جهاد عبود في تفكير سحيق بعيد.

وراح يحاول بمكره ودهائه الوصول الى هذا السر.

الا انه لم يستطع الى ذلك سبيلا،

وعزم على مراقبة ابنة عمه، وقد ادرك ان مراقبتها تصل به الى اكتشاف سرها الدفين، والى معرفة ما حمل صديقتها نوال سلمان الى اللحاق بها الى الغابة الخضراء الوارفة الظلال.

ووصلت سعاد ونوال وجهاد الى الدار فاذا بوالد سعاد وبوالدتها يقيمان منهم على انتظار لتناول طعام الغداء.

وبادر ناصر عبود ابنته بالعتاب هاتفاً بها: ايطيب لك ان نظل دون غداء حتى الساعة الثالثة.لقد عضنا الجوع بنابه ونحن نقيم منك على انتظار. اين كنت يا سعاد.

وتولت نوال سلمان الجواب.

قالت: كانت سعاد في الغابة منصرفة الى صيد الطيور وقد شخصت الى الغابة وعدت بها.

فابتسم صاحب مصرف الاقتصاد.

وهمس: سيكون غداؤنا اليوم اذن الطيور التي اصطادتها الصيادة الماهرة الآنسة سعاد.

وتقدم منها متمتماً: لقد ذهبت مع ابن عمك الى بيروت وأشرفنا على العمل في المصرف، ثم عدنا الى هنا، وانت لم تعودي من رحلة الصيد، وليتك اصطدت طريدة واحدة، عصفوراً واحداً اذن لهانت المصيبة.

واذا بأم سعاد تقبل نحوهم داعية اياهم الى قاعة الطعام: تفضلوا.. ام سعيد بانتظاركم لتقدم لكم الطعام.

ودخلوا الى القاعة

وجلسوا يتناولون شهي الطعام ويتبادلون الاحاديث.

ورأى جهاد ان يسير الخطوة الاولى في محاولة اكتشاف سر ابنة عمه فالتفت الى عمه قائلا: أرى أن نعود الى بيروت يا عمي، فقد بدأ البرد القارس يغمر هذه الجبال، وفصل الشتاء بات قريب البزوغ وليس لك ولأمرأة عمي ان تتحملا لسعات البرد.

وانتفضت سعاد واقتراح جهاد يقع في أذنيها.

وتمتمت: لا لن نعود الى بيروت قبل انتهاء فصل الخريف، فأيام الخريف هي اروع وأبهى وأجمل أيام السنة في جبال لبنان.

قال والدها: ارى الحق بجانب جهاد يا سعاد، فالانتقال صباح كل يوم من هنا الى بيروت والعودة من بيروت الى هنا بعد الظهر يتعبانني. وبات الافضل لنا ان نعود الى دارنا في بيروت.

فقالت سعاد: لقد اتفقنا على قضاء فصل الخريف هنا في المزرعة يا والدي، وفصل الخريف لم ينقضِ بعد. والطقس ما زال رائعاً، وموسم القطاف ما زال في أوجه، فلماذا نستعجل العودة الى بيروت وليس ثمة في بيروت ما يدعونا الى الاستعجال في العودة اليها.

فتساءل جهاد: وهل هنا في هذه المزرعة ما يدعونا الى البقاء فيها؟

وردت سعاد عليه بجفاء: تستطيع ان تعود وحدك اذا شئت يا جهاد.

وكان جوابها قاسياً. فرمقتها امها بنظرة عاتبة لتقول: سيعود جهاد الى داره في بيروت عندما نعود نحن الى دارنا في العاصمة اللبنانية.

وتولت نوال سلطان الكلام.

قالت: نحن سنعود الى بيروت في آخر هذا الفصل سنظل هنا حتى آخر شهر تشرين الثاني. اذا شئتم العودة الى بيروت فلتظل سعاد معي هنا.

وحسم ناصر عبود المناقشة ليقول: لا بأس سنظل هنا ريثما ينتهي موسم القطاف اكراماً لعيني سعاد.

ولم يكن جهاد راضياً عن القرار الذي اتخذه عمه.

كان جهاد يريد استعجال عودة أسرة عمه الى بيروت ليستعجل موعد العرس، موعد زفافه من سعاد، وفي هذا الزواج الوصول الى المال الوفير، والاستيلاء على مالها. أما وسعاد تأبى العودة الآن وعمه ينزل عند ارادتها فما عليه الا الانتظار. وخلال فترة الانتظار سيبحث عن ذلك السر الذي يهيب بسعاد الى الاصرار على البقاء في المزرعة.

وانتهوا من تناول الطعام .

ونهضوا

ودخل ناصر عبود وزوجته وابن اخيه جهاد الى قاعة الاستقبال ليتناولوا القهوة.اما سعاد ونوال فقد خرجتا من الدار شاخصتين الى دار نوال.

وتناول جهاد القهوة على عجل.

ولحق بهما آملا ان يكتشف سراً من الاسرار التي تحيط بابنة عمه. فقد بات على يقين من ان ثمة شاباً في حياة سعاد ولكن من هو هذا الشاب

ليس يدري.

وسرت موجة من الحقد والحنق والغضب في دم جهاد عبود وهو يسير مقتفياً اثر ابنة عمه وصديقتها نوال سلمان.

وشاهدهما من بعيد تدخلان الى دار نوال فوقف وراء صخرة

عاتية يراقب مدخل الدار: ترى أيكون ثمة شاب يوافي سعاد الى دار نوال؟

وطال وقوفه وراء الصخرة العالية دون ان تتحقق ظنونه ودون ان يدخل الى الدار الشاب المنتظر.

ورأى ان يستقصي أخبار شبان القرية القريبة من المزرعة.

لا بد من أن يكون ثمة شاب على علاقة بابنة عمه.

والويل كل الويل لذاك الشاب الذي سيسلبه سعاد، ومع سعاد يسلبه الثروة الطائلة التي يحلم بالوصول اليها.

لو أن ذلك الشاب المجهول يستولي على سعاد وحدها لهانت المصيبة اما ان يستولى على اموالها، فهذا ما لا ولن يرضى به جهاد عبود.

وانصرف جهاد عن مراقبة دار نوال سلمان.

وسار الى منازل القرية وله فيها اكثر من صديق وصديقة.

الكل في القرية يعرف جهاد عبود ابن شقيق صاحب المزرعة وصاحب مصرف الاقتصاد ناصر عبود.

ولم يكن جهاد يعلم كيف يستقصي اخبار شبان القرية ولا من يسأل.

الا أن الاقدار مهدت له السبيل الى معرفة ما يسعى اليه.

فقد شاهد ام مسعود تحمل جرتها الملأى بالمياه وتتجه الى دارها.

- نهارك سعيد يا ام مسعود.

وتوقفت ام مسعود عن المسير.

وأنزلت الجرة عن كتفها.

وهتفت: نهارك سعيد يا «خواجة جهاد..» كيف احوالك؟ كيف الصحة كيف صحة عمك ناصر بك، وزوجته وكريمته سعاد؟

ورد جهاد: كلهم بألف خير اخبريني كيف صحتك انت يا ام مسعود؟ وكيف حال أبي مسعود وحال المحروس مسعود؟

- بألف خير يا روحي.

قال: أرى القرية ما زالت عامرة ومعظم المصطافين ما زالوا هنا في القرية يا ام مسعود.

وأم مسعود ثرثارة تبحث عمن يسألها لتجيب،

وهي كثيراً ما تجيب دون ان تُسأل.

فأجابت موسم القطاف لم ينته بعد، والقمح ما زال على البيادر، وشمس الخريف ما زالت دافئة تبعث الحرارة في الاجساد، فلماذا يرحل اذن المصطافون عن هذه القرية الجميلة؟

وعاد جهاد الى السؤال: من هم المصطافون الذين ما زالوا في القرية يا ام مسعود؟

وردت المرأة القروية الثرثارة.. كثيرون، فهناك ابو جميل وابنه جميل وزوجته وابنتها فادية.

- وماذا يعمل جميل ابن ابي جميل يا ام مسعود؟

وتمتمت ام مسعود: جميل حرسه الله انه محامّ، قيل لي انه نال براءة الحقوق هذا العام لا أعلم اذا كان سيمتهن المحاماة فهو ليس بحاجة الى العمل ووالده تاجر أدوية وصناديقه ملأى بالذهب،

تجارة الادوية تجارة رابحة يا خواجة جهاد. أمس اشتريت دواء لابي مسعود بخمسين ليرة وكنت اشتري هذا الدواء منذ سنة واحدة بعشر ليرات.

وهمس جهاد في سره: جميل ابن أبي جميل.. محام... ووالده تاجر ادوية.. غني.. أيكون المحامي جميل هو ذلك الشاب المجهول الذي يبحث عنه؟..

وهمت أم مسعود برفع الجرة الى كتفها لتستأنف مسيرها الا أن جهاداً بادرها بالسؤال: هل هناك مصطافون غير أسرة أبي جميل ما زالوا في القرية؟

وعادت أم مسعود الى الكلام وهي تسند الجرة الى صخرة عاتية: كثيرون!. هناك أسرة نعيم عساف.

- كل افراد الاسرة ما زالوا هنا في القرية؟

- كلهم.. الخواجة نعيم، وزوجته، وبناته الثلاث.

وانطلق لسان ام مسعود بالكلام، وقد سنحت لها الفرصة لافراغ كل ما في جعبتها من خفايا وأسرار: أبو جميل الطرابلسي ما زال وحده هنا، اما زوجته واولاده فقد عادوا الى بيروت، والست نجيبة أرملة يوسف عدوان ما زالت هنا مع ابنتها وصهرها، وفارس المير وزوجته الست هدى لن يعودا الى طرابلس قبل أواخر شهر تشرين الثاني.. القرية ما زالت بألف خير يا خواجة جهاد، وسيظل المصطافون عندنا حتى اطلالة فصل الشتاء.

ورفعت ام مسعود جرتها الى كتفها وهي تتمتم «بخاطرك يا

خواجة جهاد.. تفضل شرّفنا».

وتمتم جهاد: شكراً يا أم مسعود.. شكراً.

وسارت أم مسعود..

خطوات قليلة.

وتوقفت عن المسير لتلتفت وراءها منادية: «يا خواجة جهاد!.. يا خواجة جهاد!..

- ما بك يا أم مسعود؟

- انت لم تقل لي متى ستغادرون المزرعة وتعودون الى بيروت؟

فهي تريد أن تعلم متى سيغادر جهاد وعمه وزوجته وابنتها المزرعة لتطوف بالخبر على القرية.

ورد جهاد: في اواخر هذا الشهر ان شاء الله.

وتابعت أم مسعود سيرها.

وسار جهاد وهو يفكر: ما هناك سوى المحامي جميل، هذا هو مزاحمة على قلب سعاد، الان انكشف له سر اصرار سعاد على الاقامة في المزرعة طيلة فصل الخريف.

فالمحامي الناشيء جميل ابن ابي جميل يقضي فصل الخريف في القرية المجاورة وسعاد تريد ان تظل قربه..

ولكن.. ولكن هل يستطيع ان يجزم بأن ابنة عمه على علاقة غرامية عميقة بالمحامي جميل؟

لا.. هو لا يستطيع ان يجزم. قد يكون مخطئاً في تقديره وفي ظنونه.

ماذا عليه ان يفعل اذن؟.

ومضى في تفكيره وهو يسير دون ان يحدد وجهة سيره..

وعاد الى التساؤل: ماذا علي ان أفعل؟ هل أطلع عمي والد سعاد على الامر؟ هل أدعو سعاد، وهي خطيبتي الى قطع كل علاقة لها بالمحامي جميل؟

وأجاب نفسه على هذه الاسئلة: لا.. لا يجوز أن أطلع عمي على علاقة سعاد بالمحامي جميل، ولا لي ان ادعوها الى قطع علاقتها بهذا الشاب قبل ان اتاكد من ان ثمة علاقة بينها وبينه.

وتوقف عن المسير ليشعل لفافة، راح ينفث دخانها في الفضاء ليتمتم وكأنه يخاطب نفسه: «يجب أن تضع حداً لشكوكك ولظنونك يا جهاد قبل ان تقدم على اي عمل، يجب ان تراقب سعاد مراقبة شديدة فاما أن تثبت جريمتها وتحكم عليها، واما ان تكشف براءتها وتبرىء ساحتها».

وراقت له الفكرة العابرة.

ما له الا المراقبة فهي وحدها تريحه من هذه الشكوك والظنون التي تعصف بفؤاده.

وتابع سيره وهو غارق في تفكيره.

واذا به يجد نفسه أمام دار ابي جميل.

كان عليه ان يمر بالقرب من تلك الدار، وهو يسير في طريق القرية المؤدي الى المزرعة.

ودار أبي جميل لم تكن لتبعد كثيراً عن دار والد نوال سلمان صديقة ابنة عمه سعاد.

وتوقف عن المسير أمام تلك الدار، وقد تذكر أن دار نوال

قريبة من دار المحامي الشاب.

وهمس في سره: الآن علمت لماذا تتردد سعاد الى دار نوال يبدو انها تجتمع بالمحامي الناشيء في دار صديقتها القريبة من داره.

وهم بالاتجاه الى دار نوال،

سيجد سعاد هناك في تلك الدار، وربما وجد في تلك الدار المحامي جميل أيضاً.

الا أنه عدل عن تنفيذ هذه الفكرة: لماذا يتجه الى دار نوال سلمان، ولا يتجه الى دار أبي جميل، وهي على مقربة منه؟.

وكاد جهاد يضيع في تفكيره.

فهو لا يعلم ماذا عليه أن يفعل ليكتشف سر ابنة عمه سعاد.

انه لمتأكد من ان ثمة سراً في حياة سعاد.

ولكن ما هو هذا السر؟ وكيف سيكتشفه؟ ليس يدري.

وعاد الى التفكير ينغمس فيه على قلق وحيرة واضطراب.

وتمكن بعد تفكير طويل من أن يتخذ القرار الحاسم الحازم.

سيدخل الى دار أبي جميل مدعياً انه جاء ليهنىء أبا جميل بنجاح ابنه وفوزه ببراءة الحقوق.

وهو ادعاء معقول يخفي وراءه حجة مقبولة. لا سيما وثمة صداقة وثيقة بين أبي جميل وعمه صاحب مصرف الاقتصاد.

وبين أبي جميل تاجر الادوية المعروف، ومصرف الاقتصاد علاقة مالية وثيقة العرى.

وابو جميل يودع قسماً وافراً من امواله في ذلك المصرف.

وكثيراً ما شاهد جهاد ابا جميل يدخل الى مصرف الاقتصاد ليودع بعض المال، أو ليسحب مبلغاً.

وراقت له الفكرة.

واتجه الى دار تاجر الادوية،

ووقف امام الباب يطرقه.

وفتح الباب، وأطلت أم جميل:

-:السيد جهاد؟.. أهلا وسهلا.. تفضل.. تفضل.

وتمتم جهاد، بعد أن ألقى على ام جميل التحية: اين هو عمي أبو جميل؟ أيكون في الدار.

وردت أم جميل: تفضل.. عمك أبو جميل هنا.

قال وهو يدخل الى البهو: جئت لاهنئه بنجاح المحروس جميل وقد بلغني انه فاز ببراءة الحقوق.

-: اهلا.. اهلا يا ابني يا جهاد.. تفضل تفضل الى «الصالون».

وقادته الى قاعة الاستقبال متمتم: سأدعو أبا جميل.

وخرجت من القاعة، ليدخل اليها بعد دقائق قليلة أبو جميل.

-:اهلا وسهلا بالسيد جهاد، انها لمفاجأة سارة تتحفنا بها في زيارتك اهلا، اهلا، اهلا.

وصافحه بحرارة، وجلس قربه ليسأله: كيف حال ابي سعاد؟ وكيف عقيلته ام سعاد؟ وكيف حال سعاد؟

- كلهم بخير يهدونك عاطر التحيات.

- وانت؟ كيف حالك؟

- بخير والحمد لله.

قال أبو جميل: لقد ارتحت كل الارتياح للقرار الذي اتخذه السيد ناصر بتعيينك مديراً لمصرف الاقتصاد، وأرجو أن تزدهر أعمال المصرف وتزهو في رعايتك. يا جهاد، وأنني لأتوسم بك كل الخير.



وشكر جهاد عبود أبا جميل على عاطفته النبيلة.

وقال: مصرف الاقتصاد سيزدهر ما دام أمثال ابي جميل من زبائنه الكرام.

قال أبو جميل: لقد استطاع عمك أبو سعاد ان يبلغ بمصرفه الى مصاف المصارف الكبرى بفضل جهاده ونشاطه واستقامته وذكائه. وأرجو أن تكمل أنت المسيرة بالمصرف في طريق الازدهار.

وأطلت أم جميل فتجلس قرب زوجها لتسأل جهاداً: كيف حال أم سعاد؟ وسعاد؟ أتكونان بخير؟

قال: انهما بألف خير تهديانك سلامهما.

فتساءلت: لماذا لم تحضرا معك لزيارتنا.

قال: الحقيقة هي انني لم اخبرهما بأنني قادم اليكم، لقد كنت ماراً بالقرب من داركما العامرة فرأيت ان اعرج عليكما لاهنئكما بفوز المحروس جميل ببراءة الحقوق، بعد أن علمت انه نال البراءة بتفوق كبير.

وتمتم ابو جميل: شكراً لك يا ابني يا جهاد.

وتساءل جهاد: اين هو الاستاذ جميل لاقدم له تهاني الحارة؟

ورد أبو جميل ما زال فوق، في الكروم، يشرف على العمال الذين يتولون القطاف وينقلون العنب الى المعصرة، فهو يصر كل عام على أن يشرف بنفسه على سير العمل في الكرم وفي المعصرة.

وتمتمت أم جميل: هو سيحضر بعد قليل وستراه وتهنئه. من عادته ان يعود من الكرم في مثل هذا الوقت.

وصدقت أم جميل فقد أطل جميل بعد قليل، وهو يرتدي ثوب العمل.

ووثب المحامي جميل الى جهاد يصافحه مرحباً به.

وهمس جهاد ويده تشد يد جميل: جئت لاهنئك ببراءة الحقوق وأتمنى لك التوفيق والنجاح،

وشكر جميل جهاداً على عاطفته العميقة وشعوره الرحيب، وجلس قربه.

وتساءل جهاد: ماذا ستفعل الآن يا استاذ جميل، وقد اصبحت محامياً:

ورد جميل: أمامي سنوات قليلة أتدرج فيها في مكتب احد كبار المحامين، ومن الآن حتى انقضاء هذه السنوات يفرجها الله.

والتفت جهاد الى أبي جميل قائلا: يجب أن نفرح بعرس الاستاذ جميل كما فرحنا بفوزه في امتحان الحقوق.

لقد اراد ان يجس النبض ليعلم مدى رغبة جميل في الزواج.

وتولى ابو جميل الكلام.

قال: يبدو أن جميلا لا يفكر الآن في الزواج، فهو يريد ان ينشيء مكتباً للمحاماة ليدافع عن الابرياء المظلومين ويخرجهم من السجون قبل ان يدخل هو الى سجن الزواج.

وتمتم جميل: بيني وبين الزواج الآن شوط بعيد ايها السيد جهاد.

واطمأن جهاد عبود بعض الاطمئنان.

فهو قد اكتشف ان جهاداً لا يفكر بالزواج.

وما دامت فكرة الزواج لا تراود تفكيره، فأن علاقته بسعاد تصبح شبه مستحيلة.

ولكن..

ولكن ألا يجوز أن تكون ثمة علاقة غرامية بين قلبي سعاد وجميل؟.

كل شيء يجوز.

وجاءتهم الخادمة بالقهوة.

فراحوا يرشفونها ويتبادلون الاحاديث.

ونهض جهاد، مودعاً.

فشيعه جميل الى خارج الدار

وحمله أبو جميل وأم جميل السلام لابي ولام سعاد ولسعاد.

وسار جهاد عبود عائداً الى دار عمه والافكار المقلقة السوداء تعصف به..

فهو يريد ان يعرف لماذا تصر سعاد على البقاء في المزرعة حتى نهاية فصل الخريف..

ولماذا تصده وتنفر منه، وتبتعد عنه؟

لقد كان جهاد متأكداً من ان ثمة شاباً يزاحمه على قلب سعاد.

ولكن من هو هذا الشاب.

ليس يدري.

ووصل الى دار عمه، فاذا بسعاد تجلس على الشرفة، تطالع قصة عاطفية.

وكانت سعاد قد عادت من دار صديقتها نوال وجلست على

الشرفة وحدها تطالع القصة.

وحياها.

فردت التحية بجفاء..

وجلس قربها دون ان تدعوه الى الجلوس.

ولم تلتفت اليه، بل هي مضت في المطالعة.

وساد الصمت برهة بينهما.

كان جهاد يمتع نظره بمشاهدة الغروب، وقد وقفت الشمس في الافق البعيد الفسيح متأهبة للانحدار في البحر المترامي الاطراف.

وكانت الشمس الواهية تغمر الاشجار، الوارفة ساكبة عليها نورها الاحمر الدافىء لتنعكس تلك الاشجار تحت اشعة الشمس ظلالا سوداء تتمايل كلما هزَّ النسيم أغصانها فتبدو الظلال كالاشباح مترنحة بين أيدي نسيم الغروب العليل لتزيد الوحشة والقلق والاضطراب في قلب جهاد عبود.

ومزق جهاد ستار الصمت بعد برهة ليخاطب سعاد متسائلا: أين كنت يا سعاد؟

ودون أن ترفع سعاد نظرها عن الكتاب تمتمت: كنت عند صديقتي نوال سلمان؟

وعاد الى السؤال: ألا ترين انه بات من الافضل لنا أن نعود الى بيروت قبل ان يدهمنا برد تشرين القارس؟

وردت دون ان ترفع رأسها عن الكتاب: لا...

كلمة واحدة لا...

وبدأ الخنق يعصف بجهاد فتمتم: أنا أرى انه من الأفضل لنا أن نعود الى بيروت، يا سعاد هذا الاسبوع.

وردت بجفاء: أنت حر.

قال: يلوح لي انه بات علينا ان نستعد لموعد العرس يا سعاد.

ولم تجب.

بل هي مضت في المطالعة.

وتبرم جهاد عبود، وتأفف.

وأشعل لفافة راح ينفث دخانها بحنق وغضب.

ونهض ليدخل الى غرفته وينصرف الى التفكير بقلق واضطراب.

الفصل الثالث

جهاد عبود في حيرة مقلقة هوجاء.

فهو لا يعلم ماذا سيكون مصيره مع هذه الفتاة المتمردة العاصية الحرون.

هل سيتم زواجه منها ام لا؟

عمه يقف الى جانبه، ويريد ان يزفها اليه.

وامرأة عمه لا تمانع، كما لاح له، في هذا الزواج.

ولكن هي..

هي سعاد ليست مرتاحة كما يبدو، للقرار الذي اتخذه والدها.

ولا هي ترغب في أن تصبح عروسه المصون.

ورأيها هو الرأي الراجح في كفة الميزان.

فاذا أصرت سعاد على الرفض فشل مشروع الزواج.

وبفشل المشروع يفشل جهاد في الوصول الى ثروة عمه.

والثروة هي كل ما يبغي ويريد ويصبو اليه جهاد في زواجه من سعاد.

وهو يفضل أن يصل الى الثروة ولا يصل الى الزواج من سعاد..

ولكن لا سبيل للوصول الى الثروة الطائلة الا في الوصول الى

الزواج من سعاد .

وما دام الوصول الى الثروة الكبيرة مربوط بالوصول الى الزواج من سعاد فلا بد له من ان يعمل جاهداً على ترويض سعاد ، وعلى اقناعها بالموافقة على الزواج ، إن لم يكن بالحسنى فبالقوة .

واستلقى جهاد عبود في سريره .

وراح يدخن ويفكر : من المؤكد ان ثمة شاباً سبقه الى قلب سعاد .

وقسوتها عليه ، وجفاؤها وتمردها ونقمتها تشير الى أن هناك من يبعدها عنه .

فهو خبير كل الخبرة في خفايا واسرار النساء .

وعندما تهرب المرأة من رجل يكون ثمة رجل آخر في حياتها .

وتساءل جهاد عبود : من هو ذاك الرجل الذي يبعد سعاد عنه؟ من هو؟ من هو؟

وعرض في تفكيره اسماء بعض الشبان الذين تعرفهم سعاد .

ولم يستثن منهم المحامي جميل ابن ابي جميل ..

الا انه لم يستطع ان يتوقف عند اسم شاب من اولئك الشبان .

ولم يعرض جهاد بين الاسماء اسم نبيل الهادي ،

فلم يخطر في باله ان سعاد ابنة صاحب مصرف الاقتصاد تتنازل الى توطيد علاقتها العاطفية بأبن وكيل مزرعة أبيها ..

الا أنه توقف عند سر « الصيد » : لماذا هذا الغرام المفاجىء بالصيد

لماذا تشخص سعاد صباح كل يوم الى الغابة الخضراء وهي لم

تكن لأمد قريب مغرمة بالصيد.

ورأى ان يراقبها، وأن يقتفي أثرها، لعله يستطيع ان يكشف السر الذي يبحث عنه: غدا مع مطلع الصباح، عندما تشخص سعاد الى الغابة سيكون في أثرها وسيقف على سر غرامها الشديد باصطياد الطيور، وارتياد الغابة الخضراء والقفز فوق الصخور والاشواك.

وأقام يرقب بزوغ صباح اليوم التالي بنافذ صبر.

ومرت الساعات بطيئة، تسير كالسلحفاة، وكأنها لا تسير،

وود لو يقفز عقربا الساعة قفزاً الى الصباح.

ورسم الخطة المضمونة النجاح: مع مطلع الفجر البعيد، قبل بزوغ الصباح سينهض من سريره، ويدلف الى الحديقة يرقب منها موعد خروج سعاد الى الصيد.

وعندما تسير يكون في اثرها.

سيتبعها الى حيث تذهب،

ومن يدري قد لا تذهب سعاد الى الغابة، ولعلها تذهب الى دار من دور القرية المجاورة حيث تلتقي بحبيبها المجهول.

وهمس في سره: سأكتشف سرها، والويل كل الويل لها اذا بدا لي منها انها تسلك طريق الخيانة والفجور.

ولم ينم ليلته تلك.

بل هو قضى الليل ساهراً لا يغمض له جفن.

وما ان بدأت خيوط الفجر توشح جبين الصباح البعيد

بنورها الواهي حتى كان جهاد عبود ينهض من سريره فيرتدي ثيابه على عجل ويهرع الى الحديقة ليختبىء وراء الاشجار المثمرة الوارفة الاغصان.

وراح يراقب باب الدار.

ولم تطل مراقبته فقد فتح الباب بعد قليل، وخرجت منه سعاد تحمل بندقية الصيد كعادتها صباح كل يوم.

وخرجت من الدار.

ثم خرجت من الحديقة

وما أن ابتعدت قليلا حتى كان جهاد يخرج من وراء الاشجار ويقتفي اثرها.

وسارت سعاد الى الغابة،الى فوق، الى سفح الجبل،

وكان جهاد يتتبع خطواتها.

وكانت تمر بالطيور دون ان ترميها بطلق.

لم تكن سعاد لتأبه للطيور المغردة تغاريد الصباح.

اذن... اذن ماذا؟..

اذن ليس الصيد مقصدها.

وتوغلت بين أشجار الغابة،

فتوغل جهاد وراءها .

وشخصت إلى السنديانة العجوز.

وشخص جهاد في أثرها الى السنديانة.

ووقف جهاد عبود وراء الاشجار الكثيفة يراقب ابنة عمه سعاد من خلال الاغصان الخضراء.

وشاهدها تشخص الى السنديانة الكبيرة العجوز فراح يتتبع بنظره خطواتها الثابتة نحو السنديانة.

وشاهدها تقترب من تلك السنديانة وتجلس على الاعشاب الخضراء المنبسطة تحت اغصان السنديانة كأنها بساط أخضر مزركش بألوان الزهور الحمراء والبيضاء والصفراء.

ولم يكن ثمة أحد في الغابة الهادئة الساكنة الهاجعة في حضن الطبيعة على هناء وسلام واطمئنان.

وخيل اليه انه كان واهماً عندما أساء الظن بابنة عمه سعاد، وان سعاد لم تشخص الى الغابة الا لاصطياد الطيور وليس لملاقاة حبيب او عشيق.

واطمأن جهاد عبود وارتاح قلبه الثائر الولوع.

وبدأت هواجسه تتوارى وهو يشاهد ابنة عمه جالسة وحدها تحت اغصان السنديانة الوارفة الظلال.

وهمّ بالعودة أدراجه: عليه أن يسرع بالعودة الى الدار ليرافق عمه الى المصرف في بيروت.

فهو الآن مدير المصرف.

وسيصبح بعد زواجه من سعاد صاحب ذلك المصرف، يستطيع أن يغرف من الصندوق العامر المليء قدر ما يريد من الاموال.

وفيما جهاد عبود يهم بالعودة أدراجه شاهد شاباً يحمل بندقية صيد، ويقترب من السنديانة.

فوجم. وتوقف عن المسير: من تراه هذا الشاب الذي يقترب

من ابنة عمه الجالسة تحت اغصان السنديانة؟

أتراه صياداً يجوب الغابة بحثاً عن الطيور؟

أم انه يوافي سعاد الى موعد غرام؟

ووقف وراء الاغصان الغضة الكثيفة، والقلق يستبد به والاضطراب يغمر كيانه.

وراح يسترق النظر عبر أوراق الاغصان الخضراء فشاهد ذلك الشاب، من بعيد، يقترب من سعاد ويجلس قربها فوق الاعشاب فازداد قلقه، واشتد اضطرابه. لا سيما وهو يشاهد ذلك الشاب يتحدث الى سعاد وكأنهما صديقان حميمان.

وهمس في سره، وهو يشاهد ذلك الشاب وابنة عمه في جلستهما الهائئة: من تراه يكون هذا الشاب؟

وومض في رأسه اسم المحامي جميل ابن أبي جميل فتساءل: أيكون هذا الشاب المحامي جميل؟

ولم يستطع أن يرد على هذا السؤال، لا بأجل، ولا بلا.

وبكل حذر انتقل من وراء الاشجار التي كان يختفي تحت اغصانها الى ما وراء اشجار اخرى مقترباً من السنديانة العجوز التي تجلس تحت اغصانها سعاد قرب ذلك الشاب.

الا أنه لم يستطع ان يتبين ملامح وجه الشاب، ولا هو استطاع أن يستمع الى ما يدور بينه وبين سعاد من حديث.

وعاد الى الانتقال. فوثب، بكل حذر الى الاشجار القريبة، وظل ينتقل من وراء شجرة الى وراء شجرة حتى بات على مقربة من السنديانة.

وشاهد يد ذلك الشاب تمسك بيد سعاد، فأخذ يرتجف من الغضب: يا للمجرمة السافلة الحقيرة، انها لتوافي حبيبها الى الغابة الوارفة مع مطلع الفجر البعيد مدعية انها تريد اصطياد الطيور، لقد استطاعت المجرمة ان تخدعه، وأن تخدع والديها وتحملها على قضاء فصل الخريف في المزرعة اكراماً لعيني عشقيها، وارواء لنزواتها وتهتكها وفجورها، يا لها من مجرمة شريرة.

وشعر بأن الارض تميد تحت قدميه.

لقد شعر بعاصفة هوجاء تهزه.

شعر برياح عاتية تجتاح كيانه، فتعصف به وتهده هداً.

واشتد الغضب به، فأصبح كالبركان الذي يتأهب للثورة.

لقد شعر جهاد عبود بأن في داخله، في صدره، في قلبه طاقات هائلة مروّعة من الحمم، وأنه بحاجة ملحاح الى قذف تلك الحمم من صدره على سعاد وعشيقها المجرمين.

وهمس في سره: يا ويلها.. يا ويل سعاد ويا ويل عشيقها هذا من حمم غضبي وانتقامي.

ورأى جهاد أن يتبين وجه الشاب.

فعاد الى الاقتراب منتقلا من مكمنه وراء الشجرة الضخمة الى الشجرة القربى.

واستطاع من خلال اغصان تلك الشجرة ان يتبين وجه ذلك الشاب. فذعر، وهمس بغضب وخنق وثورة لاهبة حمراء: نبيل الهادي؟.. ابن وكيل المزرعة؟ هل يمكن هذا!؟ هل يمكن أن تتدانى سعاد الى التورط في حب هذا الشاب الوضيع؟

وعاد الى الهمس: ليت منافسي على قلبها كان المحامي جميل ابن أبي جميل.اذن لهانت المصيبة.

وحاول ان يستعيد بعض هدوئه واطمئنانه.فهمس في سره: لا... مستحيل أن تتورط سعاد في حب ابن وكيل المزرعة.ليس ثمة حب وهوى وغرام بينهما.قد يكون نبيل ماراً الآن في الغابة وهو يصطاد الطيور فشاهد سعاد تصطاد مثله،وجلس قربها يتحدث اليها.

الا ان ما شاهده تلك اللحظة أعاد النار الى الاشتعال في صدره، والغضب الشديد الى الاندلاع في رأسه.

وحاول التقدم منهما فعجز.لم تسعفه قدماه في المسير خطوة واحدة.

ما يشاهد من فسق وخلاعة وفجور يشعل النار في رأسه ويبعث الوهن الى قدميه.

وماذا يشاهد جهاد عبود؟..

ابنة عمه سعاد تلقي برأسها الى صدر نبيل الهادي، فتمتد يد نبيل الى خصلات شعرها تعبث بها وتداعبها برفق وحنان.

ثم ترفع سعاد رأسها عن صدر نبيل ليتعانقا...

وتعالت همساتها فحمل نسيم الصباح العليل الى مسامع جهاد عبود تلك الهمسات العابقة بالشوق والهوى والحنين.

- نبيل!... يا حبيبي يا نبيل.. هكذا سنظل معاً يا حبيبي حتى الموت.

- أجل يا سعاد.. سنظل معاً، ليس حتى الموت يا حبيبتي، بل حتى بعد الموت. لن تستطيع قوة على هذه الارض أن تفرق بيننا ما دام الله عز وجل قد جمع بين قلبينا فمن تراه يستطيع أن يفرق بيننا؟

- بعد أيام قليلة سنغادر أنا وأبي وأمي، هذه الربوع عائدين الى بيروت، وسأبدأ بأنجاز جواز سفري في حين تنصرف أنت الى اعداد معاملات السفر، وسننفذ الخطة المضمونة النجاح التي رسمناها. نتزوج ونغادر هذه البلاد، الى حيث نستطيع أن نحيا حياة هائئة سعيدة.

وتحول الغضب في صدر جهاد عبود الى ذعر، وكلمات العاشقين المتيمين تقع منه في الاذنين: سعاد ستتزوج من نبيل وتسافر وأياه الى المهجر القاصي البعيد، الى حيث يعيشان عيشاً هانئاً سعيداً.. وتطير الثروة الطائلة التي يحلم بها من يديه؟.. انها لمجنونة هذه الفتاة العاشقة الولهى. التي أضاع الحب الاثيم صوابها. هل يخيل اليها أن الزواج من هذا الشاب الوضيع سهل ميسور، وأن السفر وأياه الى حيث يريدان ممهد أمامها.

- وعاد همس الحبيبين، يتهادى مع نسيم الصباح العليل الى مسامع جهاد عبود.

- يا حبيبي...

- يا حبيبتي...

وكانت همساتها الملتهبة تنزل في أذني جهاد عبود كالنار المحرقة فتشعل سعير الغضب والحقد في قلبه، وتضرم ثورة الغضب لاهبة

حمراء في رأسه، فكاد يضيع، كاد يحترق، كاد يصاب بالجنون: هل يمكن أن تنطق سعاد بمثل هذا الكلام؟ اتراه في حلم رهيب مخيف؟ أيمكن ان تصل سعاد الى هذه الدرجات من الفسق والفجور وانحطاط الاخلاق.

وهمس في سره: ليتها ماتت قبل أن تنطق بمثل هذا الكلام وقبل ان تهمس على مسامع ابن وكيل المزرعة بمثل هذه الهمسات.

ليتها ماتت؟...

أجل.. لماذا لا تموت سعاد، وموتها لديه مثل زواجه منها؟..

اذا تزوج منها تنتقل ثروة عمه اليها، ومنها تصل الثروة اليه.

واذا ماتت تختصر الثروة الطريق اليه. فسيكون هو وريث عمه اذا اختطف الموت ابنته سعاد.

موت سعاد اذن مثل زواجه منها.

ولعل الموت أفضل من الزواج.

فلماذا لا تموت سعاد اذن ما دام موتها يعطي النتيجة ذاتها التي يعطيها الزواج؟

وجلس على صخرة متواضعة، وقد عجزت رجلاه عن حمله.

لقد جلس ليفكر: سيقتلها... طلقة واحدة من بندقية، او من مسدس وينتهي كل شيء، تموت سعاد، وينتقل ميراث عمه اليه.

وتمنى لو انه يحمل الآن بندقية أو مسدساً اذن لانتهى الامر في ثوان قليلة.

وانغمس جهاد عبود في التفكير العميق البعيد السحيق: ماذا عليه ان يفعل؟ هل يعود الى الدار فيحضر بندقية ويعود ليطلق

النار على سعاد؟..

على سعاد وحدها؟

لا.. سيطلق النار على الاثنين، على سعاد وعلى نبيل فيخلص من الاثنين معاً.

ومضى جهاد في التفكير: وبعد ذلك؟.. بعد أن يصرع سعاد ونبيلا ماذا سيحدث؟.. سيعود ادراجه الى الدار، ثم يشخص مع عمه الى المصرف في بيروت، وعندما يعودان بعد الظهر الى المزرعة يكون نبأ مصرع سعاد ونبيل قد انتشر في المزرعة وفي القرى المجاورة.

ويحضر رجال الامن والمحققون.

ويبدأون التحقيق لمعرفة القاتل الذي اطلق النار على الشاب نبيل الهادي والفتاة سعاد عبود ابنة صاحب مصرف الاقتصاد.

ولكنهم لن يهتدوا الى القاتل.

ولن تحوم الشبهة حوله.

فقد كان مع عمه في بيروت عندما وقعت الجريمة، وستحوم الشبهة حول بعض شبان القرية المجاورة.

ولكنها تظل بعيدة عنه

وعمه..

ماذا سيفعل عمه بعد ان يكتشف أن أبنته سعاد كانت توافي نبيلا ابن وكيل المزرعة الى الغابة الخضراء، وانها كانت على علاقة غرامية بنبيل، وقد وجدت جثتاهما معاً؟..

ان عمه لن يستطيع احتمال الكارثة.

أو بالاحرى هو لن يستطيع احتمال الكارثتين: كارثة مقتل ابنته سعاد، التي يحبها حباً ابوياً هائلاً، وهي وحيدته. وكارثة الفضيحة، فضيحة علاقتها الغرامية بأبن وكيل المزرعة. لا سيما وعمه ناصر عبود مصاب بداء القلب وسيشتد الداء به ويقضي عليه.

الخطة اذن ستكون ناجحة نجاحاً كاملاً.

حجر واحد ويصيب به عصفورين. تموت سعاد، ويموت عمه.

ولكن..

ولكن تظل هناك زوجة عمه. وهي ستحول بينه وبين الوصول الى الميراث..

اذن؟ اذن ماذا؟

اذن يجب ان تموت ام سعاد قبل ان يموت زوجها.

وتوقف تفكيره عند هذه المعضلة الجديدة التي لم يحسب حسابها. لقد توقف عند معضلة موت ام سعاد

كيف ستموت زوجة ناصر عبود قبل موت زوجها.

كيف؟..

الامر بسيط

كمية قليلة جداً من السم يدسها لها في الطعام و...

وينتهي كل شيء.

لقد حلت المشكلة: يطلق النار على سعاد ونبيل.. ثم يدس سم لام سعاد. ومرض القلب يتكفل بالقضاء على أبي سعاد وتنتقل

الثروة الطائلة الى يد جهاد عبود الوريث الوحيد لناصر عبود صاحب مصرف الاقتصاد.

وارتاح بعض الارتياح وقد حبك خيوط الجريمة، او بالاحرى خيوط الجرائم الثلاث:

جريمة قتل سعاد ونبيل.
وجريمة التسبب في موت عمه
وجريمة قتل زوجة عمه.

ورمق الساعة المشدودة الى معصمه، فاذا بها تشير الى السابعة من الصباح.

وكانت خيوط الشمس الذهبية الدافئة قد بدأت تتسلل عبر وراق الاغصان الخضراء الى الغابة، فوقف هامساً في سره: عليّ ان اسرع في تنفيذ الخطة المرسومة قبل فوات الآوان.

وخرج من مكمنه بكل حذر.وسار على مهل محاذراً لفت سعاد ونبيل اليه.

وانطلق من الغابة مسرعاً نحو دار عمه: سيحضر بندقية الصيد ويعود أدراجه الى الغابة فينفذ جريمته، ويقفل عائداً الى الدار ليرافق عمه الى بيروت.وقد خيل اليه ان خطة الجريمة المرسومة مضمونة النجاح.

الا أن حساب حقل جهاد عبود لم ينطبق على حساب بيدره.

فما أن وصل الى الدار حتى شاهد عمه يدخن « سيكاره » وهو يتمشى في الحديقة.فوجم جهاد عبود. لم يكن من عادة عمه ان

يخرج إلى الحديقة في مثل هذه الساعة.كان من عادة ناصر عبود أن يتناول قهوة الصباح مع زوجته على شرفة الدار ويدخن «سيكارة » فما باله اليوم يدلف الى الحديقة.

وابتسم ناصر عبود، وهو يشاهد ابن اخيه مقبلا نحوه.وتمتم ، وقد اقترب جهاد منه: يبدو أن منصب مدير المصرف أهاب.بك الى الشعور بالمسؤوليات.فقد بت تبكر في النهوض من السرير صباح كل يوم.وهذه بادرة طيبة تبدو منك يا جهاد.

وبكل رصانة ووقار قال جهاد: على من يريد ان يكون ناجحاً في حياته ان يفيق من نومه باكراً يا عمي.

فربت ناصر عبود على كتف ابن أخيه هامساً: هذه هي الحقيقة يا جهاد. فالعمل في الصباح أفضل منه في أي ساعة من ساعات النهار ، تعال معي لنتناول طعام الصباح ونذهب الى عملنا في المصرف.

واستبد الخنق بجهاد عبود.

لقد عرقل عمه خطته وحال بينه وبين تنفيذ جريمته.

وهمس جهاد في سره: لا بأس اذا فاتني تنفيذ الخطة المرسومة اليوم فلن يفوتني هذا التنفيذ غداً. فلماذا العجلة، والعجلة من الشيطان..

ودخل جهاد مع عمه الى قاعة الطعام.

وكانت امرأة عمه بانتظارهما.فتناولوا طعام الصباح، ثم اسرع جهاد الى ارتداء ثيابه، واتجه مع عمه الى السيارة فانطلق السائق بهما في الطريق الى بيروت.

وراح عمه يحدثه، وهما في السيارة المسرعة بالمسير طاوية الطريق في انحدارها من تلك الجبال الى الشاطىء، عن الاعمال في المصرف.

فكان جهاد يتظاهر بالاستماع الى عمه، في حين كان منصرفا الى التفكير بسعاد، وبعشيقها نبيل الهادي، وبما سمع وشاهد منهما في تلك الغابة ليزداد رغبة في تنفيذ الجريمة النكراء.

ووصلت بهما السيارة الى طرابلس، ومن طرابلس اتجهت بهما في طريق بيروت.

وانقطع ناصر عبود عن التحدث الى جهاد عن أعمال المصرف، ليحدثه عن مستقبله مع سعاد.

قال: سننتقل من المزرعة الى دارنا في بيروت بعد أيام قليلة يا جهاد، لنبدأ بالاستعداد الى الاحتفال بزفافك من سعاد، لن أرتاح الا وقد اطمأننت الى سعادة سعاد، وأنا أعلم انك ستوفر لها السعادة الكاملة.

ورد جهاد عبود، وقد انقطع عن التفكير بتنفيذ جريمته: بكل تأكيد يا عمي، انني أعدك بأن تكون سعاد بين الزوجات السعيدات في داري، وسأوفر لها كل ما في الارض من سعادة وراحة واطمئنان وهناء.

واطمأن ناصر عبود وجهاد يعده بتوفير السعادة الكاملة التامة لابنته سعاد.

ووصلا الى المصرف، فانصرف ناصر عبود الى استقبال الاصدقاء واجراء الاتصالات بالمسؤولين وبالمتنفذين وكبار

الاثرياء، في حين انصرف جهاد الى انجاز المعاملات وتوقيعها وهو يفكر بتنفيذ خطته والقضاء على سعاد وحبيبها نبيل الهادي: غداً يوم يصرع سعاد ويفتك بزوجة عمه ويقضي عمه بسبب النوبة القلبية التي ستنتابه سيصبح السيد الآمر الناهي في هذا المصرف.

وانتهى دوام العمل وجهاد عبود لم ينته من التفكير بالخطة المرسومة التي عزم على تنفيذها فجر غد.

وعاد جهاد مع عمه الى المزرعة، فاذا بسعاد جالسة على الشرفة تطالع القصة الممتعة.

فوثب اليها يحييها والابتسامة الخبيثة الماكرة تطفو على شفتيه.

وكعادتها ردت تحيته بتحية جافة، في حين وثبت الى والدها تعانقه مرحبة به.

وسألها جهاد بمكر وخبث ورياء: هل ذهبت الى الصيد اليوم يا سعاد؟

وردت: أجل..

كلمة واحدة.. أجل..

قال: أرجو أن تكوني قد وفقت في رحلتك؟

ولم تجب..

فعاد الى الكلام متسائلا: ماذا اصطدت لنا؟

قالت: لم اوفق اليوم في اصطياد الطيور.

فتمتم: ارجو أن يحالفك التوفيق غداً.

ودعتهم أم سعاد الى تناول الطعام.

فشخصوا الى قاعة الطعام يتناولون ما أعدت لهم أم سعيد من شهي المأكولات.

وبعد تناول الطعام شخصت سعاد الى دار صديقتها نوال سلمان

وتوجه عمه الى غرفة النوم ليأخذ قسطاً من الراحة..

ودخلت ام سعاد الى المطبخ لتساعد أم سعيد في العمل.

ورأى جهاد الفرصة سانحة له فتسلل الى غرفة الاسلحة، وهي غرفة صغيرة فيها مجموعة من أسلحة الصيد والذخيرة كان عمه يلجأ اليها يوم كان في شرخ الشباب.. وكان يومذاك مولعاً بالصيد.

وراحَ جهاد يعرض الاسلحة.

واختار بندقية ذات فوهتين حشا كل فوهة بطلق هامساً في سره: طلق سيخترق رأس سعاد وطلق سيستقر في رأس نبيل، وينتهي كل شيء.

وأعاد البندقية الى مكانها بين الاسلحة وخرج مطمئناً الى نجاح الخطة التي رسمها للتخلص من سعاد ومن نبيل.

وأقام جهاد عبود يرقب بزوغ فجر اليوم التالي بفارغ صبر.

وما أن أطل الفجر، في اليوم التالي، حتى كان جهاد يتسلل من غرفة النوم، الى غرفة الاسلحة فيحمل البندقية ويخرج من الدار الى الحديقة.

وهناك في آخر الحديقة وراء الاشجار كمن جهاد منتظراً انطلاق سعاد الى الغابة.

ولم يطل انتظاره.

ما أن بدأت خيوط الصباح تنسج وشاحها الابيض الفضفاض حتى كانت سعاد عبود تحمل بندقيتها وتتجه نحو الغابة الخضراء.

وسارت سعاد في الطريق الجبلي الضيق البعيد فسار جهاد في أثرها، وهو يتحسس بندقيته هامساً في سره: هذه هي المرة الاخيرة التي تخرج فيها الآنسة سعاد للقاء عشيقها الوضيع.

ووصلت سعاد عبود الى الغابة الخضراء، وهي تجهل ان ابن عمها جهاداً في أثرها.

واتجهت الى السنديانة العجوز لتجلس فوق الاعشاب تحت الاغصان الوارفة الظلال بانتظار حضور حبيبها نبيل الهادي.

ووقف جهاد وراء الاشجار الكثيفة الاغصان بعيداً عنها يراقبها عبر أوراق الاغصان ويده على زناد البندقية.

وراح جهاد عبود ينتظر حضور نبيل الهادي بفارغ صبر.

ولم يكن شوق سعاد الى اطلالة نبيل بأكثر من شوق جهاد. ذلك ان جهاداً كان يريد ان يطل نبيل كي يطلق عليه وعلى سعاد النار، ثم يسرع بالعودة الى دار عمه ليرافق والد سعاد الى بيروت.

الا أن انتظاره طال ونبيل الهادي لم يَبِنْ له وجه.

وتأفف جهاد عبود وتبرم: ما بال نبيل الهادي يتأخر في موافاة سعاد الى الغابة؟ أتراه يخلف موعده اليوم مع سعاد؟ ان هو أخلف موعده، ضيع على جهاد فرصة الانتقام.

ومن وراء اغصان الاشجار شاهد جهاد عبود ابنة عمه سعاد تتأفف وتتبرم وتتلفت يميناً ويساراً كأنها تبحث عن نبيل.

ثم تتطلع الى الطريق الضيق المنساب كانسياب الافعى في سفح الجبل، وهو الطريق الذي يؤدي الى الغابة الكثيفة الاشجار، فأدرك انها في حيرة وقلق واضطراب، وأن تأخر نبيل الهادي في الحضور اليها يقلقها ويثير هواجسها ويضرم النار في فؤادها. فهمس في سره: يا لها من مجرمة فاسقة شريرة، انها لتخشى أن يكون قد أصيب عشيقها بمكروه.

وطال انتظار جهاد عبود.

وطال أيضاً انتظار سعاد.

وقلقت سعاد شديد القلق وقد بدأت الساعة الذهبية المشدودة الى معصمها تشير الى السابعة والنصف.

وهمست في سرها: لماذا يتأخر نبيل في موافاتي الى الموعد المضروب، وقد كان من عادته ان يكون السابق الى الجلوس تحت هذه السنديانة منتظراً حضوري اليه؟

واشتد القلق بابنة صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني وقد أشرفت الساعة على الثامنة.

وغمر نور الشمس الذهبي أرجاء الغابة.

وايقنت سعاد ان ثمة أمراً خطيراً أقعد نبيلا عن موافاتها الى الموعد المضروب.

ومع يقينها ان نبيلا لن يحضر اليوم الى الغابة، لا سيما والساعة تجاوزت الثامنة، فقد أبت ان تعود ادراجها الى الدار متمسكة بخيط واهٍ دقيق رفيع من الامل: من يدري. قد يحضر نبيل فلتنتظر دقائق قليلة.

وكان جهاد عبود، في وقفته وراء الاشجار أشد قلقاً وأبعد اضطراباً من ابنة عمه سعاد: فالساعة قد تجاوزت الثامنة من الصباح، وعمه الآن في طريقه الى بيروت،

اذن؟.. اذن ماذا؟..

اذن خطته المرسومة ستبوء بالفشل، وهو لن يستطيع ان يدعي انه كان مع عمه في المصرف عندما وقعت جريمة قتل سعاد ونبيل وقد تقع تهمة قتلها عليه وحده.

وتصور جهاد عبود نفسه أمام المحقق، بعد اكتشاف جريمة قتل سعاد ونبيل يسأله: «أين كنت ايها السيد جهاد في الساعة الثامنة من الصباح ساعة قتلت سعاد وقتل نبيل؟ لماذا لم ترافق عمك السيد ناصر عبود الى المصرف في بيروت كعادتك صباح كل يوم؟. ولماذا غادرت دار عمك في الصباح الباكر؟ والى اين اتجهت؟»

انها اسئلة محرجة مخيفة لن يستطيع جهاد الاجابة عليها، والاجابة عليها تدينه وتلصق التهمة به.

وحنق جهاد عبود، وغضب.

وهمس في سره متسائلا: ماذا علي ان افعل الآن؟. هل اعود ادراجي، دون ان انفذ الخطة المرسومة التي خيل الي انها مضمونة النجاح؟

ولم يستطع ان يجيب نفسه على هذا السؤال.

فعاد الى التفكير ينغمس فيه على حيرة وحنق وغضب واضطراب،

وعاد الى التساؤل: هل اطلق النار الآن على سعاد فأرديها

قتيلة وأخلص منها؟.

وراقت الفكرة له: صحيح لماذا لا يطلق النار عليها وحدها؟..

ان موت نبيل الهادي لا يهمه، وهو لن يرث شيئاً اذا قتل نبيلا. الذي يهمه هو موت سعاد.وبموتها ينتقل ميراث عمه اليه.

فليقتل سعاد اذن ويستولي على الثروة الطائلة المدرار.

وتردد جهاد عبود قبل ان يرفع البندقية الى كتفه.وعاد الى التفكير: ولكن الميراث لن ينتقل اليه فوراً بعد مصرع سعاد، وكي يصل الميراث الى يديه يجب أن يموت عمه.

فمن يكفل له موت عمه اذا وجدت جثة سعاد وحدها في الغابة الخضراء؟

ان عمه سيحزن حزناً شديداً على موت ابنته، ولكن قد لا يذهب الحزن بحياته، وما هناك انسان على الارض مات حزناً على فقد حبيب أو نسيب أو قريب.

أما اذا وجدت جثة سعاد قرب جثة عشيقها نبيل الهادي في الغابة فأن كارثة الفضيحة ستكون أشد وقعاً على رأس عمه من كارثة موت ابنته.

والكارثتان: كارثة مصرع سعاد وكارثة تهتكها وفجورها، ستساعدان مرض القلب على الفتك بناصر عبود صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني.

وعندئذ وبعد ان تكون والدة سعاد قد سبقت زوجها الى العالم الآخر في «قطار» السم السريع.

عندئذ سيفرح قلب جهاد عبود ويسعد بالثروة الطائلة الكبرى التي ستنتقل اليه.

اذن؟... عليه أن يصرع سعاد الآن..

طلق واحد يقع منها الرأس..

وينتهي كل شيء.

الا ان الافكار المقلقة السوداء عادت تعصف برأس جهاد: خيوط الجريمة ليست دقيقة الحبك.. عليه أن يحسب حساب الرجعة حساب التحقيق بعد جريمة قتل سعاد، كيف سينجو من إلقاء القبض عليه ومن اتهامه بالجريمة؟

واستغرق في التفكير مجدداً هامساً في سره: كيف ستنجو يا جهاد عبود من السجن والعقاب؟ كيف؟ كيف؟ كيف؟.

وابتسم بعد تفكير قليل.

فهو قد وقع على الحل، وتوصل الى اكتشاف وسيلة النجاة، بعد أن يصرع سعاد.

كيف؟..

وراح جهاد يرسم الخطة بكل مهارة وحذق: بعد أن يطلق النار على سعاد ويرديها قتيلة سيعمد قبل كل شيء الى اخفاء البندقية.

سيخفي البندقية في مغارة من المغاور العديدة الصغيرة المنتشرة في الغابة، ويسد فوهة المغارة بالحجارة ثم يسرع بالذهاب الى طرابلس وهناك في طرابلس سيتجه الى المصرف العربي،

الذي تربطه بمصرف عمه، مصرف الاقتصاد اللبناني في بيروت علاقات عمل.

وسيقابل مدير المصرف وينهي بعض الاعمال المتعلقة بمصرف الاقتصاد اللبناني في بيروت فهناك سندات أحالها مصرف الاقتصاد اللبناني في بيروت الى المصرف العربي في طرابلس وهناك حوالات أحالها المصرف العربي في طرابلس الى مصرف الاقتصاد في بيروت. والحسابات الجارية المفتوحة بين المصرفين بحاجة الى مراجعة وتدقيق، وما دام هو مدير مصرف الاقتصاد اللبناني فمن الطبيعي ان يتصل بمدير المصرف العربي ويتداول معه، في امور العمل.

ومضى جهاد عبود في رسم الخطة: وبعد أن ينهي عمله في المصرف العربي في طرابلس سيتجه فوراً الى بيروت، وسيطلع عمه على ما قام به من اعمال قبل وصوله الى عمله في مصرف الاقتصاد، وسيرتاح عمه كل الارتياح وهو يلمس في ابن اخيه جهاد الهمة والنشاط والسهر على عمله في المصرف.

وسيدرك أنه لم يكن مخطئاً عندما أصدر القرار بتعيينه مديراً للمصرف.

وسيزداد عمه اقتناعاً بأنه سيكون خير زوج لأبنته سعاد، وخير حارس على ثروته الطائلة المدرار.

وابتسم جهاد عبود، وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد، واطمأن: عندما تكتشف جريمة قتل سعاد لن تشير أصابع الاتهام اليه، ولن يكون عرضة للشك أو للظنون، وسيكون في مأمن من

المثول أمام المحقق لا سيما وهو لم يكن في المزرعة ولا هو كان في القرية المجاورة ساعة وقوع الجريمة.

ومدير المصرف العربي في طرابلس يشهد بأنه كان عنده في المصرف.

وعمه يؤكد انه وصل الى مصرف الاقتصاد اللبناني في بيروت بعد وصوله هو بقليل،

اذن لا مجال لاتهامه بارتكاب الجريمة.

ولكن..

وعادت كلمة ولكن تقلق خاطره

ولكن البندقية..

الا يجوز ان يكتشف احد البندقية في المغارة؟..

يجوز.. كل شيء يجوز.

واذا اكتشفت البندقية يصبح مصيره مهدداً بالخطر لان المحقق سيكتشف ان تلك البندقية هي احدى البنادق التي يحتفظ بها والد سعاد، فكيف انتقلت هذه البندقية من دار ناصر عبود الى تلك المغارة؟..

وقد يكتشف المحقق ايضاً اسرار الجريمة ويلقي به في غياهب السجن.

ومن السجن يصل الى ساحة القضاء.

ومن ساحة القضاء الى ساحة الاعدام.

وذعر جهاد عبود وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد.

وامتدت يده الى عنقه تتحسّسه وهو يفكر بحبل المشنقة.

وهمس: يجب ان أطمر هذه البندقية تحت الصخور والحجارة في مكان بعيد عن مكان الجريمة لا بأس سأشخص بعد قتل سعاد الى اطراف الغابة واخفيها هناك في مغارة تحت كومة الحجارة ثم أسد مدخل المغارة بالصخور.

وعزم جهاد عبود على تنفيذ جريمته الرهيبة فوراً.

ليس له ان يؤجل عمل اليوم الى الغد. وما يستطيع ان يفعله اليوم فليفعله اليوم.

ورفع البندقية الى كتفه وصوبها الى سعاد.

ووضع يده على الزناد يهم بأطلاق النار.

وفي تلك اللحظة، حدث ما لم يكن جهاد عبود ينتظر حدوثه.

فقد شاهد نصوراً ابن ام نصور، الشاب القروي الساذج يقترب من سعاد، وهو في طريقه الى عمله في الكروم.

وغضب جهاد عبود شديد الغضب وقد شاهد نصوراً.

ورفع يده عن الزناد وهو يتمتم بغضب وحنق: ما أتى بهذا الابله الآن وفي هذه اللحظة الحرجة؟ ألم يكن باستطاعته أن يتأخر في اجتياز هذه الغابة دقائق قليلة ريثما أكون قد انهيت مهمتي وصرعت سعاد.

الا ان الغضب لم يلبث ان تحول الى سكينة وهدوء وقد أدرك ان الشيطان انقذه من كارثة مخيفة رهيبة.

فلو انه اطلق النار على سعاد قبل لحظة لكان نصور ابن أم نصور قد شاهده، وكشف سره وأوصله الى حبل المشنقة.

ومن حسن حظه انه شاهد نصوراً قبل ان يطلق النار على سعاد.

ومن خلال أوراق الاغصان شاهد جهاد نصوراً يتحدث الى سعاد، الا انه لم يستطع أن يستمع الى ما يدور بينهما من حديث فهو على مسافة بعيدة منهما لا تمكنه من التقاط الكلمات التي يتبادلانها.

ورأى أن يقترب منهما. فهو يريد ان يعلم ماذا تقول سعاد لهذا الشاب الساذج المعتوه.واقترب..

وبكل حذر راح يتنقل من وراء شجرة الى وراء شجرة متخذاً من الاغصان والاشواك والصخور ستاراً يخفيه عن العيون

وأصبح على مقربة منهما

واستطاع ان يستمع الى كل ما يدور بينهما من حديث.

وسمع جهاد عبود نصوراً يقول لسعاد متسائلا: «الم يحضر اليوم نبيل الهادي ليلقنك اصول الصيد يا خطيبتي؟

ثم سمع جهاد سعاد تجيب: «لا يا نصور لم يحضر حتى الآن.»

وشاهد جهاد نصوراً ينتفض غضباً ويهدر: «ولوه.. شو هالحال اللي وصلنا ليها... ما عاد حدا يخدم حدا. وما عدنا نقدر نكلف حدا بخدمة... هيدا نبيل ترجيناه يعلملنا خطيبتنا الصيد، ما خدمنا... بكرا بفرجيه لا بد من أن يحتاج الي يوماً.. والله لن اعلم خطيبته الصيد اذا طلب مني ذلك ذات يوم.»

وسمع جهاد عبود ابنة عمه سعاد تقول: «لا يا نصور قد يكون لنبيل الهادي عذره في تخلفه اليوم عن الحضور وقد يأتي غداً»

وهدر نصور: «يا خطيبتي أنا لا أستطيع الانتظار طويلا

فبعد أيام قليلة سينتهي موسم القطاف ، وسأبدأ رحلات الصيد الى الجرد ، ويجب أن تكوني رفيقتي وأن تكوني ملمة بأصول الصيد . »

وهزّ نصور رأسه بأسف ، وتمتم متسائلاً : اذا لم تكن خطيبتي سعاد رفيقتي الى الصيد ، فمن عساها تكون تلك الرفيقة؟

وابتسمت سعاد وهي تشاهد نصوراً في غضبته وثورته وحنقه.

وسألته : هل من الضروري ان ترافقك فتاة الى الصيد يا نصور؟.

وأجاب نصور : «معلوم».. من الضروري ان تكون برفقتي فتاة هل يخيّل اليك أن نصوراً « حبتين ».؟

وتابع نصور كلامه بغضب : « ولك يا عمي كل بنات الضيعة بيتمنوا يرافقوا نصور عالصيد ».

وتمتمت سعاد مازحة : ما دامت بنات الضيعة كلهن في خدمتك فلماذا تصر على أن أرافقك أنا؟

ولمعت ابتسامة بلهاء على شفتي نصور

وتمتم : أنا مخلص لخطيبتي ولا اسمح لفتاة بأن ترافقني الى الصيد غير خطيبتي سعاد.

قالت : لا بأس يا نصور سأرافقك الى الجرد دون أن أكون ملمة بأصول الصيد ، وستعلمني أنت هناك الصيد.

وانتفض نصور غاضباً

وهتف : لا .. لن تسيري خطوة برفقتي الى الجرد الا وقد اتقنت أصول الصيد .. هل تريدين أن « تجرسيني وتشرشحيني »..

ماذا سيقول عني الصيادون وهم يكتشفون أن خطيبتي لا تحسن اصابة الهدف؟

فتساءلت مازحة: وماذا سيقولون يا نصور؟

قال: سيقولون «شوفوا خطيبة نصور ما بتعرف تتصيد»..

قالت: ماذا سنفعل اذن يا نصور؟

وأجاب: يجب أن تتعلمي اصول الصيد، أنا سأمر الآن بمنزل وكيل المزرعة منصور الهادي وأصفي حسابي مع ابنه نبيل.

فتساءلت سعاد: وكيف ستصفي حسابك معه؟

قال: سأطلب اليه ان يكمل معروفه ويتابع تعليمك أصول الصيد، وأعده بأن اتولى تعليم خطيبته الصيد بعد انتهاء موسم القطاف و... وخدمة بخدمة يعلم خطيبتي اصول الصيد فأعلم خطيبته...

قال نصور ابن ام نصور هذا وسار متابعاً سيره.

وقبل ان يبتعد خطوات قليلة التفت الى سعاد هاتفاً: انتظري نبيلا هنا يا خطيبتي سأرسله اليك بعد قليل.

ومخرت عباب تفكير جهاد عبود فكرة لامعة وقد استمع الى ما دار من حديث بين سعاد ونصور ابن أم نصوم.

انها فكرة جهنمية لا تخطر الا على بال المجرم السفاح.

وهمس جهاد عبود في سره: لماذا أفتك أنا بسعاد ونبيل وأعرض نفسي للمخاطر، ولربما عرضتها للهلاك، ما دام ثمة من يستطيع ان يتولى ارتكاب الجريمة غيري.. لماذا لا يفتك نصور ابن

أم نصور «بخطيبته» الخائنة وبعشيقها المجرم الذي يحاول الاستيلاء على قلبها؟

وارتاح جهاد عبود كل الارتياح وقد لمعت في رأسه هذه الفكرة.

وهمس: يبدو أن نصوراً مقتنع تمام الاقتناع بأن سعاد خطيبته، فإذا ما شاهدها تجلس قرب نبيل الهادي،واذا استمع الى همساتها ووشوشاتها وصدى قبلاتها لا بد له من أن يغضب ويثور ويقدم على الانتقام منها.

وضحك جهاد من نفسه: لقد قضى أياماً في رسم خطة قتل سعاد ونبيل وحبك خيوط الجريمة، وتأهب لتنفيذها.. وفي اللحظة الأخيرة ارسلت له الاقدار من يتولى تنفيذ هذه الجريمة عنه.

وهمّ بالمسير ليلحق بنصور الا انه توقف عن المسير وهو يشاهد نوال سلمان تطل على سعاد وتقترب منها مبتسمة.

وسمع جهاد نوال تقول لسعاد: ان نبيلاً لن يستطيع اليوم الحضور اليك يا سعاد.

وتساءلت سعاد بقلق: لماذا يا نوال؟ هل حل به مكروه؟

وردت نوال: لا يا سعاد لم ينزل بنبيل اي مكروه الا أن والده سقط عن صخرة فتحطمت ساقه وقد اضطر نبيل الى التخلف عن موافاتك الى الغابة لأنه نقل والده الى المستشفى في طرابلس،وقد حضر الى دارنا قبل ذهابه مع والده الى طرابلس وطلب الي ان احضر اليك وأطلعك على الامر.

وتساءلت سعاد: متى سيعود من طرابلس؟

قالت نوال: سيعود هذا المساء وسيوافيك صباح غد الى هنا يا سعاد.

ونهضت سعاد وسارت مع نوال عائدتين الى المزرعة.

وما أن ابتعدتا حتى خرج جهاد عبود من مكمنه وراء الاشجار وانطلق مسرعاً في اثر نصور ابن أم نصور.

ولم يستطع جهاد ان يدرك نصوراً الا بعد مسير طويل.

وكان نصور قد اقترب من الكروم عندما ادركه جهاد عبود وبادره بقوله: نصور!.. كيف الحال يا نصور؟

والتفت الشاب القروي الساذج الى جهاد.

وتمتم: صباح الخير يا خواجه جهاد.

ورد جهاد التحية، وكرّر سؤاله: كيف الحال يا نصور؟

- الحمد لله يا خواجه جهاد.. «ماشي الحال»..

- وكيف حال خطيباتك الكثيرات يا نصور؟

وابتسم نصور، وقد أدرك ان شهرته الغرامية وصلت الى جهاد عبود.

وتمتم: لقد تخليت عنهن يا خواجه جهاد.

- لماذا يا نصور تخليت عن خطيباتك؟

قال: لأنني عزمت على الزواج، وقد اخترت خطيبة واحدة منهن، وهذه الخطيبة سيسعدها الحظ بأن تكون عروس نصور.

وهمس جهاد: «يا عفريت» يا نصور... ومن هي هذه

الخطيبة السعيدة الحظ؟

واتسعت الابتسامة على شفتي نصور.

وتمتم: لا يا خواجه جهاد انا لن ابوح بأسمها لاحد.

قال جهاد: ولكن يجب أن نعرف من هي.

- ستعرفونها يوم زفافنا.وسأدعوكم كلكم لحضور حفلة العرس.

فابتسم جهاد عبود ابتسامة خبث ومكر ودهاء.

وتمتم: يؤسفني يا نصور ان أبلغك ان سمعة خطيبتك ليست بالسمعة العطرة.

وانتفض نصور ابن أم نصور كأن أفعى لسعته.

وهدر نصور: «ما بسمحلك يا خواجه جهاد تهين خطيبتي..»

فتمتم جهاد عبود: يؤسفني يا اخي نصور ان اطلعك على خيانة خطيبتك، وان انقل اليك كل ما يشيعه ابناء القرية عنها، وقد قيل«ان صديقك من صدقك لا من صدّقك»

فقال نصور: كاذبون... كلهم كاذبون. فهم يريدون ان يشوهوا سمعة خطيبتي الناصعة البياض وان يلوثوا اسمها العاطر الفواح الاريج بالشائعات المغرضة القذرة.

فاقترب جهاد عبود من نصور ابن أم نصور هامسا في اذنه: انتبه الى خطيبتك وراقبها يا نصور، قد يكون بعض ما يشيعون على شيء من الحقيقة وليس ثمة دخان بلا نار.

وفتل نصور ابن أم نصور شاربيه.

وهتف: انا اعرف من هي خطيبتي يا خواجه جهاد، وأية فتاة شريفة نبيلة كريمة هي.

فربت جهاد على كتف نصور ليقول: نحن الشبان لا نستطيع ان نكشف خبايا واسرار حبيباتنا يا نصور. فقد يخيل إلينا ان الحبيبة مخلصة وفية، وفجأة نكتشف انها خائنة، واننا كنا على ضلال. لذلك فمن الافضل للشاب، لا سيما اذا كان شابا قويا وسيما جميلا مثلك يا نصور، ان يكون دائما على حذر من حبيبته.

فارتاح نصور ابن ام نصور لهذا الثناء الذي يتحفه به جهاد عبود، فهو اذن شاب قوي وسيم جميل، والشبان، مثل الفتيات يعرفون ذلك.

قال: الحقيقة يا خواجه عبود ان شبابي وجمالي وقوتي وطلعتي البهية تستهوي جميع بنات القرية. وهن يحمن حولي كما تحوم الفراشات حول النور وكما تحوم النحلات حول الزهور.

فتمتم جهاد: كلنا نعرف ذلك يا أخي نصور.

قال نصور: اكثر من عشرين فتاة طلبن يدي، واردن ان اكون خطيبهن، ولكنني رفضت. الا تصدّق.. اجلس، اجلس يا خواجه جهاد على هذا الصخر لأُطلعك على اسماء الفتيات المغرمات المتيمات باخيك منصور.

قال جهاد: ولكن الان وقت العمل يا نصور، وستصل متأخرا الى عملك. الافضل ان نسير معا نحو الكروم، ونتحدث فيما نحن سائرون.

فهدر نصور بلهجته القروية الخشنة: «الله يلعن ابو الشغل..

لاحقين نشتغل يا شيخ.. اقعد.. اقعد».

فالحديث عن الصبايا احب لدى نصور وافضل من العمل.

وجلس جهاد عبود فوق صخرة صغيرة، تحت شجرة برية وارفة الظلال.

وسحب نصور الدفتر من جيب شرواله،ثم جلس قرب جهاد ليقرأ أسماء بنات القرية المسجلة في دفتره السجل:

- اسمع يا خواجه جهاد ولا تعجب. نبيهة ابنة يوسف منصور. قالت لي خمس وثلاثين مرة: «انا بحبك يا نصور».. شفيقة السمرا غمرتني ثلاث مرات،واعطتني كمشة زبيب... فريدة ابنة ابو عساف.. هذه كانت ستجن في حبي لكنني شطبت اسمها من الدفتر.. انظر، انظر يا خواجه جهاد.. اسمها مشطوب.

- ولماذا شطبت اسم فريدة يا نصور من دفترك؟

- «ما بدي ياها.. غيرها احسن منها».

وتابع نصور القراءة: «سميرة الطرابلسية ضحكت لي سبع وعشرين مرة وعزمتني على السهرة، بس انا ما رحت... عبلة بنت ام عبلة طعمتني منقوشة».

وضحك جهاد وسأل نصورا: اتحبك عبلة ابنة ام عبلة؟

- «ما دام طعمتني منقوشة... شو معناها؟

- معناها أنها تستميت في حبك.

- «مظبوط.. اسمع يا خواجه جهاد اسمع... نظيرة الشقرا... هيذي كمان اسمها مشطوب، ما بدي ياها... ليلى

الحلوة عزمتني لأساعدها في نقل العنب من الكرم الى المعصرة، يا حرام شو بتحبني... سامية شهدان قالت لي: «انت خطيبي يا نصور عشر مرات»... نوال سلمان... وهيـدي كمان اسمها مشطوب من الدفتر».

وسأله جهاد: لماذا شطبت اسم نوال سلمان من دفترك يا نصور؟

واقترب نصور في جلسته من جهاد عبود ليهمس في اذنه: «خطيبتي بتغار منها»..

- ومن هي خطيبتك يا نصور فأنت لم تقرأ لي اسمها.

وضحك نصور، وقال: اسم خطيبتي سجلته في صفحة كاملة في اخر الدفتر، وانا لا اقرأ اسم خطيبتي لأحد.

قال جهاد معاتبا: ولو... يا نصور، اتخفي عني اسم خطيبتك؟.. الا تثق بي؟..

ورد نصور: لا استطيع يا خواجه جهاد ان اقول لك من هي خطيبتي.

- انت لا تقل لي من هي، اعطني الدفتر، وانا أقرأ اسمها.

- ايه اذا كان هيك معليش..»

ودفع نصور بدفتره الى جهاد قائلا: اسمها هنا.. في اخر الدفتر ولكن... اياك ان تطلع احدا على اسمها يا خواجه جهاد.

- اطمئن يا نصور فانا حريص على اسرار العشاق المحبين.

وتناول جهاد عبود الدفتر، ليقرأ في الصفحة الاخيرة منه إسماً واحداً بخط كبير: «سعاد عبود».

وكان نصور قد كتب اسم « سعاد » في صدر الصفحة واسم « عبود » في اخرها.

وهتف جهاد: سعاد عبود؟.. ابنة عمي؟.

واشار نصور برأسه ان « اجل ».

فتمتم جهاد عاتباً متسائلا: أتخطب ابنة عمي سعاد يا نصور ولا تخبرني لاقدم لكما هدية الخطوبة؟.

ورد نصور: « معليش يا خواجه جهاد... بكرا منعزمك عالعرس ».

وصمت جهاد عبود.

وتظاهر بالأسف والأسى.

وقدم لنصور لفافة، ثم اشعل هو لفافة.

وساد صمت بينهما برهة.

وعاد نصور الى الكلام ليقول: ما بك يا خواجه جهاد؟ اراك حزيناً كئيباً، ألست راضيا عن اتفاقي مع سعاد على الزواج؟

ولم يجبه جهاد على سؤاله، بل هو طرح عليه سؤالا اخر.

قال: يا نصور!... اذا علمت يوما ان خطيبتك سعاد تخونك وتحب شاباً غيرك ماذا تفعل؟

فرد نصور ببلاهة وسذاجة: « سعاد إدمية... ما بتعملها »

– ولكن لنفرض انها « عملتها » واحبت شابا غيرك وانك دهمتها بالجرم المشهود مع حبيبها فماذا تفعل يا نصور؟

ولمعت شرارة من الغضب الشديد في عيني نصور ابن أم نصور وهدر: أقتلها...

- وحدها؟ تقتلها وحدها وتعفو عن عشيقها؟
- لا... اقتلها واقتله.
- كيف ستقتلها يا نصور.
- بالحجارة... انزل فيها ضربا بالحجارة»

قال جهاد: الحجارة لا تقتل يا نصور. وهما سيهربان من حجارتك وينجوان من انتقامك.

فتساءل نصور: وبماذا؟ وكيف تريدني ان اقتلها يا خواجه جهاد؟ كيف؟.

- اسمع يا نصور.. الا تملك بندقية.
- وهل يسأل نصور مثل هذا السؤال يا خواجه جهاد؟ انا امهر صياد في هذه القرية، وعندي جفت صيد هو افضل جفت في هذه الربوع. سل الصيادين كلهم يقولوا لك ما هو جفت نصور ابن أم نصور.
- ولماذا لا تقوصها؟ لماذا لا تطلق عليها النار من جفتك الفريد العظيم يا نصور؟
- صحيح.. الجفت افضل من الحجارة. اذن سأقوصها واطلق عليها النار من الجفت...

وقال جهاد مقاطعا: وتنتقم لشرفك ولكرامتك ولقلبك الجريح يا نصور.

وانتفض نصور، وانتشل الدفتر من يد جهاد هاتفا: ولكن... ولكن سعاد مخلصة وفية، وهي تحبني ولن تخونني.

قال جهاد: ابناء القرية يقولون انها تخونك يا نصور، وانها

تحب شابا غيرك.

- ومن هو هذا الشاب؟..

- انه نبيل الهادي ابن ابي نبيل وكيل المزرعة.

- «مش صحيح».. كل ما يقولون كذب وافتراء وبهتان.

- ولكن سعاد تخلو صباح كل يوم بالشاب نبيل الهادي تحت السنديانة العجوز في الغابة الخضراء.

وقهقه نصور وهتف: «ما معك خبر شي يا خواجه جهاد.انك لعلى خطأ وضلال، وكل ما يشيع ويروّج اهل القرية كذب وافتراء وحسد وغيرة وبهتان».

- كيف؟..

- ان اجتماع سعاد بنبيل الهادي صباح كل يوم في الغابة الخضراء، لهو دليل قاطع على انها تحبني وتستميت في حبي.

- لم افهم ماذا تعني يا نصور، وكيف تحبك سعاد ثم توافي نبيل الهادي الى الغابة وتخلو به هناك.

- أنا سأفهمك كل شيء.واوضح لك الامر.. سعاد ابنة عمك المحترمة، وخطيبتي المصون لا تحب نبيل الهادي ولا تطيق مرأى وجهه، ولكنها مضطرة لموافاته الى الغابة صباح كل يوم اكراما لخاطري انا لانها تحبني.

- كيف ذلك؟.. اوضح لي الامر يا نصور، فانا لم افهم شيئا.

- «ولوه... كل شيء فهمتك بعد ما فهمت؟..»

- لم افهم..

- سأفهمك... ان سعاد طلبت من نبيل الهادي ابن ابي نبيل وكيل مزرعة ابيها ان يعلمها الصيد لأنها تحبني، ولو لم تكن تحبني لما انصرفت الى تعلّم اصول الصيد.

- وما هي علاقة الصيد بالحب يا نصور؟.. وهل ان اتقان سعاد اصول الصيد هو البرهان القاطع على انها تحبك.

- وزعق نصور: معلوم يا خواجة جهاد.. معلوم.. لو أنها لا تحبني لما تعلمت الصيد. ان سعاد تريد ان تكون صيادة ماهرة كي تستطيع ان ترافق خطيبها نصورا ابن ام نصور في رحلات الصيد الى الجرد وتبيض له وجهه امام الصيادين. لذلك فهي قد ضحت براحتها وبوقتها الثمين وانصرفت الى تعلم اصول الصيد، ونبيل الهادي، مسكين نبيل «شو آدمي.. شو خواجة» لقد وافق على ان يعلم سعاد الصيد ويضحي بوقته اكراما لصديقه الحميم نصور ابن ام نصور.. هل فهمت الان القصة من اولها الى اخرها يا خواجة جهاد؟

وابتسم جهاد عبود ابتسامة بهزء ومكر ودهاء.

وهمس: «هالمرة انت ما معك خبر شي» يا نصور. ان الماء تجري تحت قدميك وانت غافل عنها، وخطيبتك سعاد وصديقك نبيل يطعنانك في الظهر دون ان تدري.

وانتفض نصور

ووقف غاضبا ليقول: «ما بسمحلك يا خواجة جهاد تهين صديقي نبيل الهادي».

لقد كان نصور يدافع عن خطيبته سعاد فاصبح الان يدافع عن صديقه نبيل

وبكل رصانة وهدوء، قال جهاد عبود: اجلس، اجلس يا صديقي العزيز نصور لأخبرك كل شيء: فأنا احبك، وأريد ان يكون شرفك مصانا وكرامتك موفورة، وسمعتك عطرة فواحة العبير.

وعاد نصور الى الجلوس على الصخرة قرب جهاد عبود، فنفحة جهاد بلفافه فاخرة واشعل هو لفافة ليقول: هناك من شاهد نبيلا يغازل خطيبتك في الغابة يا نصور.

وتجهم وجه نصور ابن أم نصور.

وتابع جهاد كلامه هامسا في اذن نصور: وهناك من شاهد نبيلا يطوق سعاد بذراعيه.

وقطب نصور جبينه

واخذت اللفافة تتراقص بين اصابعه.

واكمل جهاد حديثه همساً.

قال: وهناك من شاهد نبيلا يقبل خطيبتك سعاد.

وذعر نصور.

واخذ يرتجف كأنه ورقة في مهب الرياح، وسقطت اللفافة من يده

وهدر: الويل لسعاد ولنبيل من غضبك يا نصور اذا صح ما يقول جهاد عبود.

وعمد جهاد الى التخفيف من حدة غضب نصور

قال: اسمع يا اخي نصور.

- قد يكون ما قيل وما يقال عن علاقة خطيبتك سعاد بصديقك نبيل كذبا وافتراء. ولكن عليك أن تتأكد من ذلك.

- كيف؟ كيف استطيع ان اتأكد يا خواجة جهاد؟

- الامر بسيط ما عليك الا ان تراقبهما.

- كيف؟

- غدا صباحا، تحمل جفتك، وتشخص الى الغابة الخضراء وتكمن وراء الادغال على مقربة من السنديانة العجوز مفهوم؟.

- لحد هون مفهوم»..

وتابع جهاد: ان نبيلا وسعاد سيحضران ويجلسان تحت السنديانة، فتراقبهما من وراء الادغال وتستمع الى ما يدور بينهما من حديث. فاذا لاح منهما انهما على علاقة غرامية، وان خطيبتك تخونك، وان صديقك يطعنك في الظهر، يتحتم عليك ان تنتقم لشرفك المهان ولكرامتك الجريحة.

- ماذا افعل يا خواجة جهاد؟

- تصوب الجفت اليهما.. طلق في رأس سعاد، وطلق في رأس نبيل، وتنقذ شرفك، وتصون كرامتك و...

وقاطعه نصور: وماذا بعد؟

- ويصبح نصور بطلا من الابطال في القرية وتروي الصبايا قصة البطولة، وقصة الانتقام للشرف الاثيل.

وابتسم نصور.

سيصبح بطلا اذا انتقم من حبيبته الخائنة.

وستتحدث الصبايا عن بطولته..

ولكن.. ولكن الا يجوز ان تكون سعاد مظلومة؟

والتفت نصور الى جهاد يسأله: واذا لاح لي منهما، من سعاد ومن نبيل انهما بعيدان عن الهوى والغرام، ماذا افعل يا خواجة جهاد؟

واجاب جهاد عبود: عندئذ تعود ادراجك دون ان تطلق عليهما النار، وتكون قد تأكدت من اخلاص خطيبتك المصون ومن وفاء صديقك، ولن تخسر شيئا.

وتمتم نصور. «والله يا عمي عندك حق... غدا، مع مطلع الفجر سأكون في الغابة، فاما ان اقتلهما واعود الى القرية بطلا، واما ان اتاكد من اخلاص سعاد ووفاء نبيل، واعود مرتاح البال.

ونهض نصور قائلا: الان يجب ان اذهب الى عملي.. خاطرك يا خواجة جهاد.

وسار نصور...

وقبل ان يبتعد عن جهاد، ناداه جهاد قائلا: نصورا.. لا تنسَ ان تأخذ الجفت معك غدا الى الغابة.

ورد نصور، وهو يسير باتجاه الكروم.. «ولا يهمك.. سيكون الجفت معي، وسأحشوه بطلقين شديدي الانفجار»

ونهض جهاد عبود ليسير عائدا الى المزرعة وهو يبتسم. فالخطة الاثيمة التي رسمها مضمونة النجاح.

سيقتل نصور ابن ام نصور نبيلا وسعاد، فيتخلص هو منهما دون ان يلوث يديه بالدم.

- ٢ -

تنفس الصبح في جبال لبنان.

وغمرت الانوار الجبال والتلال والوديان والوهاد

وتمايلت اغصان الاشجار بين ايدي النسيم العليل مترنحة لتنشر في ربوع لبنان الجميل العبير والاريج،

وانطلقت العصافير متنقلة على الاغصان. لتشنف الاذان بتغاريدها الشجية.

وسار الفلاحون والعمال الى الحقول والكروم والبساتين.

وبدأت الشمس تتأهب لتكلل قمم الجبال بنورها الذهبي الدافىء.

واستفاق جهاد عبود من نومه، في دار عمه في المزرعة الهاجعة على هناء وارتياح واطمئنان بين احضان جبال لبنان الشمالية.

ورمق الساعة بنظرة خاطفة فاذا بالساعة تشير الى السادسة والنصف من الصباح.

السادسة والنصف؟..

وهو ما زال في السرير؟..

لقد استغرق في النوم اليوم

وكان عليه ان يكون الان في الغابة الخضراء ليشرف بنفسه على تنفيذ خطة الجريمة التي رسمها هو، والتي سيمثل فصولها نصور ابن ام نصور.

وقفز جهاد عبود من السرير، وارتدى ثيابه على عجل، وتسلل من الدار متجها الى الغابة الكثيفة الاشجار، وفي رأسه يدور الف سؤال وسؤال: ترى هل قضي الامر وصرع نصور ابن ام نصور سعاد ونبيلا؟..

هل شخصت سعاد الى الغابة اليوم؟..

هل وافاها نبيل الى الغابة؟..

هل جاء نصور الى الغابة؟.

هل احضر معه البندقية؟..

ووصل جهاد عبود الى الغابة

وسار بحذر متنقلا من وراء شجرة الى وراء شجرة محاذراً ان يرتفع وقع قدميه..

وبدأ يقترب من السنديانة فتصاعدت دقات قلبه.

ومن بعيد شاهد جهاد عبود نبيلا يجلس قرب ابنة عمه سعاد تحت السنديانة....

ثم.. شاهد نصورا ابن ام نصور يكمن وراء الادغال، وهو يصوب الجفت الى سعاد ونبيل.

وراح جهاد عبود يسترق النظر من خلال اغصان الاشجار والقلق يستبد به.

وكمن وراء الاشجار الكثيفة الاغصان على مقربة من نصور

ابن أم نصور، وعلى بعد خطوات قليلة من السنديانة الدائمة الاخضرار حيث يستطيع أن يشاهد نبيلا وسعاد ويستمع الى كل ما يدور بينهما من حديث.

وكان نصور يصوب بندقيته الى سعاد ونبيل ويده على الزناد فاطمأن جهاد كل الاطمئنان وقد أدرك أن نصوراً عازم العزم الثابت الاكيد على اطلاق النار اذا ثبتت له خيانة «خطيبته» سعاد.

وجهاد عبود كان متأكداً من أن نصوراً سيكشف خيانة «خطيبته»

وأنه سيشاهد ويسمع من نبيل الهادي وسعاد عبود ما يثير غيرته وحنقه وغضبه، فتشد يده الزناد وينتهي كل شيء

فالخطة التي رسمها جهاد سائرة اذن في طريق التوفيق والنجاح.

وأقام جهاد عبود ينتظر النهاية، نهاية سعاد ونبيل، الجريح وراح يفكر: ماذا عليه ان يفعل بعد أن يطلق نصور ابن أم نصور النار على نبيل وسعاد؟.. عليه أن يتأكد أولا من موتها، ثم يسرع بالعودة الى دار عمه.

وسيكون عمه بانتظاره فيشخص واياه كالعادة كل صباح الى المصرف في بيروت، وعندما يعودان بعد الظهر الى المزرعة تكون الجريمة قد اكتشفت، ويكون رجال الامن قد بدأوا التحقيق،

وعليه عندئذ أن يتظاهر بالحزن الشديد على مقتل خطيبته وابنة عمه «الحبيبة» سعاد.

وماذا بعد؟

ماذا سيحدث؟

سيكتشف رجال الامن أسباب الجريمة وسيلقون القبض على القاتل نصور ابن ام نصور ويجرونه الى السجن

ويظل هو بعيداً كل البعد عن التحقيق وعن الوصول الى ساحة القضاء.

وارتاح جهاد عبود كل الارتياح وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد.

وازداد ارتياحاً وهو يفكر بما سيكون بعد ان تنجلي جريمة قتل سعاد ونبيل عن فضيحة خلقية، وبعد أن يعم القرية خبر علاقة سعاد الغرامية الوثيقة بابن وكيل المزرعة نبيل الهادي ويتجاوزها الى القرى المجاورة وتتناقله الصحف.

عندئذ، عندما تنتشر الفضيحة سيتم لجهاد عبود ما يريد فيصاب عمه بنوبة قلبية، وهو المصاب بداء القلب. ويلحق بابنته سعاد الى العالم الآخر.

و.. ماذا بعد؟

عندئذ يتحتم على جهاد أن يكمل تنفيذ الخطة المرسومة فيدس السم لأرملة عمه، ويخلص منها..

وتنتقل الثروة الطائلة المدرار اليه ويتم له كل ما يبغي ويريد..

فالخطة اذن سائرة في طريق التنفيذ والحظ سيحالف جهاداً فتتحقق آماله العذاب وأحلامه الوارفة الظلال.

ورمق جهاد عبود نصوراً بنظرة سريعة، وقد وصل بتفكيره عند هذا الحد، فاذا بنصور ما زال يقف وراء الادغال مصوباً البندقية الى العاشقين المتيمين، ويده على الزناد.

وحول جهاد نظره عن نصور الى سعاد ونبيل ليشاهدهما في جلستهما الهانئة الحالمة، ويداهما متشابكتان وهما يتحدثان.

فخيل اليه أن نصوراً سيطلق النار عليهما، وهو يشاهدهما في جلستهما واليدان متشابكتان

الا ان امله خاب.ويد نصور لم تشد زناد البندقية.

وأرهف جهاد اذنيه فاستطاع ان يسمع ما يدور من حديث بين سعاد ونبيل

فسمع نبيل يخاطب سعاد قائلا: أرى أن نتريث يا سعاد في تنفيذ الخطة التي رسمناها يا حبيبتي.

فأصغي جهاد عبود: ترى ما هي تلك الخطة التي رسماها والتي يريد نبيل ان يتريث في تنفيذها.

واستمع جهاد الى سعاد تقول:لماذا تريد التريث يا نبيل في تنفيذ الخطة التي رسمناها يا حبيبي؟

ورد نبيل: ذلك لأن هربك من دار والديك والسفر معي الى المهجر القاصي البعيد سيكونان صدمة عنيفة لوالديك الآن، أرى ان أسافر وحدي الى المهجر فأقيم هناك ردحاً من الزمن، سنة او سنتين واذا طال هذا الردح من الزمن يمتد الى ثلاث سنوات أعود بعدها الى لبنان وقد جمعت مبلغاً من المال، وأتقدم من والدك

طالباً يدك.ولا اخال السيد ناصر عبود يرد طلب المغترب نبيل الهادي العائد الى لبنان على غنى فضفاض وفير، في حين هو سيرفض الآن طلب نبيل الهادي ابن وكيل مزرعته اذا تقدم طالباً يد ابنته سعاد.

فابتسمت سعاد

وتمتمت مازحة: تستطيع أن تسافر اذا شئت الا أن جواز سفرك المحجوز معي سيظل في حقيبتي.هل تستطيع ان تسافر دون جواز سفر يا نبيل؟ جواز سفرك معي وسيظل معي، ولن تسافر وحدك بل ستكون عروسك سعاد الى جانبك يوم تغادر لبنان.

فرد نبيل الهادي مازحاً: أستطيع أن أحصل على جواز سفر آخر يا سعاد، فما هو رأيك في أن أشخص غداً الى طرابلس وأبدأ بانجاز معاملة جواز سفر آخر.

فشدت يدها يده،وهمست: لا أخالك تقدم على مثل هذا العمل يا نبيل.

فتساءل نبيل: وما يدعوك الى هذا الاعتقاد يا سعاد؟

قالت: لانك تحب سعاد ولا تستطيع الابتعاد عنها.

وساد الصمت بينهما.

وعادت سعاد الى الكلام متسائلة بعد صمت قصير: لماذا لا تجيب يا نبيل هل تستطيع الابتعاد عن سعاد.

فهمس نبيل الهادى: لا.. لا أستطيع الابتعاد عنك يا سعاد لانني.. لانني أحبك حباً هائلا عظيماً يا حبيبتي ولكنني ارى ان

سفري لفترة من الزمن سيكون الطريق السليم لوصولنا الى اللقاء السعيد الطويل.

قالت سعاد عبود: هل يخيل اليك ان والدي سيؤجل موعد زواجي من ابن عمي جهاد ريثما تعود انت من السفر الطويل؟

فانتفض جهاد عبود وهو يسمع سعاد تذكر اسمه

ورمق نصوراً ابن أم نصور بنظرة غضب.

وهمس في سره: ماذا ينتظر هذا الأبله كي يطلق النار على هذين المجرمين؟

وشاهد جهاد عبود نصوراً لا يزال في وقفته الحذرة وراء الأدغال وهو يصوب البندقية الى سغاد ونبيل ويده على الزناد دون ان يتحرك.

فكأنه صنم لا يسمع ولا يرى ولا يحس.

وحول جهاد نظره عن نصور الى تحت السنديانة الوارفة الظلال ليشاهد نبيلا وسعاد في جلستهما ويداهما في لقاء حار حميم.

فكادت الغيرة تحرق قلبه.

وتمنى لو أن نصوراً يسرع في اطلاق النار

الا ان نصوراً ابن ام نصور خيب امله، وظل واقفاً وراء الادغال يرصد حركاتهما ويستمع الى همساتهما، دون ان تشد يده زناد البندقية.

وهمس جهاد عبود في سره: يبدو أن نصوراً ما زال ينتظر الوقوع على دليل يثبت خيانة «خطيبته» سعاد كي يطلق النار.. لا بأس سيرى نصور ابن أم نصور الدليل بعد قليل.

ولم يخب ظن جهاد عبود فقد بدأ دليل خيانة سعاد عبود يلوح لعيني نصور ابن ام نصور، فقد ضم نبيل الهادي حبيبته سعاد الى صدره برفق وحنان.

وراحت اصابعه تنثر خصلات شعرها.

وألقت سعاد برأسها الى صدر نبيل هامسة: كل ما ارجوه من الحياة هو أن أظل قربك هكذا ياحبيبي يا نبيل.

وتمتم نبيل: سنظل معاً يا سعاد، هنا على الارض، وهناك في السماء. فروحانا، وقد اتحدتا هنا، وجمع بينهما الحب الوثيق الطهور لن تفترقا لا هنا، على الارض،ولا هناك ما وراء الافق البعيد، فالارواح يا سعاد هي التي تحب وهي التي تهوى وهي التي تذوب في حبها وهواها .ان الروح عندما تتحرر من عبودية الجسد، تتحرر من كل ما يحفل به الجسد من الآثام والخطايا والشرور عند الموت، عندما تنفصل الروح عن الجسد، تتحرر من الحقد والكره والبغض والانتقام، والفسق والفجور، ومن كل ما يحفل به الجسد من ملذات الارض الترابية، وتنطلق لتحب وتتفانى في حبها، تحب الله عز وجل تحب الخير، تحل السلام، تحب الصلاة، وتحب تلك الروح التي اختارتها على الارض رفيقة لها. وبقدر ماا تكون تلك الروح قد تغلبت على رفيقها الجسد وعلى نزواته وملذاته وشروره على الارض، بقدر ذلك ترتفع الى السماء حيث السعادة المتناهية التي لا حدود لها ولا سدود.

وهمست سعاد، ورأسها على صدر نبيل وعيناها تحدقان بالافق البعيد: اني لأطلب من الله سبحانه وتعالى أن ارحل قبلك

عن هذا العالم الفاني الى العالم الآخر. فأقيم منك هناك في ذلك العالم المجهول على انتظار، انني أصلي الى الله كي يمنحني نعمة الموت قبلك ولو بساعة واحدة.

وهمس نبيل الهادي: لا يا سعاد لا يا حبيبتي، لن تكوني البادئة بالرحيل، أنا سأرحل قبلك، فثمة حاسة خفية لا أعلم ما هي تدفعني الى الاعتقاد الراسخ أن الموت سيختارني قبلك للرحيل عن هذا العالم الفاني.

وهمس جهاد عبود في سره، وكلام سعاد ونبيل يقع منه في الاذنين: اطمئنا.. فانتما سترحلان معاً بعد لحظات.

والتفت جهاد مجدداً الى نصور ابن أم نصور فاذا به ما زال في وقفته الصامدة المتحفزة وراء الادغال

فعجب جهاد من تأخر نصور في اطلاق النار.

وتساءل: ترى ألم يقع هذا الابلة على الدليل القاطع لخيانة «خطيبته» وقد سمع ما سمع، وشاهد ما شاهد؟

وحول جهاد عبود نظره عن نصور الى سعاد ونبيل ليشاهدهما متعانقين على هوى عميق ووله بعيد وشوق سحيق القرار. فاطمأن: هذا هو الدليل الساطع القاطع الذي سيبرهن لنصور أن «خطيبته» خائنة وأنها تستحق الموت.. وهو سيبادر الآن الى شد زناد البندقية واطلاق النار.

الا أن نصوراً لم يتحرك

ولم يشد على الزناد ولم يطلق النار.

ودهش جهاد عبود،وتساءل: اذا كان نصور لا يطلق الرصاص الآن على « خطيبته » وعشيقها وهو يشاهدهما متعانقين فمتى تراه سيطلق النار عليهما.. وهل ينتظر هذا القروي الساذج أن يشاهد من تهتك « خطيبته » أكثر مما شاهد وأن يسمع منها ومن عشيقها اكثر مما سمع؟

واقام جهاد يرقب ان يسمع دوي اطلاق النار بفارغ صبر، الا ان انتظاره طال

والتفت الى نصور فلم يجده في وقفته وراء الادغال.

ووجم جهاد: أين هو نصـور؟..

ولماذ لم يطلق النار؟ وكيف اختفى؟

ومن وراء الاشجار الكثيفة الاغصان راح جهاد عبود يبحث بنظره عن نصور.

ولم يطل البحث به، فقد شاهده من خلال اوراق الأشجار الخضراء يجلس فوق صخرة متواضعة صغيرة، وقد اسند البندقية الى شجرة برية وأجهش بالبكاء.

وشاهد جهاد عبود الدموع الغزيرة تتدحرج على وجنتي نصور ابن أم نصور فيمسحها بكفه، على ألم وعذاب وكأنه في مأتم حزين قاتم السواد.

واشتد الغضب بجهاد عبود: لقد أضاع عليه هذا الشاب الابله فرصة الانتقام من سعاد ونبيل، ونسف له الخطة المرسومة.وعرقل مشروعه الكبير الرامي الى الاستيلاء على ثروة عمه ناصر عبود.يا له من قروي ساذج شرير لئيم.

وحاول جهاد أن يتسلل من مكمنه ويسير بحذر نحو نصور لعله يستطيع اقناعه باطلاق النار انتقاماً لشرفه الذي لوثته «خطيبته» المجرمة سعاد عبود بالوحول وداسته بقدميها القذرتين.

جهاد سيحرّض نصوراً مجدداً على الانتقام لقلبه والثأر لشرفه المهيض الجناح

وسيقول له: كن رجلا يا نصور فلا تبك كالاطفال، بل صوب «جفتك» الى «خطيبتك» الخائنة والى عشيقها المجرم واطلق عليهما النار واغسل العار بالدم».

هذا ما سيقوله جهاد عبود لنصور ابن ام نصور

ولا بد لنصور من أن يتجاوب مع تحريض جهاد ويعمل بشورته ويصرع سعاد عبود ونبيلا الهادي.

وفيما جهاد عبود يهم بالتسلل من مكمنه شاهد نصوراً يحمل بندقيته ويقف ثم يهرول مسرعاً نحو الطريق العام، وكأنه يريد أن يهرب من التجربة ومن مشاهدة مصرع قلبه أمام عينيه.

ولحق جهاد عبود بنصور ابن أم نصور محاذراً ان يرتفع لوقع قدميه صدى

الا أنه لم يستطع ان يلحق بابن أم نصور لان نصوراً كان يعدو قافزاً فوق الصخور والحجارة والاشواك، وجهاد لا يستطيع ان يجاريه في العدو والقفز.

وفجأة توقف نصور عن العدو وجلس تحت شجرة وارفة الظلال واضعاً البندقية قربه،

وأدركه جهاد وقد ابتعدا شوطاً عن سعاد ونبيل
ودهش نصور وهو يشاهد جهاداً ينتصب أمامه
فتمتم: ما جاء بك ايها السيد جهاد في هذه الساعة المبكرة من الصباح الى هذه الغابة.

وردّ جهاد عبود: جئت لأطمئن الى سلامة شرفك المهان يا نصور.

فصمت نصور. لم ينبس بكلمة
فسأله جهاد: هل انتقمت من « خطيبتك » الخائنة يا نصور؟
ورفع نصور رأسه مشيراً بالنفي.

قال جهاد متسائلاً: هل تأكدت من خيانتها؟
فهز نصور رأسه مشيراً بالايجاب دون أن يهمس بحرف.
وسأله جهاد: هل عمدت الى غسل العار بالدم يا نصور؟
واستطاع نصور ان يتمتم: لا ...
فضرب جهاد كفاً بكف آسفاً راثياً عاتباً

وهتف: يا ضياع شرفك الاثيل وكرامتك المنياف يا نصورا.. يا خيبة أملك بنصاعة جبين « خطيبتك » الخائنة يا نصور.. أين ستخبىء رأسك عندما يعلم شبان القرية وبناتها انك الخطيب المخدوع وأن خطيبتك تخونك مع نبيل الهادي؟

وصمت نصور
ومسح دمعة بدأت تتأهب للانحدار من مقلتيه.
فعاد جهاد عبود الى الكلام محرضاً نصوراً

قال: تناول جفتك وعد الى حيث كنت واطلق عليها وعلى عشيقها النار واغسل العار بالدم يا نصور.

ولم يجب نصور ولم يتحرك.

ولم يتناول جفته.

فتمتم جهاد: ماذا تنتظر يا نصور؟ يجب ان تقتلها. اقتل خطيبتك الخائنة يا ابن أم نصور. قوصها...

فهمس نصور وقد بدأ يستعيد رباطة جأشه وقوته: لا.. لن أقوصها يا خواجة جهاد..

- لماذا؟

- لانني سأنتقم منها انتقاماً هائلاً مروعاً مخيفاً لا يخطر على بال انسان.

فتساءل جهاد عبود: وما هو هذا الانتقام الهائل المروع المخيف يا نصور؟

وفتل نصور شاربيه واستوى في جلسته

وهدر: «سأشطب اسمها من الدفتر وخليها تموت فقع أحسن ما تموت قتل».

وسحب نصور دفتره من جيب شرواله وفتحه وأمسك بالقلم ليشطب اسم سعاد عبود من سجله وهو يهمس: «هه... خلصنا منها.. ياللا.. خليها تطق خليها تفقع، خليها تموت قهر»..

وأيقن جهاد عبود أن نصوراً لن يطلق النار على سعاد ونبيل وأنه لا يصلح لهذه المهمة، فلمعت في رأسه فكرة جديدة: لماذا لا يأخذ الجفت من نصور ويطلق هو النار على العاشقين المتيمين. وما

دام الجفت الذي أطلقت النار منه على سعاد ونبيل هو جفت نصور فان التحقيق سيتجه الى نصور، والنتيجة ستكون واحدة سواء أأطلق النار عليهما هو، أو نصور.

وارتاح جهاد كل الارتياح لهذه الفكرة وامتدت يده الى جفت نصور فتناوله وراح يتفحصه.

ووثب نصور ابن أم نصور الى جهاد عبود، وهو يشاهده ممسكاً بالبندقية ذات الفوهتين يتفحصها، متسائلا: ماذا يا خواجة جهاد هل أعجبك هذا الجفت؟

وتمتم جهاد، بحنق: أجل...

قال نصور: جفت أخيك نصور أحسن جفت في هذه الربوع، وما دام أخوك نصور أحسن صياد فليس لطريدة أن تنجو من نار هذا الجفت.

وكان جهاد عبود يفكر فيما نصور يفيض في الثناء على جفته «الذي هو أفضل جفت في تلك الربوع»: عليه أن يسرع في تنفيذ الخطة الجديدة، فيطلق النار على سعاد ونبيل ويعود الى دار عمه ليرافقه الى بيروت.

ورمق الساعة الذهبية المشدودة الى معصمة فاذا بها تشير الى السابعة والنصف.

ليس لديه متسع من الوقت. وعليه ان يسرع في تنفيذ الخطة والعودة الى المزرعة قبل ان يغادر عمه الدار الى بيروت.

وسار، فلحق نصور به هاتفاً: الى أين تذهب بجفتي يا خواجه جهاد؟.

الا أن جهاداً لم يرد عليه بل هو تابع سيره

فراح نصور يعدو وراءه منادياً: يا خواجه جهاد اعطني جفتي.

وبعد عدوٍ قصير أدركه، فوثب اليه هاتفاً: يا خواجه جهاد، أسمح لي بالجفت.

الا أن جهاداً أبى أن «يسمح له بالجفت» وحاول المضي في سيره، فما كان من نصور الا أنه اعترض سبيله هادراً: هات الجفت...

وتمتم جهاد عبود: أذهب الى عملك يا نصور وسأعيد الجفت اليك غداً.

وهتف نصور: لا.. أريد الجفت الآن، فأنا لا أسمح لأحد بأن «يقوص بجفتي»

وعيل صبر جهاد عبود، فالوقت يسرع في السير، وعليه أن يسرع هو أيضا في تنفيذ خطته.

فارتد الى نصور صارخاً به: اذهب في سبيلك ايها الأبله لئلا اطلق عليك النار.

ووجم نصور ابن أم نصور، وهو يرى جهاداً يصوب الجفت الى صدره...

وغضب، وكلمة «أبله» تقع في اذنه. فهدر متسائلاً: أنا أبله يا خواجه؟.. لم يقل لي أحد هذه الكلمة، ان صبايا القرية يتهافتن للزواج مني، ويتمنين أن انفحهن بغمزة او ببسمة، فترشقني أنت بتهمة البلاهة؟.

واشتد الغضب بنصور
وجحظت عيناه
وهدر بلهجته القروية الخشنة:« ولك بعد ما خلق اللي بدو يقول عن نصور ابن ام نصور انه أبله ».
وبسرعة البرق الخاطف قفز نصور الى جهاد عبود وأمسك بالجفت.
وبالرغم من محاولة جهاد عبود الاحتفاظ بالبندقية، فقد استطاع نصور ان ينتزعها من يديه ويبتعد عنه هاتفاً: « بدك تأخذ الجفت تاتقوص سعاد؟.
وتمتم جهاد محاولا استرضاء القروي الساذج، يا نصور!.. ان سعاد فتاة خائنة وقد خانت خطيبها نصوراً أترضى بالخيانة يا نصور؟
وهدر نصور: « إي برضى... ».
-يجب ان تنتقم منها يا نصور.
- لقد انتقمت، الا يكفي انني شطبت اسمها من الدفتر.
- لا... لا يكفي، أعطني الجفت وأنا سأطلق النار عليها وانتقم لك منها وأغسل العار بالدم.
وهتف نصور إبن أم نصور: لا: لا أريد أن تصاب سعاد بأذى، ولن أسمح لأحد بأن يمسها بسوء.
قال جهاد: يا نصور!.. كن شجاعاً. وإذا كنت لا تستطيع أن تطلق النار على خطيبتك الخائنة. فدعني أتولّى هذه المهمة عنك.
فما كان من نصور الاَّ أنه رمق جهاداً بنظرة غضب هائلة

وهدر: لا - لا أريد ان تصرع سعاد، ولا ان يقتل نبيل الهادي.

قال جهاد: أنا صديقك المخلص الوفي يا نصور، وأريد أن أساعدك وأستعيد لك الشرف الضائع

فهتف نصور: لا ... أنت لست صديقي. انت عدوّي. لقد رشقتني بتهمة لن انساها مدى الحياة.

فتساءل جهاد: وما هي هذه التهمة يا نصور،؟

قال نصور: لقد اتهمتني بالبله...

وعاد الغضب الشديد يلمع في عيني نصور. وقد تذكر وصمة البله التي وصمه بها جهاد

وهدر: انا أبله؟ سل بنات الضيعة كلهن يقلن لك من هو نصور إبن أم نصور الذي يتمتع بالحذق وبالذكاء.. آنا شعلة ذكاء يا خواجه جهاد. ولن اسمح لأحد بأن يتهمني بالبله

قال نصور هذا، واسرع بالمسير وهو يحمل جفته ويتمتم:

«قال أبله قال.. اذا كنت انا أبله ما عاد في حدا ذكي بها الضيعة»

ووقف جهاد عبود يشيع نصوراً بنظرة ملتهبة حمراء تَنُمّ عمّا في صدره من غضب وحنق واضطراب.

وانصرف إلى التفكير: لقد ضيع عليه هذا الأبله فرصة الإنتقام. ماذا عليه ان يفعل الان؟. يجب أن يرسم خطة جديدة ينتقم بها من سعاد ومن عشيقها الشاب القروى الخبيث.

ولكن ما هي هذه الخطة!..

وكيف يستطيع الإنتقام منها، وليس لديه أي سلاح

وكان على جهاد عبود أن يسرع في رسم تلك الخطة، وأن ينفذها فوراً.

واسترسل في التفكير...

ولم يطل تفكيره...

فهو قد توصل إلى رسم خطة جديدة، لاحت له انها مضمونة النجاح. هو سيثب إلى سعاد ونبيل ويدهمها بالجرم المشهود. ثم يعلن الفضيحة امام عمه والد سعاد.

ووالد سعاد مصاب بداء القلب وهو لن يتحمل هول الصدمة العاتية الرهيبة... الفضيحة ستقضي عليه فيتخلص منه.

ومضى جهاد عبود في التفكير: وقد يفتك عمه بأبنته سعاد بعد أن يتأكد من فسقها وفجورها قبل أن يرحل عن هذا العالم.

وعندئذ يكون قد ارتاح من الاثنين: من سعاد ومن والدها. وتبقى ام سعاد .

وهمس جهاد في سره: التخلص من أم سعاد لن يكون صعباً. نقطة من السم في فنجان قهوة تكفي للقضاء عليها. عندئذ... عندئذ اصبح انا الوريث الشرعي لأسرة عمي وتنتقل الثروة الطائلة إلي.

وارتاح جهاد عبود كل الإرتياح لهذه الخطة.

وعاد أدراجه...

ووصل الى مقربة من السنديانة ليشاهد من خلال اغصان

الأشجار الوارفة ما يجري. ويسمع ما يتبادل العاشقان من همسات وشاهد... ويا لهول ما شاهد...

ابنة عمه سعاد تلقي برأسها على صدر نبيل... ونبيل يطوقها بذراعيه

وسمع جهاد همسات الهوى والحب والهيام...

لقد سمع سعاد تهمس في مسمع نبيل الهادي:«يا حبيبي يا نبيل»..و سمع نبيلاً يتمتم:«يا حياتي يا سعاد...»

وثار جهاد عبود، وهو يرى.. ويسمع...

وشعر بنار الغيرة اللاهبة الحمراء، تحرق قلبه

وأدرك أن الفرصة باتت سانحة له. وما عليه الا ان يغتنمها.. وخرج من مكمنه...

ووثب إلى إبنة عمه على ثورة لاهبة حمراء، والشرر يتطاير من عينيه

وصرخ بدويّ صوت وبثورة غضب: الويل ثم الويل لك ايتها المجرمة الفاسقة الشريرة الحقيرة.

وذعرت سعاد عبود، والصوت الصارخ الداوي يقع منها في الأذنين.

واشتدّ الذعر بها، وهي تشاهد إبن عمها جهاداً ينتصب أمامها كالعاصفة العاتية الهوجاء، كالبركان الثائر الذي يقذف الحمم والنار

ووقفت سعاد على هلع وخوف.

وتراجعت إلى الوراء، وهي تشاهد الغضب العاصف الشديد يطلّ من عيني جهاد.

واقترب جهاد عبود منها، معربداً هادراً: يا لك من فاسقة مجرمة متهورة ساقطة. لقد أنزلت بأسرتنا النبيلة الشريفة الذل والعار. ولوثت شرفنا بالوحول. سأغسل عارك ايتها المجرمة بدمك.
ووثب جهاد عبودي إلى ابنة عمه يمسك بيدها وينهال عليها بالصفع.

وحاولت سعاد الأفلات منه وهي تتمتم: جهاد!.. جهاد!.. لا تستسلم لثورة الغضب. اسمع يا جهاد، اسمع لأوضح لك الأمر. لا تظلمني يا ابن عمي.

فما كان من جهاد عبود الا ليزداد ثورة وغضباً.

وامسك بشعرها يشده وينهال عليها باللطم والرفس.

وكانت سعاد بين يدي جهاد كالعصفور بين مخالب الصقر، أو هي كانت كالنعجة بين انياب الذئب.

ولم يكن لنبيل الهادي أن يقف مكتوف اليدين، وهو يشاهد حبيبته سعاد بين اشداق ذلك الوحش الضاري الذي ينهال عليها بالرفس والضرب، ويشتمها ويلصق بها التهم الشائنة، فوثب اليه محاولاً إنقاذ سعاد من بين يديه.

فما كان من جهاد الا أنه ارتد الى نبيل موجهاً إليه اللطم والصفع.

وأبى نبيل الهادي أن يردَّ اللطم والصفع لجهاد عبود. فهو إبن

عم سعاد، وليس له ان يمد إليه يداً بالسوء.

غير أن جهاداً لم يكتفِ بالضرب يوجهه إلى نبيل الهادي، بل هو راح يشتمه صارخاً به: مجرم. شرير. وضيع. حقير

ولم يستطع نبيل الهادي إحتمال الأهانة، كما احتمل الضرب من جهاد. فثار لكرامته، وراح يبادل جهاداً اللطم باللطم، والصفع بالصفع.

وبدأت المعركة...

معركة شديدة عنيفة بين الشابين، بين جهاد عبود ونبيل الهادي.

وكانت المعركة ضارية فالاثنان يستقتلان في العراك، ويستبسلان في الضرب والرفس واللطم.

ووقفت سعاد بعيداً ترقب النهاية، نهاية المعركة. وهي على خوف وهلع واضطراب.

ويليها اذا ظفر ابن عمها. وألف ويل لها اذا كان الظفر في جانب نبيل.

وأخيراً انجلت المعركة الدامية عن فوز نبيل الهادي، لم يكن جهاد عبود في مقام نبيل قوة وبأساً. فاستطاع نبيل ان يتغلب عليه بعد أن شوه وجهه وأسال دمه، واثخن عنقه ويديه وصدره بالجراح واصابه ببعض الرضوض.

وتراجع جهاد عبود منسحباً من ساحة المعركة.

وحمل جراحه وأسرع بالعودة الى المزرعة، وهو يهدر متوعداً

المجرمة سعاد وعشيقها نبيلا بالانتقام الرهيب.

ولحقت سعاد بابن عمها جهاد، والهلع يطل من عينيها آملة أن تتوصل الى اقناع جهاد باخماد نار الفضيحة وبكتم ما جرى في الغابة الخضراء. ليس حرصاً على سمعتها وسمعة أسرتها وحسب بل خشية على حياة أبيها، وهي تعلم العلم اليقين ان وقوف والدها على ما جرى سيصل به الى القبر، وهو المصاب بداء القلب.

وكان جهاد عبود يعدو في طريق الغابة الضيقة المغمورة بالاشواك والصخور، وهو يهدر ويولول: مجرمة، فاسقة، شريرة، الويل لها ولعشيقها المجرم الحقير.

وكانت سعاد تعدو وراءه وهي تناديه: جهاد!.. جهاد!.. جهاد!.. قف، قف، لي معك حديث، قف يا جهاد قف.

وكانت سعاد تأمل أن تلجم لسان جهاد بمبلغ من المال، وهي تعلم أن جهاداً يبيع كل شيء حتى شرفه، بحفنة من الذهب، ستنقده ألفاً، ألفين خمسة الآف، عشرة الآف ليرة لبنانية وتشتري سكوته وتنقذ سمعتها. ومع سمعتها تنقذ حياة أبيها.

الا أن جهاداً لم يتوقف عن العدو.

ومضى في الركض والقفز فوق الصخور والأشواك.

واستطاعت سعاد أن تدرك جهاداً، وقد وصل الى حديقة الدار.

وأمسكت بيده والدموع تنهمر على وجنتيها هامسة: جهاد!.. ابن عمي!.. رحماك لا تفضحني، وأنت تعلم ان الفضيحة ستقضي على عمك. أكتم السر يا جهاد، ولك مني ما تشاء من المال.

وهتف جهاد، وقد أفلت يده من يدها: مجرمة بغي،الموت لك أيتها الفاسقة الشريرة.

قالت محاولة اثارة الشفقة والرحمة في قلبه: أنا ابنة عمك يا جهاد أتهون لديك ابنة عمك سعاد؟

فهدر: ابنة عمي لا تقدم على تلويث سمعتنا بالعار وتمريغ كرامتنا بالوحول.انت لست ابنة عمي،انت عدوتي.الويل، ثم الويل لك يا مجرمة.

قالت: سأنقدّك ما تريد من المال لقاء سكوتك.قل ما هو المبلغ الذي تريده؟.

فصرخ بها: لا أريد مالا، ما اريده هو غسل العار الذي رميتنا به ايتها الفاسقة.

قالت: سأنقدك خمسة الآف ليرة،هل يكفي هذا المبلغ ثمناً لسكوتك؟

قال، وهو يمسح الدماء عن وجهه وعنقه: مجنونة.. هل يخيل اليك أن المال سيمحو عارك أيتها الشقية.

فهمست: عشرة الآف.. هل تكفيك آلاف عشرة؟..

قال: مال الدنيا بأسرها لن يستطيع محو عارك يا فاسقة.

قالت: ومع الآلاف العشرة سأعطيك بعض حلاي وجواهري.

فضحك جهاد عبود في سره: مجنونة، هل يخيل اليها انه يطمع في عشرة الآف ليرة وفي بعض الجواهر.؟. لا.. ان جهاداً يريد ان يستولي على ثروتها بكاملها، على المزرعة، والذهب والاموال، وعلى مصرف الاقتصاد بكامله، ولن يستطيع الحصول على ما يريد

الا في نشر الفضيحة على مسامع والدها.

وزعق: سأقصف عمرك يا مجرمة، وأخمد أنفاسك.

فجثت على قدميه، والدموع الغزيرة تتدحرج على وجنتيها وهمست: أقصف عمري، أخمد انفاسي يا جهاد، ولكن لا تقتل والدي. إن وقوف والدي على ما جرى سيصل به الى القبر، أرجوك يا جهاد استحلفك بحياتك، بعينيك، بكل عزيز لديك أن ترحمني وترحم والدي وتكتم سر الفضيحة في قلبك.

فرفسها برجله هادراً: سأحطم رأسك كما حطمت كرامتنا أيتها البغي الشريرة.

واقتحم الدار على ثورة غضب لاهبة محرقة.

ووثب الى عمه مولولاً صارخاً: اما أن تردع المجرمة الفاسقة الفاجرة، عن فسقها وفجورها واما أن تترك امر ردعها الي يا عمي.

وكان ناصر عبود، ما زال جالساً على شرفة داره، يرشف قهوة الصباح، عندما أطل عليه ابن أخيه في ثورته وغضبه وعربدته وصراخه، فدهش ووجم.

وازداد دهشة ووجوماً وهو يرى الدم يسيل من عنق ويدي وصدر جهاد، ويشاهد اثار اللطم واللكم الزرقاء على وجهه.

فسأله بذعر وهلع: ما بك يا جهاد؟ وماذا حدث؟ ومن هي تلك المجرمة الفاسقة الفاجرة التي تريد ردعها عن المضي في فسقها وفجورها.

وهتف جهاد: هي ابنتك سعاد.

سعاد؟..

سعاد مجرمة فاسقة فاجرة؟..

وكأن الصاعقة انقضت على رأس صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني

فتمتم: اخبرني يا جهاد ماذا حدث.

وجلس جهاد عبود قرب عمه يلهث من التعب، ويمسح دماءه بمنديله ليروي لعمه المأساة المرعبة المخيفة العاصفة الهوجاء.

وروى جهاد عبود لعمه والد سعاد كل شيء.

لم يخف عنه سوى تحريضه ابن أم نصور على قتل سعاد ونبيل.

قال: لقد كنت اتنزه في الغابة الخضراء، عندما سمعت همساً ووشوشات، فشخصت الى مصدر الهمس، الى تحت السنديانة الخضراء، لأفاجأ بالمجرمة تجلس قرب ابن وكيل المزرعة لتبثه هواها وتستمتع الى ما يسكب من كلمات الهوى والغرام.. لا تسلني يا عمي عما سمعت وشاهدت فأنا لا أستطيع أن أعيد على مسمعك ما نزل في مسمعي منهما، ولا أن أصف لك ما رأت عيناي.

وصمت جهاد عبود برهة.وراح يراقب عمه ليكتشف مدى تأثير الصدمة عليه.

فهو يرجو أن تدهم والد سعاد النوبة القلبية وتذهب بحياته.

الا أن أمله خاب.

فلم تبدُ «تباشير» الصدمة الصارعة على وجه ناصر عبود.بل هو راح يستمع الى ما يقول جهاد بقلق واضطراب.

وعاد جهاد الى الكلام بعد صمت قصير ليقول، متابعاً سرد

التفاصيل: لقد هالني ما سمعت وما رأيت يا عمي، فوقفت مشدوها لا أصدق ما أسمع وما أرى. هل يمكن ذلك؟.. هل يمكن أن تنحدر ابنة عمي سعاد الى درجات الانحطاط الخلقي الذريع؟ مستحيل، مستحيل. الا أن الواقع كان يكذبني وكان يصفعني بالحقيقة الناصعة، وبالبرهان القاطع الفاصل الساطع، ولم أستطع أن أسيطر على اعصابي.لم استطع أن أحتمل هول الصدمة الهادمة المدمرة القاسمة. فوثبت اليهما، والغضب الشديد يعصف بي، وأمسكت بيد سعاد محاولا الابتعاد بها عن ذلك الوغد اللئيم والعودة بها الى الدار. الا أنها أبت أن تنسلخ عنه، وأن تعود برفقتي. وعندما ألححت عليها بالعودة الى الدار تمردت فصفعتها. وإذا بعشيقها المجرم السفاح يثب الي وينهال علي بالضرب.وكان من الطبيعي أن أدافع.فدافعت، واشتبكت واياه في معركة هادرة عنيفة.وانجلت المعركة عما ترى في وجهي وعنقي ويدي من جراح ولكمات ورضوض.

وبدأت طلائع النوبة القلبية تلوح على ناصر عبود..

فقد اصفر وجهه.وبدأ العرق البارد يتصبب من جبينه.

فاطمأن جهاد بعض الاطمئنان

وتابع كلامه قائلا: وعدت أدراجي،فلحقت بي سعاد، طالبة إليّ برجاء واسترحام أن أكتم السر فلا أطلعك على ما كان منها من تهتك وانحطاط، عارضة علي مبلغاً كبيراً من المال لقاء سكوتي، إلاّ انني رفضت طلبها.وأصررت على أن أطلعك على كل شيء.

واشتد الغضب بصاحب مصرف الاقتصاد اللبناني، وكلمات

ابن اخيه تقع منه في الاذنين، وأخذ يرتجف من الغضب والحزن معاً.

الا أن النوبة القلبية لم تدهمه،كما كان يرجو جهاد عبود ويتمنى.

لقد خيبت النوبة القلبية أمل جهاد فلم يبن لها أثر.

وناصر عبود كان يشعر بهول الكارثة يهد كيانه، ويعصف به.

كان والد سعاد كشجرة وارفة الاغصان تتمايل بين أيدي العاصفة العاتية الهوجاء.

الا ان تلك العاصفة لم تستطع أن تقتلع تلك الشجرة.ولا أن تحطم أغصانها الوارفة.

وخيل لناصر عبود أن الكارثة النازلة به ستحطمه وتذهب بحياته،وأنه لن يستطيع الصمود أمامها.

انها لكارثة مزدوجة: كارثة تهور سعاد وانزلاقها في وهاد الانحطاط الخلقي، وكارثة اختيارها ذلك الشاب الفقير، ابن وكيل مزرعته حبيباً لها.

ولو أن سعاد اختارت احد الشبان الموسرين، أو احد رفاقها في الجامعة، أو نجل صاحب مصرف لهان الأمر، أما وهي تنحدر الى أسفل،فهذا ما لا يحتمل ولا يطاق.

وحاول ناصر عبود الكلام فما استطاع.

وحاول الوقوف فعجز.

كل ما فيه كان يضطرب ويهتز اهتزازاً من رأسه حتى أخمص قدميه.

وكان جهاد عبود يراقب عمه باهتمام كلي، وهو على ارتياح واطمئنان.

يبدو أن الكارثة بدأت تعطي ثمارها المرجوّة..

ولا بد من أن تطل الازمة القلبية فتقضي على والد سعاد.

ويكون جهاد قد سار الخطوة الاولى في طريق تحقيق الأمل الباسم الريان.

الا ان قلب ناصر عبود صمد في وجه العاصفة. في حين استطاعت تلك العاصفة ان تعبث بأعصابه وان تشعل نار الغضب الشديد في صدره.

فنادى اليه زوجته هاتفاً: أم سعاد!.. تعالي يا أم سعاد.

واقبلت ام سعاد، وقد هالها صوت زوجها الهادر كعويل الرياح.

واشتد القلق بها، وقد أصبحت على الشرفة قرب ابي سعاد، وشاهدت وجهه الاصفر، ويديه المرتجفتين، وعينيه المتقدتين بنار الغضب الشديد الرهيب، فتساءلت بقلق: ما بك يا ناصر؟.. ماذا حدث؟.

والتفت ناصر عبود الى ابن اخيه قائلا: أخبرها يا جهاد. ماذا حدث. قل لها ان ابنتها فاسقة مجرمة شريرة. أخبرها كل شيء، كل شيء.

وشعرت أم سعاد بقواها تخور، ويقدميها ترتجفان.

فجلست قرب زوجها

والتفتت الى جهاد تسأله: ماذا حدث، يا جهاد؟

وروى جهاد عبود لأم سعاد، ما روى لوالدها.

واخبرها كل شيء...

وأصاب الزوجة من الهلع والقلق والاضطراب ما اصاب الزوج.

وغمر الحزن العميق قلب الأم، وهي تستمع إلى تفاصيل المأساة الرهيبة.

ولم تنبس بحرف.

لم تفه بكلمة.

بل هي نهضت وسارت بقدمين واهيتين مضطربتين، باحثة عن ابنتها الطائشة الجحود.

وشخصت الى غرفة سعاد.

واقتحمت الغرفة فاذا بها أمام سعاد تجمع ثيابها وتحشرها في حقيبة كبيرة محاولة الهرب من تلك الدار.

وأمسكت الأم بأبنتها والدموع تغمر عينيها، والحزن الشديد يعصر قلبها، والاضطراب يهز كيانها هزاً.

وتمتمت: ماذا فعلت يا سعاد؟ ماذا فعلت؟.. لقد هدمت كيان اسرتنا، دمرت حياتنا، اضرمت النار في هذا البيت الآمن المطمئن السعيد، وقضيت علينا. ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟

وكانت الأم في حال مؤسفة مؤلمة دامية.

كانت تبكي وتلطم وجهها وهي تتمتم: ماذا فعلت يا سعاد؟ ماذا فعلت؟...

وحال سعاد لم تكن لتختلف عن حال أمها.

لقد هـدَّت الفضيحة جسدها ، وعصفت بروحها ، وأذابت فؤادها ، فأضحت كورقة صفراء ذابلة تتقاذفها رياح الخريف وتعصف بها .

ومضت سعاد في جمع ثيابها والألقاء بها في الحقيبة دون أن تنبس بحرف، ودون أن تجيب بكلمة.

ووثبت الام الى ابنتها ، وقد أدركت انها تحاول الهرب.

وتمتمت متسائلة: الى أين ستذهبين؟ الى أين ستهربين؟ الا يكفي ما أنزلت بنا من الذل والعار والهوان؟ اتريدين أن تختتمي الفضيحة بفضيحة أكبر يا سعاد؟.

فتمتمت سعاد ، وهي تمسح دموعها المنهمرة على وجنتيها النديتين: سأريحكم مني.سأرحل ليس عن هذه الدار فحسب بل عن هذا العالم بأسره.

فذعرت الام.

وتحول حزنها وغضبها الى خوف وهلع ، وقد أدركت أن ابنتها عازمة على الانتحار.

ووثبت اليها محاولة انتزاع الحقيبة من يديها.

الا أن سعاد كانت قد حزمت الحقيبة محاولة المسير بها ، والخروج من تلك الدار التي قوضت أركانها وغمرتها بالشقاء.

واشتد الذعر بالام البائسة الحزين.

ونادت زوجها اليها مستعينة به على الحؤول دون هرب سعاد: ناصر!.. تعال يا ناصر تعال، أسرع أسرع.

وأسرع ناصر عبود وهو يسمع صوت زوجته الداعي الي الاسراع.

وأسرع وراءه ابن اخيه جهاد.

وما أن شاهد صاحب مصرف الاقتصاد ابنته تحمل حقيبتها وتهم بالمسير حتى عادت الثورة اللاهبة الى الاندلاع في صدره.

فوثب اليها يمسك بشعرها وينهال عليها بالضرب والصفع والرفس واللطم.

وكان ناصر عبود في حال نفسية مروعة.

كان أقرب إلى الجنون منه إلى التعقل.

الزبد يتدفق من فمه، والشرر يتطاير من عينيه. وهو يهدر ويزعق ويصرخ: سافلة... مجرمة.. شريرة.. متهتكة، دمك مباح يا كافرة.

وكانت سعاد بين يدي والدها الثائر الغاضب كالنعجة بين يدي الجزار، تتلقى الضرب والرفس والصفع واللطم دون أن تنبس بحرف، ودون ان تحاول الهرب من أمامه،

فكأنها كانت تريد ان يشتد الغضب بوالدها فيقضي عليها ويريحها من عذاب قلبها الاليم.

وكاد ناصر عبود يقضي على ابنته سعاد.

كاد يقتلها

الا أن أمها وثبت اليها محاولة ابعاده عنها في حين وقف جهاد بعيداً دون أن يحاول ردع عمه عن الفتك بأبنته.

لقد كان جهاد مرتاحاً الى ما يجري، وهو يأمل ان تعاود

النوبة القلبية عمه فتقضي عليه أو أن يصيب ذلك العم ابنته بضربة قاضية تذهب بحياتها.

وفي الحالين يكون جهاد الرابح.

وسيكون من الافضل اذا صرع عمه ابنته واصيب بنوبة قلبية دفعة واحدة.

فهو في هذه الحال يرتاح من الاثنين، من الأب والابنة. ويعود الارث الكبير اليه، فهو وريث عمه الوحيد.

وشاهدت ام سعاد جهاداً في وقفته الحائرة

فهتفت: جهاد!.. اسرع.. ساعدني على عمك لننقذ سعاد من بين يديه.

واصبح جهاد مضطراً لتلبية نداء زوجة عمه.

لم يعد له أن يظل في وقفة المتفرج وأم سعاد تناديه وتطلب منه النجدة والعون.

فماذا ستقول أم سعاد، وهي تشاهده واقفاً لا يتحرك ولا يحاول انقاذ سعاد؟

ووثب جهاد يساعد زوجة عمه على انقاذ سعاد.

وراحا يعملان على ابعاد الوالد عن ابنته وردعه عن الفتك بها.

وتمكنا من ردعه وابعاده عن سعاد.

ولكن بعد ماذا؟..

بعد أن أمعن في ضربها ورفسها وصفعها وأثخن جسدها بالجراح.

وأصيبت سعاد بإغماء شديد

فوقعت على الارض بلا حراك، في حين ألقى والدها بجسده الواهي على مقعد وثير قرب سريرها واضعاً يده على صدره وهو يهمس: قلبي... قلبي... قلبي.

ولمعت الفرحة في عيني جهاد عبود.

يبدو أن أمله الباسم المخضل الجناح سيتحقق، النوبة القلبية دهمت عمه، كما توقع، وسعاد ملقاة على الارض بلا حراك.

ولعلها فارقت الحياة.

وذعرت أم سعاد وهي تشاهد زوجها في ألمه، وابنتها في اغمائها وهتفت: جهاد!.. أسرع الى الهاتف واتصل بالطبيب أسرع يا جهاد اسرع.

وأوهم جهاد أم سعاد انه مسرع في الاتصال بالطبيب

وأمسك بسماعة الهاتف ووقف ينتظر دون أن يتحدث او ان يدير الارقام في حين راحت ام سعاد تحاول اسعاف ابنتها ومدها بالمنعشات.

ففتحت سعاد عينيها ثم عادت فأطبقتهما على دموعها الغزيرة الثخينة.

وانكبت الام على ابنتها هاتفة: سعاد حبيبتي سعاد، ارفقي بأمك البائسة. لا تفجعيني بك يا سعاد، عودي الى رشدك يا «ماما» يا حياتي.

وكانت الدموع تنهمر غزيرة على وجنتي الام وهي تخاطب ابنتها، في حين كان جهاد عبود ما زال واقفاً يحمل سماعة الهاتف

محاولا ايهام عمه وزوجته انه يسعى للاتصال بالطبيب.

وهتفت أم سعاد بجهاد: ما بكِ؟.. لماذا لا تتصل بالطبيب يا جهاد؟ أسرع في الاتصال به.ان عمك في حال الخطر كما يبدو وسعاد ما زالت متعبة مرهقة موجعة.

وتمتم جهاد: خط الهاتف مقطوع كما يبدو، أحاول الاتصال بالطبيب ولكن دون جدوى.

واسرعت ام سعاد بالخروج من الغرفة باحثة عن الخادمة هاتفةً: أم سعيد!.. أم سعيد!.. أين انت يا أم سعيد؟..

وأم سعيد لم تكن في الدار. كانت تجمع بعض الخضار والاثمار من أطراف المزرعة فوقع صوت سيدتها في اذنيها، وهي تناديها بصوت مرتفع يغمره الخوف والهلع.

وأسرعت أم سعيد عائدة الى الدار متسائلة: ما بك يا سيدتي؟

قالت أم سعاد والدموع في عينيها: أسرعي يا أم سعيد الى دار الدكتور كرم واطلبي اليه الحضور الينا حالا وبسرعة.

فتساءلت أم سعيد بخوف وذعر: ماذا جرى يا سيدتي؟

قالت الأم: ابو سعاد أصيب بنوبة قلبية وسعاد مغمى عليها اسرعي.. اسرعي.

وهرولت أم سعيد وهي تتمتم: يا رب رحمتك احرس سعاد وانقذ والدها.

وسارت ام سعيد..

وفي آخر الحديقة قرب البوابة الكبيرة شاهدت السائق يجلس

في السيارة وهو يطالع احدى الصحف بانتظار حضور سيده ليقله الى بيروت كعادته.

كل صباح.

فوثبت ام سعيد الى السيارة هاتفة بالسائق: اسرع بي الى دار الدكتور جعجع اسرع، اسرع.

ووجم السائق.

وتساءل: الى دار الدكتور كرم؟.. ماذا جرى يا أم سعيد؟ ماذا جرى في هذه الدار؟.

قالت: النوبة القلبية عاودت ناصر بك ويبدو أن سعاد أصيبت بالانهيار وهي تشاهد والدها في حال الخطر اسرع.. اسرع.. اسرع.

واسرع السائق الى دار الدكتور كرم.

وهي دار فخمة تجثم على ربوة باسمة خضراء تطل على السفوح المبسوطة الاجنحة وعلى الوديان الرائعة الجمال.

دقائق قليلة، ووصلت السيارة الى دار الدكتور كرم

فوثبت أم سعيد منها مقتحمة دار الطبيب كرم.

وكان الطبيب يهم بالخروج من الدار عندما وصلت أم سعيد هاتفة: اسرع يا دكتور اسرع إلينا.

فتساءل: ماذا جرى يا أم سعيد؟.

قالت: سيدي ناصر بك مصاب بنوبة قلبية وابنته سعاد أغمي عليها.

والدكتور كرم صديق حميم لصاحب مصرف الاقتصاد.

وهو من كبار المساهمين في المصرف.

فأسرع الى حقيبته يحملها ويطير الى دار ناصر عبود.

وكانت سعاد قد افاقت من اغمائها.

الا أن والدها كان ما زال موجعاً متألماً.

فانصرف صديقه الدكتور كرم الى معالجته ومده بالادوية والعقاقير ليعلن ان حاله لا تدعو الى القلق.

فالنوبة القلبية التي دهمته ليست شديدة الخطورة، وما هي الا نتيجة موجة من الغضب والارهاق ولن يكون بحاجة إلى المعالجة في المستشفى بل يكفي أن يخلد الى الراحة في داره يومين أو ثلاثة أيام ليستعيد عافيته.

وانتقل الدكتور كرم الى سعاد يفحصها.

وهاله ما اكتشف في وجهها وصدرها وعنقها وظهرها من أثار الضرب والعنف.

فالتفت الى أم سعاد يقول عاتباً متسائلا: هل تريدون أن تقتلوا هذه الفتاة؟

وانهمرت الدموع من عيني أم سعاد.

وهمست: ارجوك يا دكتور انقذها.

قال الدكتور كرم، وقد انتهى من فحص سعاد: ابنتكم مصابة بانهيار عصبي شديد، وهي في حال نفسية مقلقة.ولا أخفيكم انها بحاجة الى عناية فائقة والى معالجة دقيقة سريعة.

فتساءلت الام بذعر: هل ثمة خطر على حياتها يا دكتور؟

قال: لا .. ليس ثمة أي خطر على حياتها، إلا أنني أخشى أن يكون هناك خطر على أعصابها وربما كان هناك خطر على عقلها اذا لم تتوفر لها الراحة والعناية والطمأنينة والسعادة والسلام.

فاشتد الذعر بالام.وتساءلت بهلع: هل تصاب سعاد بالجنون؟ هل تصبح ابنتي مجنونة؟.

فلمعت ابتسامة هادئة على شفتي النطاسي الصديق.

وتمتم: لا .. اطمئني ابنتك لن تصبح مجنونة يا أم سعاد، ولكن المهم أن لا تمعنوا في اذلالها وفي اضطهادها وفي ضربها كما تضرب الحيوانات.

وسمع جهاد عبود ما دار من حديث بين الطبيب كرم وأم سعاد فوجم.

خطته باءت بالفشل.فعمه لن يموت،كما أن سعاد ستعيش.ولن يستطيع الوصول الى الميراث.

حظه تعس منكود...

وجميع الخطط التي رسمها حتى الآن باءت بالفشل.

الا أنه لن ييأس.وسيعود الى التفكير برسم خطة جديدة تصل به الى ما يتمنى ويريد.

في هذه الاثناء كان الدكتور كرم منصرفاً الى معالجة سعاد وتضميد جراحها وهو يمازحها محاولا التخفيف من وطأة المصاب الاليم النازل بها.

وهو يعلم أن مصابها ليس في جسدها ولا في جراحها.بل هو في روحها وفي قلبها الهائم الولوع.

وطلب الدكتور كـرم الى أم سعاد والى جهاد مساعدة ناصر عبود على الانتقال الى غرفته في حين مضى في معالجة سعاد.

وما أن خرج الجميع من القاعة حتى بادر الطبيب الفتاة بقوله: سعاد!.. انت عندي في مقام ابنتي،اخبريني، ماذا جرى يا سعاد،اخبريني كل شيء يا ابنتي ولا تخفي عني شيئاً.

واجهشت سعاد بالبكاء.

فراح الدكتور كـرم يوآسيها مكفكفاً دموعها.

وعاد الى التساؤل: اخبريني ماذا جرى؟

وهمست سعاد: أتريد أن تساعدني يا دكتور؟ اذا اردت مساعدتي ساعدني على التخلص من هذه الحياة.

فرمقها الدكتور كـرم بنظرة عاتبة.

وتمتم: سأساعدك يا ابنتي، ولكن ليس على التخلص من هذه الحياة. بل على العيش حياة هانئة، اخبريني الآن لماذا ضربك والدك.

ولمست في الطبيب الانساني العطف والحنان فأطلعته على بعض اسرارها.

ولم تخف عنه تلك العلاقة العاطفية العنيفة التي تربط بين قلبها وبين قلب نبيل الهادي.

ولا هي أخفت عنه كيف داهمها ابن عمها جهاد جالسة قرب نبيل تحت السنديانة الخضراء.

وأخيراً كيف أطلع جهاد والدها على الأمر.

وكيف ثار والدها وانهال عليها بالضرب.

وكان الدكتور كرم يصغي إلى حديث سعاد باهتمام كبير.

وهمس، وقد أنهت سعاد سرد مأساتها: يا ابنتي يا سعاد لقد ارتكبت هفوة كبيرة. وكان عليك أن تتصرفي تصرف فتاة عاقلة متعلمة مثقفة واعية.

فتساءلت: أتكون هذه الهفوة هي في علاقتي بنبيل؟

وأجاب: لا.. هفوتك هذه تنحصر في إخفاء سر هذه العلاقة عن ذويك. كان عليك أن تكوني جريئة، وتطلعي والدك أو والدتك على سر علاقتك بابن وكيل المزرعة. لو أنك فعلت ذلك لما وصلتِ إلى هذه الحال.

قالت: لم أجرؤ على إفشاء سري أمام والدي أو أمام والدتي وأنا أعلم أنهما لن يكونا راضيين عن هذه العلاقة التي تربط بيني وبين نبيل الهادي.

قال: كان عليك إذن أن تطلعيني أنا على هذا السر، وأنت تعلمين أية علاقة وطيدة ثابتة حميمة تربط بيني وبين والدك، لو فعلت ذلك لأبعدت شبح الكارثة عن الانقضاض على هذه الدار. إن أكبر هفوة يرتكبها الأبناء هي إخفاء أسرارهم عن ذويهم، يجب أن تعلم الابنة أن والدتها هي صديقتها وليست عدوتها. وأن والدها هو الإنسان الوحيد على هذه الأرض الذي يستطيع أن يتعاون معها على حل مشاكلها، على الأبناء أن يتحلوا بالجرأة وبالشجاعة وأن يطلعوا ذويهم على كل أسرارهم مهما كان نوع وشكل هذه الأسرار، وأن يستفيدوا من خبرة الأمهات والآباء في هذه الحياة.

فأخفت سعاد وجهها بيديها.

ومضت في سكب الدموع.

وعاد الطبيب إلى الكلام ليقول: اطمئني، سأمد لك يد المساعدة يا ابنتي. وأرجو أن أوفق في توفير السعادة لك، وفي إعادة السلام والسكينة والهدوء إلى قلبك الطاهر الحنون.

قال الدكتور كرم هذا، وانتقل من غرفة سعاد إلى غرفة والدها.

وكان ناصر عبود ممدداً على سريره وزوجته قربه، وابن أخيه جهاد واقفاً على مقربة من السرير، وهو يراقب عمه بطرف خفي محاولا أن يعرف مدى خطورة حاله: ترى هل تفشل الخطوة الثانية من خطته بعد أن فشلت الخطوة الاولى، وينجو عمه من الموت؟

واقترب الطبيب من سرير صديقه والابتسامة تطفو على شفتيه.

فنهضت أم سعاد لتسأل الطبيب بخوف وبإلحاح: ماذا يا دكتور؟ هل يكون صديقك ناصر في خطر؟

وأرهف جهاد أذنيه ليستمع الى جواب الطبيب، وهو يأمل أن يكون الجواب بالايجاب.

إلا أن الدكتور كرم خيب الأمل.

قال: اطمئني يا أم سعاد، ناصر بك بألف خير وليس ثمة أي خطر على حياته، بعد يومين أو ثلاثة أيام على الأكثر سيعود الى استئناف عمله في المصرف ولكن..

ووجمت أم سعاد.

وقطعت على النطاسي الحديث، متسائلة بلهفة وذعر: ولكن ماذا يا دكتور؟..

قال الطبيب كـرم : ولكن أخشى أن تصبح سعاد في خطر إذا لم توفر لها الراحة والطمأنينة والسعادة.

واستوى ناصر عبود في سريره على خوف وقلق، وهو يسمع الطبيب يعلن ان ابنته ستكون في خطر.

لقد تحركت في صدره عاطفة الابوة.

وندم على ما بدر منه حيالها.

وتساءل: أتكون سعاد في خطر يا صديقي؟.

ورد الطبيب بقوله: لا.. سعاد الآن ليست في خطر، الا أنها ستكون في خطر اذا لم توفر لها الراحة والطمأنينة والسلام.

وكان الدكتور كـرم يرمي الى تحقيق المهمة التي عزم على القيام بها.

الا أن الدكتور كـرم لم يثر القلق في قلب ناصر عبود فحسب بل هو أثار القلق والهلع في قلب زوجته أيضاً.

فوثبت الى الطبيب هاتفة بذعر: ابنتي يا دكتور.. سعاد!.. ما بها سعاد؟ هل هي في خطر؟

فعاد الدكتور كـرم الى طمأنتها. فقال: لا.. سعاد ليست في خطر الآن الا أنها بحاجة قصوى الى الراحة والسكينة والهدوء.

قال الطبيب كـرم هذا. ثم التفت الى جهاد والى أم سعاد قائلا: أرجو ان تخرجا من القاعة وتتركا لي مجال اعادة فحص قلب

ناصر بك فحصاً دقيقاً.

وامتثلا لأمر الطبيب.

وخرجت أم سعاد.

ولحق بها جهاد وهو يرمق الطبيب بنظرات الخشية والحذر.

وقام الدكتور كرم إلى الباب يوصده ثم يعود للجلوس قرب صديقه صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني متسائلاً: كيف حالك الآن؟

وأجاب ناصر عبود: أشعر بأنني استعدت بعض الراحة.

فتمتم الدكتور كرم: أنت الآن بألف خير، إلا أنك لن تكون بخير إذا أعدت الكرة مرة ثانية واستسلمت لموجة الغضب العاصف الجارف الشديد. موجة من الغضب ثانية تقضي عليك يا ناصر. هل تفهمني؟ أنت لا تدرك مدى خطورة داء القلب. هذا الداء بحاجة إلى الراحة والسكينة والهدوء والوقاية أكثر منه إلى الأدوية والمصول والعقاقير.

فتساءل ناصر عبود: هل ستعيد فحص قلبي الآن يا دكتور؟

وأجاب الطبيب: لا.. قلبك الآن استعاد دقاته المنتظمة.

فعاد صاحب مصرف الاقتصاد الى التساؤل: ولكن لماذا طلبت الى زوجتي والى ابن أخي الخروج من القاعة، ثم اوصدت الباب؟

وابتسم الطبيب.

وهمس: لانني أريد أن أتحدث اليك حديثاً على جانب كبير

من الاهمية والخطورة.ولا أريد أن يستمع احد الينا.

فتمتم ناصر عبود متسائلا: هل تريد أن نتحدث في شؤون المصرف؟

قال الطبيب، وقد ارتسمت علامات الجد على وجهه: لا.. بل اريد ان اتحدث اليك في أمر سعاد.

فصمت ناصر عبود برهة ليقول: لا اريد أسمع حديثاً يدور حول هذه الابنة الطائشة يا دكتور.. الحديث عنها يعصر قلبي ويبعث الالم والعذاب الى نفسي.دعني منها ومن التحدث بشأنها.

فأمسك الدكتور كرم بيد صديقه ناصر عبود ليقول: أنت على خطأ كبير يا ناصر.. وما اقدمتَ عليه يعتبر هفوة كبيرة ليس لثلك أن يرتكب مثلها.

فهز صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني رأسه بأسف، وكأنه لا يؤمن بما يقول صديقه الطبيب.

وتابع الدكتور كرم حديثه متسائلا: هل أستطيع أن أعلم ماذا فعلت هذه الفتاة البائسة المسكينة كي تنال منك هذا الضرب الشديد والعذاب الاليم؟

وصمت ناصر عبود لايجيب، بحرف.

فهو لا يريد أن يتورط في الحديث مع صديقه الطبيب في التحدث بشأن ابنته الشريرة.

الا أن الدكتور كرم مضى في حديثه قائلا: ان سعاد لم تركتب جريمة تعاقب عليها مثل هذا العقاب، هل هناك والد

اليوم في هذا العصر عصر العلم والتمدن والحضارة يقدم على ضرب ابنته بوحشية وشراسة، وكأنه يضرب حيواناً؟.. حتى الحيوان لا يجوز ضربه يا ناصر ونحن نعيش في عصر النور والرقي.

فتمتم صاحب مصرف الاقتصاد: ان عصر النور والرقي هذا هو الذي أفسد اخلاق اولادنا وألقى بهم في مجاهل الانحطاط الخلقي العميق الغور.

قال الدكتور كـرم : نحن يا صديقي لا نستطيع أن نرتفع بأولادنا الى مستوى تفكيرنا. بل علينا أن نهبط الى مستوى تفكيرهم، علينا أن نسعى على قدر المستطاع الى التوفيق بين آرائنـا وآراء اولادنا، وبين أخلاقنا وأخلاقهم وبين عاداتنا وعاداتهم، وبين عصرنا وعصرهم، قل لي يا ناصر هل تستطيع زوجتك ان تعيش كما كانت تعيش والدتها او جدتها؟ وهل تستطيع انت أن تعيش كما كان يعيش والدك أو جدك؟ العالم يسير بسرعة الى الامام مخلفاً وراءه البشر وعاداتهم وأخلاقهم، والبشر لا يستطيعون أن يوقفوا سير العالم، بل عليهم أن يسيروا معه لئلا يجرفهم التيار، ويغرقهم في مجاهل الرجعية والتأخر والتقهقر.

فتمتم صاحب مصرف الاقتصاد: أي عصر هو هذا العصر الذي يهزأ بالقيم الاخلاقية، ويقضي على زهور التهذيب والأخلاق والدين في نفوس اولادنا لينبت مكان تلك الزهور أشواك الفسق والرذيلة والتهتك والفجور. ونحن الآباء والامهات مسؤولون عن

انهيار معاقل الفضيلة والقيم الانسانية والخلقية في نفوس اولادنا يا صديقي.

فانتفض الدكتور كرم هاتفاً بتساؤل ملحاح: وهل يخيل اليك ان ابنتك سعاد انغمست في اوحال التهتك والفساد؟

فصمت ناصر عبود.

وبدأ الالم العميق يطل من عينيه وكأنه مؤمن بأن ابنته تورطت في مجاهل التهتك والفساد والانحطاط.

واستأنف صديقه الطبيب كلامه ليقول: أليس من حق سعاد أن تختار الشاب الذي أحبه قلبها زوجاً لها؟

فهدر ناصر عبود متسائلا بتهكم وهزء: وهل يحق لها أن تنحدر الى انشاء علاقة اثيمة بشاب هو دونها مقاماً ومالا وجاها،والى الخلوة به على انفراد.

فلمعت ابتسامة هادئة على شفتي الدكتور كرم.

وهمس: اهدأ يا ناصر لا تغضب، ولا تستسلم للثورة العمياء، دعنا نتفاهم بكل هدوء، اما ان تقنعني وأما ان اقنعك.

وساد الصمت برهة بين ناصر عبود وبين صديقه الطبيب.

وفي هذه الاثناء كان جهاد عبود يجلس في بهو الدار يدخن على حنق وقلق واستياء بعد ان منيت خطته بالفشل.

في حين كانت زوجة عمه في غرفة ابنتها تجلس قربها وتواسيها وتسدي اليها النصح والارشاد.

وتبرم جهاد عبود وتأفف، وهو جالس في البهو.

وتساءل في سره: لماذا تأخرت خلوة الطبيب بعمي، وبماذا يتحدثان؟

ونهض، ورأى ان يتلصص على عمه وعلى الطبيب وأن يستمع الى ما يدور بينهما من حديث.

وكأن قلبه يحدثه بأن ثمة مؤامرة تحاك ضده.

وخشي أن يكون هذا الطبيب رسول شؤم عليه.

وبخطوات حثيثة اقترب جهاد عبود من باب غرفة عمه.

ووقف أمام الباب بكل حذر..

وانحنى على ثقب الباب يخترق النظر الى داخل الغرفة ليشاهد الطبيب جالساً على مقعد وثير قرب سرير عمه، وهما يتحدثان.

وأرهف جهاد أذنيه فسمع..

ماذا سمع جهاد؟.

لقد سمع الطبيب يقول لعمه:

اسمع يا ناصر ليس لك أن تحاسب ابنتك على جريمة لم ترتكبها، فالحب ليس جريمة يا أخي، أنت؟ ألم تحب يوم كنت في عمر سعاد؟ وأنا ألم أحب يوم كنت في عمرها؟ هل نسيت تلك الليالي التي كنا نقضيها ساهرين نناجي حبيبتينا؟ فلماذا تلوم ابنتك اذن؟

قال ناصر عبود: ولكن حبيبتي، التي أصبحت زوجتي لم تكن تفسح لي مجال الخلوة بها على انفراد.

فهدر الطبيب: وابنتك؟ أين كانت تخلو بحبيبها؟ هل كانت

تخلو به في غرفة موصدة النوافذ والابواب؟ هل كانت تخلو به في «ستريو» أو في علبة من علب الليل المشبوهة؟ لا.. لقد كانت تجتمع به في غابة خضراء وفي الهواء الطلق، فاين هي الجريمة اذن؟

قال ناصر عبود: ولكنها انحدرت الى اسفل. لم تحسن الاختيار، لقد اختارت شابا حقيراً.

فقال الطبيب: من قال لك انه حقير؟.. انه شاب قروي، هذا صحيح ولكن هل يخيل اليك ان القروي حقير يا ناصر؟.. ان القروي اكثر نبلا وأبعد شهامة وكرامة وشرفاً منا.

قال ناصر بأسف: انه فلاح.

ورد الطبيب: وما به الفلاح؟ والدك؟ ألم يكن مزارعاً فلاحاً؟.. والاموال التي أورثك اياها ذلك الوالد والتي أنشأت بها نواة مصرف صغير أصبح الآن من المصارف الكبيرة ألم تكن أموال ذلك الوالد الفلاح المزارع؟ وأنا؟ كيف حصلت على براءة الطب؟ ومن كان ينفق على تعليمي في الجامعة؟.. أليس والدي الفلاح؟ فلماذا اذن تمتهن كرامة هذا الشاب الفلاح الذي تحبه ابنتك؟

فقال ابو سعاد: انه فقير.

قال الدكتور كرم: وهل انت بحاجة الى المال كي تبحث عن عريس غني لابنتك تنتفع بأمواله.

فهمس ناصر عبود: انه وضيع.. فهو دوننا وجاهة ومقاماً

قال الطبيب كرم : وهل انت بحاجة الى الوجاهة كي تشتري عريسا وجيها لآبنتك يا ناصر؟

فصمت صاحب مصرف الاقتصاد، وقد عجز عن مجابهة صديقه الطبيب في الحجة والبرهان.

وعاد الدكتور كرم الى الكلام ليقول: وفّر السعادة لابنتك يا ناصر، وما دامت ستكون سعيدة في زواجها من حبيبها فلماذا لا توافق على هذا الزواج؟

فانتفض ناصر عبود.

وتمتم: سعاد تتزوج من ابن وكيل مزرعتي؟

قال الطبيب: أجل وسيصبح ابن وكيل صاحب المزرعة. صهرك الحبيب.

فهمس ناصر: وهل نسيت ان سعاد مخطوبة لابن عمها جهاد؟

ورد الطبيب: ابنتك ستكون تعيسة مع ابن عمها، ولن تكون سعيدة الا مع الشاب الذي اختاره قلبها، فلا تحمّل ابنتك التعاسة والشقاء يا ناصر، اسمع مني يا أخي ولن تكون الخاسر.

ووجم جهاد عبود، وهو يسمع نهاية الحوار الذي يدور بين عمه والدكتور كرم.

وهمس في سره: يا لهذا الطبيب اللعين، سأخمد انفاسه قبل ان يتمكن من اقناع عمي بما يريد.

وعاد جهاد الى ارهاف اذنيه ليسمع الدكتور كرم يقول: اشترِ سعادة ابنتك بكبريائك وعنادك، أنت ستفقد ابنتك يا ناصر اذا استمررت في عنادك وكبريائك.

ووقف الدكتور كرم يهم بالمسير.

فأستوقفه ابو سعاد قائلا: مهلا يا صديقي، لقد خطرت لي فكرة أرجو ان تنقذني من هذا المأزق المخيف الذي ألقتني به سعاد.

فتساءل الطبيب: ما هي هذه الفكرة؟

قال ناصر: ساسعى الى ان تنسى سعاد هذا الشاب والى ان توافق هي نفسها على الزواج من ابن عمها.

قال الطبيب: كيف؟

- سأفرّق بين سعاد وابن وكيل المزرعة لفترة من الزمن، وأنا اؤكد لك أن سعاد ستنسى هذا الشاب عندما ترى نفسها بعيدة عنه.وسترضخ لارادتي وتتزوج من جهاد

فعاد الدكتور كرم الى التساؤل: كيف ستفرّق بينهما يا ناصر؟

قال والد سعاد: الفكرة التي خطرت لي الآن سهلة التنفيذ، ولكن تنفيذها يحتاج الى مساعدتك.هل أنت مستعد لمدّ يد المساعدة لأخيك ناصر؟

ورد الطبيب متسائلا: ما هي هذه المساعدة التي تريد أن اقدمها لك؟

قال صاحب مصرف الاقتصاد موضحاً: سأرسل سعاد في رحلة استجام ونقاهة الى أوروبا لمدة شهر او شهرين او ثلاثة. وعندما تبتعد عن نبيل الهادي ستنسى حبه وتقتلع من قلبها هواه.. وقد

قيل ان البعد جفاء. والبعيد عن العين بعيد عن القلب.

فتساءل الطبيب: ولكن لم تقل لي ما هي المساعدة التي تطلبها مني يا ناصر.

قال: أريد منك أن تعلن ان سعاد بحاجة الى الراحة والاستجمام بعيداً عن لبنان، أعلن ذلك وأنا أتكفل بالباقي.

فتمتم الطبيب: ما هو هذا «هذا الباقي» الذي ستتكفل به انت؟

قال: سأوافق فوراً على سفرها مع والدتها، وسأطلب اليها ان تختار احدى صديقاتها للسفر معها. يخيل الي انها خطة مضمونة النجاح.. وأنني لأؤكد لك ان سعاد ستعود من رحلتها هذه وقد نسيت نبيلا الهادي وحب نبيل.

قال الدكتور كرم: إن خطتك هذه ستبوء بالفشل.

فتمتم ناصر: أؤكد لك أن السفر سيؤول بسعاد إلى النسيان.

فهمس الطبيب: وأنا اؤكد لك يا صديقي ان ابنتك ستزداد حباً وتعلقاً بنبيل الهادي وقد رأت نفسها بعيدة عنه.

قال الدكتور كرم هذا وأشعل لفافة نفث دخانها في الهواء ليتابع كلامه قائلا: اسمع يا ناصر، نحن لا نستطيع ان نقف في وجه الحب، ولا أن نجابه قوته الهائلة، الحب يا ناصر كالعاصفة العاتية الصاخبة الهوجاء، يحطم كل من يقف في وجهه؟ انه كالامواج الهائجة الثائرة تغرق كل من يحاول اقتحامها، نصيحتي اليك ان لا تجابه العاصفة، وان لا تقتحم الامواج.

فتمتم ناصر عبود: سأجرب، وليس في التجربة خسارة.

قال الطبيب: لا بأس. جرّب. وستثبت التجربة لك صواب رأيي ولكن.. ولكن عليك ان توافق على زواج سعاد من نبيل الهادي اذا فشلت تجربتك. هل تعدني بالموافقة على هذا الزواج يوم يثبت فشل تجربتك؟

فأجاب ناصر عبود دون تردد: أجل إنني أعدك بذلك.. ما عليك الآن الا ان تشخص الى غرفة سعاد، وتعلن لها على مسمع من والدتها انها بحاجة الى الاستجمام خارج لبنان لفترة من الزمن، ولا تنس ان تقول لها انك اطلعتني على الامر وانني وافقت على سفرها.

قال الطبيب: سأعمل برأيك.

وتابع ناصر عبود كلامه: وأنا سأتخذ بعض التدابير التي تساعد ابنتي على النسيان، وعلى استعادة قواها وكرامتها وعزتها وشموخها.

وودّع الدكتور كرم صديقه ناصراً.

وخرج من الغرفة ليتجه الى غرفة سعاد معلناً لها على مسمع من والدتها انها بحاجة للسفر الى خارج لبنان لفترة من الزمن كي تستطيع ان تستعيد قواها.

وعمد الدكتور كرم الى محاولة اقناعها.

قال: يا ابنتي يا سعاد، ان سفرك الى خارج لبنان أمر ضروري. لن تستطيعي استعادة قواك وأنت هنا، يجب ان تسافري يا سعاد، ويوم تستعيدين قواك تعودين إلينا سالمة.

فأصرت سعاد على الرفض.

قالت: لا.لن أسافر الى خارج لبنان لن اسافر، لن اسافر.

فأمسك الطبيب بيدها يشدها قائلا: فكّري بالامر ملياً يا ابنتي قبل أن تعلني الرفض او الموافقة، أنت لن تسافري غداً ولا بعد غد، ولا حتى بعد اسبوع، امامك متسع من الوقت للتفكير.

الفصل الرابع

خيّم الحزن على دار ناصر عبود بأجنحته المدلهمة القاتمة السواد.

فابنته سعاد رفضت النزول عند نصيحة الدكتور كرم بالسفر الى أوروبا، وأصرت على البقاء في لبنان.

وقد أدركت بثاقب بصيرتها انهم يريدون إبعادها عن نبيل الهادي.

وبدا ناصر عبود حزيناً كئيباً سريع الغضب.

فهو على ثورة وغضب، سواء أكان في داره أو في المصرف.

فالكارثة القاصمة التي انزلتها به ابنته سعاد، مسحت البسمة عن شفتيه واتنزعت السعادة من قلبه.

وناصر عبود رجل وقور رصين ذكي حكيم.

فرأى، وقد توارت عنه ثورة الغضب، أن يعمل بنصيحة صديقه الدكتور كرم وأن يعالج المعضلة ويمحو اثر الكارثة بالحسنى، وليس بالقوة.

فاذا استطاع الوصول الى الحل أنقذ ابنته من هوى نبيل الهادي وان اخفق يعود الى التفكير بأرغام سعاد على السفر.

وبدأ بالحل فوراً.

فدعا إليه وكيل المزرعة منصور الهادي ليقول له: لقد عزمت على الاستغناء عن خدماتك يا منصور فليس لك منذ الآن ان تستمر في عملك عندي، وسأعهد بأدارة شؤون المزرعة الى وكيل غيرك.

فابتسم والد نبيل.

وتمتم: الحقيقة هي انني كنت عازماً على الاستقالة من عملي في مزرعتكم يا «بيك» لانني أصبحت غير قادر على متابعة العمل في المزرعة، وقد بات العمل يرهقني، وأريد الانصراف الى الاهتمام بأرضي. ولكن هل استطيع ان اعلم لماذا تريد الاستغناء عن خدمتي.

قال صاحب مصرف الاقتصاد: سل ابنك نبيلا، فعنده لك الجواب القاطع.

وأدرك الوالد السبب، وهو لا يجهل أن ثمة صداقة بين ابنه وابنة «البيك».

وأيقن ان هذه «الصداقة» هي السبب في ما اتخذ والد سعاد من قرار.

ولم يبدِ أي اعتراض على القرار الذي اتخذه صاحب مصرف الاقتصاد.

بل- على العكس- فهو قد رحب بهذا القرار، الذي يتيح له الاهتمام بكرمه وببستانه وبحقله.

وتمتم: سأحمل اليك الدفاتر يا سيدي «البيك» وأسلمك كل ما لدي من مال بقي معي من انتاج المزرعة، وثق انني سأكون على

استعداد للقيام بأية خدمة تطلبها مني.

وانصرف والد نبيل.

فوثب ناصر عبود الى ابنته ليقول بلطف وعطف وحنان: ابنتي الحبيبة سعاد... الهفوة التي ارتكبتها بجهلك وطيشك يمكن اصلاحها. والوهدة التي ألقيت بنفسك فيها ليست بعيدة الغور. يمكن القفز منها. ما حصل قد حصل، فلنطوِ الماضي، ولنبدأ حياة جديدة يا ابنتي، ليس لك ان تمرغي جباهنا في الوحول وقد كنت لك الأب الرحيم الشفوق فلم احاول محوِ العار بالدم.. يجب أن تقومي بتنفيذ ما أرسمه لك. أتسمعين؟..

فصمتت سعاد، ولم تجب بحرف.

وعاد الوالد الى الكلام ليقول: لن تحاولي الاتصال بنبيل الهادي بعد اليوم، انسي الماضي يا ابنتي وانسي ما حفل به الماضي من فضيحة ووحول.

ومضت سعاد في صمتها البارد الحزين الكئيب، في حين مضى الوالد في حديثه قائلا: ستتزوجين من ابن عمك، وتعيشين معه عيش الازواج السعداء.

وانهمرت الدموع على وجنتي سعاد غزيرة كالمطر، فتحركت الشفقة في قلب ناصر عبود، وهو يشاهد دموع ابنته العزيزة.

وغمر حنان الابوة قلبه، فتقدم من سعاد يضمها الى صدره متمتماً: لم يبقَ لي من العمر أكثر مما مضى يا ابنتي يا سعاد، أيامي على هذه الارض أصبحت معدودة، وقد قضيت العمر موفور الكرامة ناصع الجبين، فلا تلطخي جبيني بالعار ولا تصمي أيامي

الناصعة بالوحول، هذه ارادتي. ويجب ان تنزلي عندها يا ابنتي. وأنا لا ارمي من وراء تنفيذ هذه الارادة الا سعادتك وتوفير المستقبل الزاهر الزاهي البهيج لك.

ولم تفه سعاد بحرف.

لم تنبس بكلمة

بل هي مضت في سكب الدموع.

فخيل للوالد الكسير الجناح ان ابنته غادت الى صوابها، وانها ستنفذ ارادته فتتخلى عن ابن وكيل المزرعة، وتتزوج من ابن عمها جهاد، فارتاح بعض الارتياح.

وهمس: فليوفقكك الله يا ابنتي وليسعدك وليغمر قلبك بالسعادة والهناء.

ووثب ناصر عبود الى ابن أخيه متسائلا: جهاد.. الا تزال مقيماً من سعاد على هوى وحنين؟

فأجاب جهاد بمكر ودهاء: اجل يا عمي، فانا ما زلت أحب سعاد، بالرغم مما بدر منها حيالنا.

قال ناصر عبود: اذن استعد للزواج منها يا جهاد.

فهلّل جهاد عبود،

وارتاح كل الارتياح للبشرى السعيدة

هو سيظفر بسعاد. وبكل ما تملك سعاد من ثروة طائلة وذهب وفير.

وسيصبح يوماً صاحب مصرف الاقتصاد. يستطيع ان يغرف من صندوقه المال دون رقيب، ودون ان يلقي اية معارضة لا من

ناصر عبود ولا من المدير العام ولا من رئيس المحاسبة، ولا من أمين الصندوق،انه الآن مدير المصرف، الا ان ثمة المدير العام ورئيس المحاسبة وأمين الصندوق،

وهناك عمه صاحب المصرف.

وهو لا يستطيع ان ينال من المصرف الا مرتبه فقط.

اما غداً،بعد ان يتزوج من سعاد،فسيصبح صاحب المصرف، لا سيما اذا مات عمه، فعندئذ تكتمل فرحته، ويصبح المال موفوراً لديه.

فهو لا يرمي من وراء الزواج بابنة عمه سوى الوصول الى المال اولاً والى سعاد ثانياً.

وتمتم جهاد عبود: ليكن ما تريد يا عمي العزيز.

قال ناصر عبود: بعد ايام قليلة سنحتفل بزفافكما الميمون الهانىء سعيد يا جهاد، وستقيمان أنت وسعاد معنا في هذه الدار صيفاً وفي دارنا في بيروت شتاء، لن أرضى بأن تقيما في دار بعيدة عنا.

فعاد جهاد عبود الى التمتمة، والفرحة تغمر قلبه: كما تري يا عمي.فليس لي ولا لسعاد ان نخالف لك امراً.

واطمأن صاحب مصرف الاقتصاد كل الاطمئنان.

وأسرع الى زوجته يطلب اليها ان تهيء معدات العرس.

وارتاح صاحب مصرف الاقتصاد للخطة المرسومة.

وهمس في سره: لكل فتاة هفوة، وهفوة سعاد ليست الا

واحدة من تلك الهفوات الكثيرة التي ترتكبها الفتيات.

الا ان ناصراً فوجيء بزوجته تهرع اليه في اليوم التالي لتقول بهلع وخوف: سعاد تأبى الزواج من جهاد يا ناصر، انها تصر على الرفض وتهدد بالانتحار.

وذعر الوالد الحزين: أتقدم سعاد على الانتحار؟..

وأسرع الى ابنته يقول بقلق واضطراب: ماذا أسمع يا سعاد؟ أصحيح انك ترفضين الزواج من ابن عمك؟ هل يمكن هذا؟.. ان جهاداً اظهر استعداداً تاما لمحو العار عن جبيننا ولدرء الفضيحة عن هذا البيت،إنها مأثرة نبل وشهامة لا يقدم عليها الا من غُمر قلبه بالشرف وبالكرامة.أتكفرين بهذه النعمة يا ابنتي.

فانفجرت سعاد بالبكاء، وهي تتمتم: رحماك يا والدي،رحماك

قال: وأي رحمة تطلبين مني بعد ان غمرتك بكل ما في قلبي من رحمة ومحبة وحنان؟.. كوني عاقلة يا سعاد، ولا تصفعينا بفضيحة جديدة.

قالت سعاد بتوسل واسترحام: لا ترغمني على الزواج من جهاد يا والدي.لا تدفن ابنتك حية، الموت افضل لدي من الزواج بابن عمي، دعني أعيش في دارك كالخادمة.اقتلني اذا شئت، اذبحني اذا اردت،ولكن لا ترغمني على الزواج من جهاد.

فأدرك ناصر عبود ان ابنته ما زالت تقيم من نبيل الهادي على حب وهيام. وان هذا الحب سيحطمها ويحطمه هو وزوجته وجهاد ويدك أركان داره العامرة، ويقضي على شرف الاسرة، وكرامتها القضاء المبرم التام.

وتقدم صاحب مصرف الاقتصاد من ابنته يضمها الى صدره بحنان قائلا: سعاد!.. غرامك بنبيل الهادي غمامة عابرة يا ابنتي، انت لن تستطيعي الزواج منه،ولا العيش معه، لا هو من طينتنا ولا نحن من طينته يا سعاد، لا هو من وزننا ولا نحن من وزنه، لا هو منا ولا نحن منه. زواجك من نبيل الهادي سيكون اذا تم لا سمح الله ضربة قاصمة تنزل على رأسك وعلى رؤوسنا كلنا.عودي الى نفسك يا ابنتي،استفيقي من غفلتك وابعدي عنا هول الكارثة، المتأهبة للانقضاض علينا.

فصمتت سعاد..

وعاد والدها الى الكلام ليقول: رحماك يا سعاد، انني استرحمك. رحماكِ لا تمرغي جباهنا الناصعة البياض بالوحول،انزعي من قلبك حب هذا الشاب ولك مني ما تشائين.

قالت سعاد بجرأة وشجاعة،وقد لمست في والدها الرفق والحنان: الامر ليس بيدي يا والدي العزيز.حاولت النسيان فما استطعت-حاولت طرد طيف نبيل الهادي عن فؤادي وانتزاع حبه من قلبي فعجزت.الموت أهون لدي من البعاد عن نبيل.

فهاله بيانها..

وأدرك أن ابنته صريعة الهوى.

لقد ادرك، وهوالرجل العاقل الحكيم الذكي ان القوة لا تنفع في مثل هذه الحال.وان عليه ان يجد حلا للمعضلة بعيداً عن القوة والتهديد والوعيد.

وانصرف ناصر عبود الى التفكير: يجب الوصول الى حل

سريع لهذه المشكلة.

ولكن كيف؟

كيف سينقذ ابنته من هذا الغرام البغيض العنيف، ومع انقاذ ابنته ينقذ سمعته وكرامته وشرفه الاثيل؟

ورأى بعد تفكير طويل، ان لا حل للمعضلة الا في سفر سعاد وابتعادها عن ذلك الشاب الذي استطاع ان يسيطر بحبه على عقلها وقلبها.

ابتعاد ابنته سعاد عن نبيل الهادي سينسيها حبه، ويحررها من قيود ذلك الحب القوي العنيف الذي يكبل عقلها بالحديد فيشل تفكيرها ويعمي بصيرتها وبصرها.

والتفت ناصر عبود بعد تفكير قصير الى ابنته ليقول: أنت بحاجة الى الراحة يا سعاد. انك بحاجة الى الترفيه والاستجام ستسافرين مع امك ومع احدى صديقاتك، ولك ان تختاري تلك الصديقة، الى الغرب وتزورين العواصم والمدن الاوروبية والامريكية من باريس الى نيويورك، الى واشنطن، الى روما، الى لندن، الى جنيف، لن تعودي الى لبنان الا وقد استعدت قواك وحريتك القلبية. عندما تبتعدين عن لبنان ستنسين ابن وكيل المزرعة، وتدركين انك كنت على خطأ عندما استرسلت في هوى هذا الشاب الوضيع، البعد جفاء. والبعيد عن العين بعيد عن القلب يا ابنتي. استعدي للسفر في مطلع الاسبوع القادم ستغادرين لبنان.

وهمست سعاد، وهي تمسح دموعها بمنديلها: لا يا والدي انا لن

اسافر.لن اغادر لبنان.

فلمع الغضب في عيني ناصر عبود، وابنته تعلن التمرد والعصيان.

الا انه رأى ان يسيطر على جذوة الغضب المتقدة في صدره.

فالغضب لن يفيد، ولن يحمل سعاد على النزول عند ارادته بل هو سيدفع بها الى المضي في تمردها وعصيانها وسيعيد الى قلبه النوبة الخطرة.

فليدعها الآن تفكر بالامر.

وليفكر هو أيضاً في خطة جديدة تبعد سعاد عن ابن وكيل المزرعة، وتقرّبها من ابن أخيه جهاد.

وهمس ناصر عبود وهو يهم بالانصراف: فكري بالامر ملياً يا ابنتي، وسأعود اليك لاقف على ما تتخذين من قرار.

ولم تجب سعاد بحرف.

لم تهمس بكلمة.

فهي على يقين من انها غير قادرة على الابتعاد عن نبيل، ومن أنها لن توافق على السفر الى ما وراء البحار.

وسار صاحب مصرف الاقتصاد الى زوجته، فاذا بها جالسة في غرفتها تحيك الصوف والدمعة عالقة في اهدابها

فهي تخشى ان تصاب سعاد بمكروه من جهة، ومن جهة ثانية تخاف على زوجها من النوبة القلبية المتحفزة ابداً للفتك به.

وجلس صاحب مصرف الاقتصاد قرب زوجته، يروي لها ما دار بينه وبين سعاد من حديث.

وتساءل، وقد انتهى من سرد التفاصيل: ما هو رأيك يا أم سعاد؟ ماذا علينا ان نفعل لنقنع سعاد بالسفر وبالابتعاد عن لبنان؟

فصمتت ام سعاد برهة، لتقول: اسمع يا ناصر ليس ثمة من يستطيع اقناع سعاد بانزول عند رأيك الصائب القويم الا صديقتها نوال سلمان.فالفتاة لا تستمع الا الى رأي فتاة مثلها، دعني اتدبر الامر، اذهب الآن الى عملك في المصرف وسأشخص انا الى نوال واعود بها الى هنا وأطلب اليها اقناع سعاد بالسفر.

وارتاح ناصر عبود لما تبدي زوجته من رأي.

وتمتم: أرى انك على حق، سيري الآن الى دار آل سلمان، ولا تعودي الا ونوال برفقتك.

وسار ناصر عبود الى سيارته الخاصة، حيث كان جهاد قد سبقه اليها.

وانطلقت بهما السيارة الى المصرف في بيروت.

ونهضت ام سعاد لترتدي ثيابها وتشخص الى دار آل سلمان لزيارة صديقتها ام نوال.

ووصلت زوجة ناصر عبود الى دار آل سلمان،

فاذا بنوال ووالدتها تهبان الى استقبالها بالترحيب الشديد.

وبادرتها ام نوال بالعتاب قائلة: لقد انقضى فصل الصيف وأشرف الخريف على الافول دون ان تشرفينا بزيارة يا ام سعاد بالرغم من انني زرتك اكثر من مرة.

والنساء يجدن العتاب.

وكل منهن تدعي انها على حق في عتابها.

غير أن أم سعاد لم تجابه عتاب أم نوال بالعتاب. بل هي بادرت الى الاعتذار.

قالت: أنت تعلمين يا أختي أم نوال أن أبا سعاد أصيب بنوبة قلبية شغلتنا عن القيام بواجباتنا حيال من نحب ونحترم، أما الآن، وقد استعاد عافيته وبدأنا نتأهب للعودة إلى بيروت، فقد رأيت أن أزورك لأودعك قبل رحيلنا عن هذه الربوع.

قالت أم نوال: ونحن أيضاً سنعود الى بيروت الاسبوع القادم، وأرجو أن لا يكون حظنا من زيارتك خلال فصل الشتاء مثله خلال فصل الصيف.

قالت أم سعاد: لا.. لن يكون ذلك، وسنتبادل الزيارات في بيروت خلال فصلي الشتاء والربيع.

قالت أم سعاد هذا والتفتت الى نوال هاتفة: ألا تريدين أن تزوري صديقتك سعاد قبل عودتها الى بيروت يا نوال؟

فأجابت نوال: وهل أستطيع ذلك يا خالتي أم سعاد؟ أنا سأشخص غداً الى داركم العامرة لازور سعاد.

وتمتمت ام سعاد: لماذا تؤجلين الزيارة الى الغد وخير البر عاجله؟ سترافقينني الآن وستفرح سعاد بزيارتك.

وصمتت نوال.

وصمتها كان يعني الموافقة.

وعندما انتهت الزيارة، كانت نوال سلمان تسير مع أم سعاد في طريقهما الى دار صاحب مصرف الاقتصاد.

وفي الطريق روت ام سعاد لصديقة ابنتها بعض تفاصيل المأساة التي حلت بهم.

وطلبت الى نوال أن تحاول اقناع سعاد بالسفر لتبتعد عن نبيل الهادي.

ولاح لأم سعاد أن نوال سلمان واقفة على علاقة ابنتها بابن وكيل المزرعة فتبسطت معها في الحديث.

وتساءلت لماذا لم تطلعيني يا نوال على تلك العلاقة، العاطفية التي تربط بين قلبي نبيل الهادي وابنتي سعاد؟

وردّت نوال: ليس لي أن أفشي أسرار صديقتي سعاد يا أم سعاد، ثم هل يخيل اليك انه كان باستطاعتي وأنا أفشي هذا السر أن أبعد شبح الكارثة عنكم؟

قالت أم سعاد، وهي تسير قرب نوال سلمان: الآن عليك أن تساعدينا على إبعاد هذه الكارثة عنا وعن سعاد يا ابنتي. إن أبا سعاد سيموت حتماً إن تزوجت سعاد إبن وكيل المزرعة. لقد أصيب حتى الآن بنوبتين وقلبه لن يتحمل النوبة الثالثة. ان النوبة الثالثة ستقضي عليه يا نوال وتصل به الى القبر.

وتمتمت نوال سلمان: لو كان لي أخت لما أحببتها أكثر مما أحب سعاد يا خالتي. إلا أنني أخشى أن يكون الحب الذي يغمر قلب سعاد أقوى منا كلنا، وأن أعجز عن اقناعها بالسفر.

قالت أم سعاد: فلنحاول يا ابنتي. اذا استطعت اقناعها ستكونين أنت برفقتنا. سأسافر أنا وأنت وسعاد.

فتمتمت نوال: سأحاول. وأرجو أن أوفق في محاولتي وأن استطيع اقناعها بمغادرة لبنان.

وكانتا قد وصلتا الى الدار.

فوثبت نوال الى سعاد تعانقها، وقد هالها الهزال البادي على سعاد، والاصفرار الغامر وجهها، والدموع المترقرقة في عينيها.

وتركتهما أم سعاد وحدهما في غرفة سعاد.

وعادت الى غرفتها لتكمل حياكة الصوف والقلق يستبد بها والاضطراب يغمر كيانها.

وكانت أم سعاد في حال مؤلمة مؤسفة. ويلها ابنتها، وويلها زوجها.

وانصرفت زوجة ناصر عبود الى الصلاة، وهي تحيك الصوف، متضرعة الى الله، عزّ وجلّ، أن يلهم سعاد نعمة الإقتناع بالسفر

وهي ترجو أن ينسيها السفر الطويل حبها العاصف الهائل الرهيب.

وفي الغرفة المجاورة، في غرفة سعاد، كانت الصديقتان، سعاد ونوال جالستين تتحدثان.

وروت سعاد لصديقتها نوال سلمان، كل ما حدث.

فأخبرتها كيف دهمها ابن عمها جهاد، وهي جالسة قرب نبيل الهادي في الغابة.

وكيف نشبت المعركة بينه وبين نبيل.
وكيف تغلب نبيل على جهاد.
وكيف حمل جهاد النبأ الى والدها
وكيف انهال والدها عليها بالضرب ثم اصيب بالنوبة القلبية.
وكيف جاء الدكتور كرم ليضمد جراحها ويعالج والدها.

وروت لها كل ما قال الدكتور كرم وكيف نصحها بالسفر الى خارج لبنان في محاولة لأبعادها عن نبيل الهادي لعلها تنسى هواه واعداً اياها باقناع والدها بالموافقة على زواجها من نبيل الهادي اذا لم تستطع التخلص من حبه.

وتمتمت نوال سلمان: لو انك استمعت الى نصحي يا سعاد لما وصلت الى هذه المأساة. انك لعلى ضلال يا اختي، ليس لك أن تنحدري الى هذه الوهدة من العذاب والالام والدموع وانت ابنة ناصر بك عبود صاحب مصرف الاقتصاد وسيد هذه المزرعة. لقد رفضت الاستماع الى نصحي في السابق، فهل ترفضين الاستماع الى نصحي الآن؟

فتساءلت سعاد: وبماذا تنصحينني الان يا نوال؟

قالت نوال سلمان: نصيحتي اليك الان أن تسافري، وان تنزلي عند رأي الدكتور كرم، فإذا استطعت النسيان والتخلص من حب نبيل الهادي تكونين قد انقذت والدك، ودفعت الكارثة الرهيبة التي تتأهب للانقضاض على اسرتك، وان لم تستطيعي النسيان يتحتم على الدكتور كرم أن يفي بوعده، وان يقنع والدك بالموافقة على زواجك من نبيل. فلنجرب يا سعاد، وليس

في التجربة أية خسارة.

فمسحت سعاد دموعها لتقول: ليس ثمة أية فائدة من السفر والابتعاد عن لبنان يا أختي. انني لعلى يقين من انني لن أنسى نبيلا ولن أستطيع التخلص من حبه.

فهمست نوال: يجب أن تتخلصي من هذا الحب المؤلم المعذب. إنسي هذا الحب يا سعاد، وعودي الى السعادة التي كنت ترتعين فيها قبل أن يغمر حب نبيل الهادي قلبك الطاهر الحنون. هل نسيت أية سعادة كانت ترفرف عليك وتحيط بك قبل أن تقعي في حب نبيل الهادي؟. هل نسيت جلساتنا مع صديقاتنا في الغابات والوديان والتلال يوم كنت تنشدين لنا الأغاني الشجية بصوتك الحنون؟ هل نسيت أغنية «راجعة وحياة عينو راجعة»... التي كنت تشنفين أذاننا بانغامها الشجية؟... فلنعد الى أفراحنا والى انطلاقنا وسعادتنا. وعودي أنت معنا الى الفرح والهناء والسعادة والغناء.

فتمتمت سعاد عبود: ليتني استطيع العودة يا نوال، ليتني أستطيع...

فمضت نوال سلمان في محاولة الاقناع.

قالت: الكل مصر على بسفرك يا سعاد، والدك ووالدتك والدكتور كرم. وارى أن تنزلي عند اصرارهم يا أختي.

وهمست سعاد: يريدون أن يبعدوني عن نبيل، يريدون أن يفرقوا بيننا. مجانين، هل يخيل إليهم أنهم سيستطيعون، وقد أبعدوني عنه، أن يفرقوا بين روحي وروحه وبين قلبي وقلبه؟..

وعادت الدموع تنهمر على وجنتيها النديتين.

وراحت نوال سلمان تكفكف دموع صديقتها سعاد هامسة: فكري ملياً بالامر يا أختي.. سأتركك وأعود اليك غداً لاقف على ما تتخذين من قرار.

وودعتها وخرجت من الغرفة.

فاذا بأم سعاد تعترض سبيلها هامسة: ماذا يا ابنتي يا نوال؟ هل وفقت في مهمك؟

وسارت نوال نحو الباب فسارت زوجة ناصر عبود قربها تشيعها.

وتمتمت نوال: لم أوفق يا خالتي.. يبدو أن سعاد مصرة على البقاء في لبنان الا انني سأعود الى محاولة اقناعها.

وترقرقت الدموع في عيني أم سعاد.

وهمست: شكراً لك يا ابنتي شكراً لك.

وعادت أم سعاد الى غرفتها تنتظر عودة زوجها من بيروت.

ولم يطل انتظارها..

فقد عاد ناصر عبود وابن أخيه جهاد من بيروت بعد الظهر..

ووثب صاحب مصرف الاقتصاد الى زوجته متسائلاً: ماذا جرى يا أم سعاد. هل جاءت نوال سلمان؟ وهل وفقت في اقناع سعاد؟

فردّت الأم البائسة: جاءت.. الا انها لم توفق يبدو أن ابنتك مصرة على التمسك بعنادها. وستعود نوال غداً لتواصل مهمتها فاطلب لها التوفيق.

قال: أين هي سعاد الآن؟

فاجابت: انها في غرفتها.

وسار ناصر عبود الى غرفة ابنته تاركاً زوجته وابن أخيه في البهو.

ودخل الى الغرفة ليجد شعاد جالسة على مقعد وثير تبكي

فاقترب منها مبتسماً هامساً: كيف حالك اليوم يا سعاد؟

ومسحت سعاد دموعها.

وتكلفت الابتسام لتجيب: بخير يا والدي.

فعاد الى الاقتراب منها ليطبع قبلة أبوية على جبينها متمتماً: تعالي.. سنتناول طعام الغداء معاً.. انني اتضور جوعاً.

وخرج بها من الغرفة الى البهو هاتفاً بزوجته: أيكون الطعام جاهزاً يا أم سعاد؟

قالت: إن أم سعيد بانتظار دخولكم الى قاعة الطعام.. تعالوا وساروا الى قاعة الطعام.

وحاول جهاد التودد الى سعاد، والابتسام لها، والتقرب منها، الا أنها أشاحت بوجهها عنه.

فهو سبب مصيبتها.ولولاه لكانت بألف ألف خير.

وجلسوا الى المائدة

فجاءتهم أم سعيد بالطعام.

وراح ناصر عبود يتحدث الى زوجته، ويمازح ابنته محاولا التخفيف عنها. واعادة البسمة الزاهية الى شفتيها النديتين.

وكانت سعاد تحاول الظهور أمام والدها بمظهر الارتياح والاطمئنان.

الا أن الحزن العميق كان يطلّ من عينيها.

وانتهوا من تناول الطعام.

وخرجوا الى الشرفة المطلة على الجبال والوديان الرائعة الجمال ليتناولوا القهوة.

وقبل أن تحمل اليهم أم سعيد القهوة، أطل الدكتور كرم.

فوثب صاحب مصرف الإقتصاد يرحب به الترحيب الشديد.

وابتسمت سعاد، والدكتور كرم يقترب منها مصافحاً هامساً: كيف حال «حلوتنا» الغالية اليوم؟

ورحبت أم سعاد بالطبيب.

أما جهاد فقد امتعض واكفهر.

وهمس في سره: إذا استمر هذا الطبيب اللعين في محاولة احباط خطتي فسأخمد انفاسه.

وجلس الدكتور كرم قرب صديقه الحميم ناصر عبود.

وجاءتهم أم سعيد بالقهوة فراحوا يرشفونها ويتحدثون.

وحاول ناصر عبود اشعال لفافة إلا أن يد الدكتور امتدت الى اللفافة تنتزعها من بين أصابعه.

وتمتم الطبيب: يا ناصر بك هذه اللفافة ستقضي عليك. إذا أردت أن تحيا، وأن تتقي النوبة القلبية الثالثة فما عليك إلا أن تنقطع عن التدخين.

وابتسم ناصر عبود قائلاً: سبق لك أن سمحت لي بتدخين عشر لفافات كل يوم.

قال الطبيب: كان ذلك قبل أن تدهمك النوبة القلبية الثانية، أما الآن فلا اسمح بسوى ثلاث لفافات كل يوم ومن المؤكد انك دخنت أكثر من ثلاث لفافات اليوم.

واتسعت الابتسامة على شفتي صاحب مصرف الاقتصاد ليقول: ما دمت لا تسمح لي الآن بالتدخين فلنشخص الى الحديقة لنعرض غرسات التفاح التي غرسناها حديثاً.

ونهض ناصر عبود.

ونهض الدكتور كرم، وقد انتهيا من رشف القهوة.

وحاول جهاد النهوض لمرافقتهما الى الحديقة.

فهو يريد أن يعلم بماذا سيتحدثان.

إلا أن عمه دعاه للجلوس.

قال: لا يا جهاد، أنت لن ترافقنا الى الحديقة، ستظل هنا قرب سعاد وأمها.

وعاد جهاد الى الجلوس والحنق يستبد به.

وسار صاحب مصرف الاقتصاد وصديقه الطبيب الى الحديقة.

وهمس ناصر عبود، وقد وصلا الى الحديقة: لقد اتخذت من غرسات التفاح الحديثة، ذريعة لأخلو بك يا صديقي العزيز، أريد أن أتحدث اليك في أمر سعاد.

فتمتم الدكتور كرم متسائلا: وماذا هناك من جديد يا أخي ناصر؟..

قال ناصر عبود: سعاد ترفض السفر وتصر على البقاء في لبنان، وأريد منك أن تساعدني على اقناعها بالابتعاد عن هذه الربوع لأشهر قليلة، ويخيل الى أن ابتعادها عن لبنان سينسيها هوى ابن وكيل المزرعة.

فتمتم الدكتور كرم، وهو يسير قرب صديقه صاحب مصرف الاقتصاد بين شجرات التفاح والكرز والاجاص، التي كانت قد بدأت تتعرى من أوراقها الصفراء: يا أخي ناصر!.. لقد سبق لي وقلت لك: أنا على استعداد لأقناع سعاد بالسفر.. ولكن بشرط..

فتساءل ابو سعاد: ما هو هذا الشرط؟

قال الطبيب: الشرط هذا، كما قلت لك سابقاً إذا لم تستطع سعاد أن تنسى نبيلا بعد غياب عنه ثلاثة أو أربعة أشهر، واذا عادت الى لبنان وهوى نبيل الهادي ما زال يعصف بفؤادها فما عليك إلا أن توافق على زواجها.

فانتفض ناصر عبود وهتف متسائلاً: أتريدني أن أوافق على زواج سعاد من ابن وكيل المزرعة.

قال الطبيب: يا صديقي العزيز.. خير لك أن تشاهد ابنتك سعاد زوجة لابن وكيل المزرعة من أن تشاهدها جثة هامدة يسيرون بها الى القبر، أو فتاة مجنونة تقيم في مستشفى الأمراض العقلية، إن الأمر خطير يا ناصر، وحال سعاد تدعو الى القلق الشديد.

قال ناصر عبود: هل يخيل اليك أن سعاد ستنسى هذا الحب الاثيم إذا ابتعدت عن نبيل؟.

فأجاب الطبيب: أرجو ذلك.ولكنني لا أستطيع أن أجزم.

قال أبو سعاد: ليكن ما تريد.

فعاد الدكتور كرم الى التساؤل: أتعدني بالموافقة على زواج سعاد من نبيل الهادي اذا لم تستطع النسيان خلال ابتعادها عن لبنان؟

قال ناصر عبود بعد تردد: أجل.. أعدك.

فتمتم الطبيب: اذن اطمئن، سعاد ستسافر الى خارج لبنان.

قال الدكتور كرم هذا،ثم أمسك بيد صديقه ناصر عبود ليقول: فلنعد اذن الى الدر.

وعادا..

وكان جهاد وأم سعاد لا يزالان في جلستهما على الشرفة.

ولم تكن سعاد بينهما.فتساءل الدكتور كرم : اين هي سعاد؟

وردت زوجة ناصر عبود: لقد دخلت الى غرفتها لتأخذ لنفسها قسطاً من الراحة.

قال الطبيب: سأدخل عليها لاجري لها فحصاً دقيقاً وأطمئن الى صحتها.

ونهضت أم سعاد قائلة: تفضل يا دكتور.

قالت زوجة ناصر عبود هذا، وسارت أمام الطبيب الى غرفة ابنتها.

ودخلت أم سعاد فإذا بسعاد مستلقية على سريرها تفكر بألم وحزن وانهيار..

ودعت أم سعاد الطبيب الى الدخول: تفضل يا دكتور تفضل..

ودخل الدكتور كرم.

والتفت إلى زوجة صديقه ناصر عبود قائلاً: أرجو أن تتفضلي بالخروج وأن تقفلي الباب وراءك يا أم سعاد.

وامتثلت أم سعاد.

فخرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها.

وجلست سعاد في سريرها.

وجلس الدكتور كرم على مقعد وثير قربها ليقول: يا سعاد، يا ابنتي. انت فتاة ذكية واعية مثقفة، وانني لأخاطبك الآن كما أخاطب ابنتي، وأرجو أن تستمعي إلي وأن تعملي بنصيحتي. وثقي يا سعاد أن الطريق الذي سأرسمه لك هو طريق النجاة الوحيد الذي يتحتم عليك السير فيه.

فصمتت سعاد، دون أن تنبس بحرف، وهي لا تجهل أن الدكتور كرم يحبها كأبنته، وأنه يريد إنقاذها من المحنة القاسية الرهيبة التي تتعرض لها.

وفي هذه الأثناء كان جهاد عبود يجلس على الشرفة مع عمه وزوجته، والحنق والقلق يستبدان به.

فقد أدرك جهاد أن الدكتور كرم يتحدث مع سعاد في أمر حبها وهواها، وأن ادعاءه الاطمئنان الى صحتها ادعاء كاذب.

وتساءل جهاد في سره: بماذا عساه يتحدث هذا الطبيب الى سعاد؟

ولم يستطع جهاد أن يجيب نفسه على هذا السؤال.

فرأى أن يعود الى التلصص والى استراق ما يدور بين الطبيب وسعاد من حديث..

ونهض.

فسأله عمه: الى أين يا جهاد؟

قال: سأدخل الى غرفتي لأستريح قليلا.

ودخل جهاد عبود الى الدار.

إلا أنه لم يشخص الى غرفته.

بل هو اتجه الى امام باب غرفة سعاد.ووقف أمام الباب، حابساً أنفاسه، مستمعاً الى ما يدور من حديث داخل غرفة ابنة عمه.

وسمع..

ماذا سمع جهاد عبود؟

لقد سمع الدكتور كرم يقول: يجب أن تسافري يا سعاد الى اوروبا. يجب أن تبتعدي عن نبيل الهادي لفترة من الزمن قد تمتد الى ثلاثة أو الى أربعة أشهر.لعلك تستطيعين النسيان يا ابنتي وبذلك تنقذين نفسك وتنقذين والدك وتنقذين نبيلا أيضاً.

ومضت سعاد في صمتها البارد الكئيب الحزين.

فعاد الدكتور كرم الى الكلام ليقول: كنت قد تحدثت إليك في هذا الامر سابقاً.وقلت لك إن والدك سيوافق على زواجك من

نبيل الهادي إذا لم تستطيعي النسيان.يومذاك قلت لك ذلك دون أن أستشير والدك بالامر.أما الآن وقد استشرته فإنني لأوكد لك موافقته على زواجك من نبيل،اذا عدت بعد فترة من الزمن وأنت مقيمة على حب هذا الشاب.

ولمع وميض من الامل خاطف براق في عيني سعاد.

وتساءلت بلهفة ملحاح: هل وافق والدي على زواجي من نبيل؟

فأجاب: إذا لم تستطيعي التخلص من هذا الحب المدمر الهدام.

قالت سعاد بتساؤل وحيرة: هل يخيل اليك يا دكتور انني سأقوى على النسيان؟

فتمتم الطبيب: يا ابنتي يا سعاد، عواطف البشر متقلبة كالرياح، كأمواج البحر، كالغمام التي تسبح في الفضاء،تهب ثم تهدأ، تثور ثم تسجو، تتلبد ثم تنقشع، قد نحب اليوم من كنا نكره بالامس، وقد نكره الآن من كنا نحب منذ أمد قريب.. والنسيان نعمة وهبها الله للبشر، كلنا ننسى، ننسى احبابنا الذين يموتون، ننسى جرائمنا وهفواتنا، ننسى ماضينا، ننسى أيامنا الخوالي، ننسى كل شيء، حتى ننسى انه سيبزغ يوم نفارق فيه هذه الحياة.. ولولا نعمة النسيان هذه التي وهبها الله سبحانه وتعالى للانسان لمات هذا الانسان ألوف المرات قبل أن يموت. اتكلي على الله يا ابنتي وجربي أن تنسي نبيلا الهادي وحب نبيل.اذا استطعت ذلك تكونين قد قمت بمعجزة رائعة، وإذا لم تستطيعي الى النسيان سبيلا فستتزوجين من هذا الشاب الذي لم تستطيعي

أن تتخلصي من حبه العظيم.

فثار جهاد عبود.

وعصف الغضب الشديد به، وهو يسمع كلام الدكتور كرم...

اذن.. اذن ماذا؟..

اذن عمه وافق على زواج سعاد من نبيل بعد عودتها من السفر، اذا لم تنسَ نبيلا.

وسعاد لن تنسى.ولن يستطيع البعاد أن ينتزع من قلبها ذلك الحب الأثيم..

ومعنى ذلك أنه سيخسر سعاد.ومع خسارة سعاد سيخسر الثروة الطائلة، الرابضة في مصرف الاقتصاد اللبناني.

وعاد جهاد عبود ليرهف أذنيه فيسمع الدكتور كرم يتابع حديثه قائلا: أرى أن العرض مغر يا سعاد وأن من مصلحتك أن توافقي على هذا العرض.. لن يكون ثمة إكراه.. أنت ستقررين مصيرك بعد عودتك من السفر، فلك أن ترفضي الزواج من نبيل أو أن تصري على هذا الزواج.

واستمرت سعاد عبود في صمتها.

وانصرفت الى التفكير العميق تنغمس فيه: هل تقوى على الابتعاد عن نبيل؟

لقد منعت نبيلا من السفر.وحجزت جواز سفره لئلا يبتعد عنها.

فهل تحول بينه وبين السفر، لتسافر هي مبتعدة عنه؟..

ورأت بعد تفكير قصير أن تبتعد عن نبيل ثلاثة أو أربعة أشهر،لتعيش العمر قربه...

لا بأس إذن ستسافر..

وهي على يقين من أنها ستعود بعد شهور قليلة لتتزوج من نبيل.

وعاد الطبيب الى التساؤل: ماذا يا سعاد؟.. ما هو القرار الذي توصلت اليه؟ هل تسافرين؟.

فهمست،والدمعة عالقة في مقلتيها: كما تريد يا دكتور.

قال: ستسافرين اذن.ولكن لي شرط لديك.

فتساءلت: ما هو هذا الشرط؟..

قال: هو أن لا تحاولي الاتصال بنبيل الهادي خلال مدة سفرك. لا تكتبي اليه، ولا تحاولي استقصاء اخباره من أصدقائك وصديقاتك.

وعادت بعد التفكير،لتعلن بعد تفكير قصير: سأفعل كل ما تريد يا دكتور كرم .

قال: اذن ستسافرين بعد أيام قليلة، بعد انجاز معاملة السفر، ولن تسافري وحدك.. ستكون والدتك وإحدى صديقاتك التي تختارينها أنت برفقتك.

فعادت إلى الهمس، وقد بدأت الدموع العالقة في مقلتيها تتأهب للانحدار على وجنتيها: كما تريد يا دكتور.. كما تريد.

ونهض الدكتور كرم ليطبع قبلة أبوية على جبينها هامساً:

فليوفّقك الله يا ابنتي، وليأخذ بيدك وليساعدك على النسيان.

وأسرع جهاد عبود بالابتعاد عن باب سعاد ليدخل الى غرفته على عاصفة من الغضب والحنق والحقد والجنون.

وخرج الدكتور كرم من الغرفة، ليتجه الى الشرفة، حيث كان صديقه ناصر عبود وزوجته على انتظاره بصبر نافذ ملول.

وبادره أبو سعاد بقوله: ماذا يا دكتور.

ورد الطبيب: ستسافر.. ما عليك سوى البدء بمعاملات السفر.

واغرورقت عينا أم سعاد بدموع الفرح، وهمست الحمد لله.

وتمتم ناصر عبود، وهو يكاد أن لا يصدق: شكراً لك يا صديقي.. شكراً لك على كل ما أبديت نحونا من عاطفة صادقة ومحبة واخلاص.

وودع الدكتور كرم صديقه ناصرعبود وزوجته.

وخرج مطمئناً الى نجاح مهمته.

وقد خيل اليه انه انقذ صديقه وانقذ ابنة صديقه، ودفع عن تلك الدار الكارثة الرهيبة التي كانت تتأهب للأنقضاض عليها.

وساد بعض الهدوء دار ناصر عبود.. بعد تلك العاصفة الهوجاء التي هبت عليها.

فاطمأن والد سعاد بعض الاطمئنان.

واطمأنت زوجته.

وغمر الأمل الباسم فؤاد سعاد، وقد أيقنت أن بعادها عن

نبيل لن يطول وأن زواجها منه بعد عودتها من السفر بات مضموناً.

أما جهاد عبود فقد انزوى في غرفته والغضب الشديد يلتهم صدره..

وراح يفكر في رسم خطة جديدة تكفل له الاستيلاء على كل ما يملك عمه من مال وذهب وعقار.

وفي صباح اليوم التالي، أقبلت نوال سلمان الى دار ناصر عبود فاستقبلتها أم سعاد بالترحيب الشديد.

وتمتمت نوال: لقد عدت كما وعدتك أمس يا خالتي لأحاول مجدداً اقناع سعاد بالسفر.

فطغت ابتسامة هادئة على شفتي زوجة ناصر عبود

وهمست: لقد قام الدكتور كرم عنك بالمهمة يا ابنتي يا نوال واستطاع ان يقنع سعاد بالموافقة على السفر، نحن سنسافر بعد أيام قليلة وستكونين أنت برفقتنا.

فتساءلت نوال سلمان بفرح: صحيح؟

وردت أم سعاد: صحيح يا ابنتي، وما عليك الآن إلا أن تستعدي للسفر، أنا سأشخص الى داركم وأطلب الى والديك أن يسمحا لك بالسفر معنا. ولا أخالهما يبخلان علي بهذه الامنية. إن سعاد تحبك حباً عظيماً. وأنت ستكونين لها خير رفيقة. وستكونين لي خير مساعدة لابعاد طيف نبيل الهادي عن خيال سعاد.

فتساءلت نوال: أين هي سعاد الآن يا خالتي؟

قالت: انها في غرفتها.. ادخلي عليها ستفرح بك.

وأسرعت نوال الى غرفة سعاد، متسائلة: هل صحيح ما أخبرتني والدتك يا سعاد؟ هل وافقت على السفر؟

وهمست سعاد: أجل يا نوال.

وتمتمت نوال: يا «عفريتة» لقد حاولت أمس إقناعك فأخفقت. كيف اقتنعت أخيراً بضرورة السفر؟

قالت سعاد: اجلسي يا نوال لأخبرك كل شيء.

وجلست نوال.. وأخبرتها سعاد كل شيء...

أخبرتها كل ما دار بينها وبين الدكتور كرم من حديث.

وقالت: لقد وعد والدي الدكتور كرم بالموافقة على زواجي من نبيل بعد عودتي من السفر، إذا لم يستطع البعاد أن ينتزع حبه من قلبي.

فتساءلت نوال: وماذا ستفعلين اذا أخلف والدك وعده يا سعاد بعد عودتك من السفر؟

قالت سعاد: أنا أعرف والدي يا نوال، فهو إن وعد وفى، وانني لعلى يقين من أمرين.. الاول: هو أنني لن أنسى نبيلا ولن أستطيع أن أتخلص من حبه، والثاني: هو أن والدي سيبر بوعده.

قالت نوال: يبدو أن الله يريد لك ولنبيل السعادة في حبكما يا أختي فليفوفقكما الله.

فأمسكت سعاد بيد صديقتها نوال قائلة: سأسافر معْ أمي وستكونين أنت رفيقتنا يا نوال، وسيخفف قربك عني وطأة البعاد عن نبيل.

قالت نوال: ثقي يا سعاد انني سأكون لك الاخت المخلصة الوفية.

فتمتمت سعاد ويدها تشد يد صديقتها: نوال!.. لي عندك طلب يا أختي.

- ما هو هذا الطلب.يا سعاد؟

- أريد أن أشاهد نبيلا قبل سفري، أريد أن أودعه. وأنت وحدك تستطيعين أن تحققي لي هذه الامنية.

فابتسمت نوال سلمان.

وهمست: اطمئني.سيكون لك ما تريدين وستشاهدين نبيلا وتودعينه.

فتساءلت سعاد: متى؟.. وأين؟.. وكيف؟

قالت نوال: اسمعي يا سعاد، غداً مع مطلع الصباح ستشخص والدتي مع والدي الى بيروت لتشرف على تنظيف البيت،لأننا سنعود الى بيروت خلال الايام القليلة القادمة وسأظل وحدي هنا في القرية،سأرسل نصوراً ابن أم نصور في طلب نبيل وسيحضر الى دارنا ليجدك في انتظاره.

ووثبت سعاد الى صديقتها نوال سلمان تعانقها هامسة: فليحفظك الله لي صديقة وفية وليكافئك عني يا أختي يا نوال.

قالت نوال: سأكون بانتظارك صباح غد. وسيحضر نبيل وتجتمعين اليه على هنأة واطمئنان.

وعادت نوال سلمان الى دارها.

وارسلت الخادمة في طلب نصور ابن أم نصور.

ونصور، حرسه الله لأمه، على استعداد دائم لتلبية دعوة أية فتاة، وللقيام بأية خدمة تطلبها فتاة منه.

فما أن طلبت اليه الخادمة موافاة سيدتها نوال، حتى أسرع إلى تلبية الطلب.

ووقف نصور أمام نوال مبتسماً قائلا: ماذا تريد «الحلوة» من نصور ابن أم نصور؟.

قالت نوال: أريد أولا أن أقدم لك بعض الحلوى. تفضل، تفضل، يا نصور اجلس.

وجلس نصور فجاءته بطبق من الحلوى راح يلتهمه بشهية فائقة.

وما أن أتى نصور على كل ما في الطبق من حلوى حتى نفحته نوال بعلبة من التبغ الفاخر.

فتمتم نصور بفرح: «علبة دخان كمان؟.. مأكد بتحبيني»..

فابتسمت نوال لتقول: لأنني أحبك أريد منك أن تشخص إلى نبيل الهادي وتقول له: «إن نوال سلمان بحاجة إليك، ويجب أن تكون في الساعة التاسعة من صباح غد عندها في دارها».

فهمس نصور: أتريدين أن تتعلمي الصيد على يده؟

قالت: أجل.

قال: لماذا؟.. هل تريدين أن ترافقيني إلى الجرد لنصطاد الطيور معاً؟

قالت: أجل. . أجل يا نصور.

فتساءل باعتداد: «بدك تخطبيني».

ـ أجل، وهل أستطيع أن أقف على عريس أفضل منك يا نصور؟
وهدر نصور: «يا عيني عليك شو بتفهمي». .
قال نصور هذا. . وهرول مسرعاً ليبحث عن نبيل الهادي.

ولم يلقَ نصور ابن أم نصور عناء في العثور على نبيل الهادي، فقد وجده في المعصرة في الكروم.

فاقترب منه والإبتسامة الساذجة البلهاء تطفو على شفتيه ليقول: مرحباً يا نبيل ابن أبي نبيل.

ورد نبيل الهادي تحية نصور: مرحباً يا نصور.

قال نصور: لي معك حديث يا نبيل.

فتمتم نبيل: انا مشغول الآن يا نصور كما ترى.. دع ذلك الى الغد.

– لا... الامر خطير، ويجب أن اتحدث اليك الآن.

– ماذا تريد يا نصور؟.. قل.

– فلنبتعد عن العمال..

– يا نصور.. دعني الآن..

– يا اخي نبيل.. انا رسول نوال سلمان اليك.وأريد أن...

وقطع نبيل الهادي على نصور الكلام.وقال بلهفة: تعال... فلنبتعد.

فقد أدرك نبيل أن الامر يتعلق بسعاد.. وأن نوال سلمان تريد ان تطلعه على امر يتعلق بسعاد.

وابتعدا عن العمال.

وتساءل نبيل الهادي: قل.. ما بها نوال؟

ففتل نصور شاربيه،ليقول بفخر واعتزاز: «اخيك نصور ابن ام نصور ما عاد يقدر يرد هالبنات عنه.. هيدي نوال بتحبني وبدها تخطبني وهي تريد منك ان تعلّمها الصيد كي ترافقني الى الجرد.. بس»...

وقطع نبيل عليه الحديث ليقول: «بس» ماذا؟.. قل اسرع.

- «بس شوف يا نبيل ما تعملها معي هالمرة، كلّفناك المرة السابقة بأن تعلم خطيبتي نوال الصيد بلشت تغازلها.. ما بدي غزل ما بدي كلمات حب وغرام.. بتعلمها الصيد وبس».

وضاق نبيل الهادي ذرعاً بنصور، وهتف به: ماذا قالت لك نوال؟..».

قال نصور: نوال تقول لك يجب أن تكون عندها في دارها غداً عند الساعة التاسعة من الصباح... مفهوم؟

- مفهوم.. قل لها انني سأكون عندها في الموعد المضروب.

وعاد نصور أدراجه..

وأقام نبيل الهادي على قلق وحيرة واضطراب.

فكأن قلبه ينذره بوقوع كارثة جديدة.

من المؤكد أن ثمة أمراً خطيراً.وإلاّ لما دعته نوال سلمان،صديقة

سعاد الحميمة، إليها.

وراح نبيل الهادي يرقب حلول الموعد المضروب بفارغ الصبر..

وما أن حلت الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي حتى كان نبيل الهادي يشخص الى دار نوال سلمان..

واذا به امام حبيبته سعاد عبود.

وكان لقاء الحبيبين المعذبين مؤلماً رهيباً.

كانت الدموع تغمر العيون الاربع، عيني سعاد، وعيني نبيل، ولم يستطيعا أن ينبسا بحرف..

لا سعاد استطاعت أن تتكلم، ولا نبيل.

وساد الصمت ارجاء القاعة برهة.

الا أن نوال سلمان قطعت حبل الصمت الواهي لتقول: ما بالكما تعتصمان بالصمت البارد الحزين، وقد سنحت لكما الفرصة باللقاء.. اجلسا.. ولنتحدث.

وجلست سعاد على مقعد رجراج وثير.

وجلس نبيل الهادي قربها.

وجلست نوال قرب نبيل.

وحاولت سعاد عبود الكلام.

حاولت ان تطلع نبيلا على نبأ عزمها على السفر الى ما وراء البحار، الا أن الكلمات تكسرت على شفتيها.

وحاول نبيل الهادي الكلام.

حاول أن يسأل سعاد عمَّا حدث بعد أن دهمها ابن عمها جهاد في الغابة الخضراء، الا أنه عجزعن النطق بكلمة واحدة.

وعاد الصمت العميق يخيم على القاعة.

وعادت نوال سلمان لتمزق سجف الصمت.

قالت مخاطبة نبيلا:

لقد دعوتك الي يا نبيل لتجتمع الى سعاد قبل سفرها.

سفرها؟..

سعاد ستسافر؟

ووجم نبيل الهادي.

وذعر...

وأطل الخوف من نظراته كألسنة اللهيب.

واستطاع بعد جهد أن يهمس متسائلا: سعاد ستسافر؟ الى أين ستسافر سعاد؟.

وتولت نوال سلمان الاجابة.

قالت: سعاد ستسافر الى أوروبا لمدة قصيرة من الزمن.

فالتفت نبيل الهادي الى حبيبته سعاد يسألها، وكأنه لا يصدق ما تقول نوال: هل صحيح يا سعاد ما تقول نوال؟

فهمست سعاد، والغصة تخنقها: أجل يا نبيل سأسافر الى اوروبا. الا أن سفري لن يطول الى اكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر الى أبعد تقدير.

فعاد نبيل الهادي الى التساؤل: لماذا تسافرين يا سعاد؟

ولم تستطع سعاد عبود الاجابة، وقد خنقتها العبرات.

وبدأت الدموع تتدحرج على وجنتيها النديتين، فتولت نوال سلمان البيان.

قالت: اسمع يا نبيل.. ان الامر خطير، والازمة التي تتخبط سعاد في دياجيرها شديدة الظلام.. لقد تحولت دار ناصر عبود والد سعاد الى أتون من النار بعد أن دهمكما ابن عم سعاد جهاد عبود في الغابة الخضراء، وقد أطلع جهاد والد سعاد على الامر.

فهمس نبيل: الآن علمت لماذا أقال ناصر بك والدي من ادارة مزرعته.

وتابعت نوال الكلام.

قالت: منذ ذلك اليوم، منذ ان وقف والد سعاد على سر علاقتكما العاطفية تحولت داره الى جحيم من التعاسة والشقاء.. فأصيب والد سعاد بنوبة قلبية كادت تقضي على حياته، وأصيبت سعاد بانهيار عصبي كاد يصل بها الى القبر، لا سيما بعد أن حاول والدها ارغامها على الزواج من ابن أخيه جهاد.. وجاء الدكتور كرم ليعالج الوالد والابنة فأشار على الوالد بالتزام الراحة والهدوء، وأشار على سعاد بالسفر الى خارج لبنان كي تستطيع استعادة نشاطها.

فهمس نبيل الهادي، والدموع تموج في عينيه: يبدو انني كنت أنا وراء هذه الكارثة التي انقضت على دار ناصر عبود.

وهمست سعاد وهي تمسح دموعها: لا يا جهاد لست أنت من حمل الكارثة الينا ولا أنا.. الاقدار هي التي ارادت لنا الشقاء

والعذاب، الا آن شقاءنا لن يطول، وعذابنا لن يكون بعيد المدى.. أشهر قليلة وأعود اليك يا حبيبي.

قال: أرى انه من الافضل لي ولك ولوالدك يا سعاد، ان أسافر أنا لا أنت.. ان سفري يحل المعضلة ويعيد الى داركم السعادة والسلام، والهناء.. اعيدي الي جواز السفر، ودعيني اغادر هذه البلاد.

فأمسكت سعاد عبود بيد حبيبها نبيل قائلة: لا يا نبيل سفرك أنت لن يحل المعضلة بل هو يزيدها تعقيداً.. اذا سافرت أنت فحياتي ستتحول الى عذاب وألم وشقاء.. وأنت لن تعود الى لبنان الا بعد سنوات بعيدة وربما لن تعود أبداً.

قال: لا يا سعاد اني اؤكد لك أن سفري لن يطول اكثر من سنة أو سنتين، وقد أعود ثرياً غنياً فأصبح أهلا للزواج من ابنة ناصر بك عبود.

فتمتمت سعاد: جميع الذين سافروا منذ عشرات السنين قالوا ما تقوله أنت الآن يا نبيل: «سنعود بعد سنة أو سنتين» ولكن لم يعد احد منهم الا بعد عشرات السنين، ومعظمهم لم يعد حتى الآن.. أنت،إن سافرت فلن تعود.اما أنا فلن استطيع الابتعاد عنك وعن والدي اكثر من شهور قليلة.. سأعود.. وحياة عينيك سأعود بعد شهر أو شهرين يا نبيل.. وسأجدك في انتظاري ونستعيد معاً أيامنا الحلوة بعد عودتي من السفر.لن يكون ثمة فراق بيننا، سنعيش معاً عيش الازواج السعداء.

فدهش نبيل الهادي لما تقول سعاد.

وقال: لم أفهم ماذا تعنين، ولا كيف نستطيع ان نعيش معاً عيش الازواج السعداء، ان والدك طرد والدي من مزرعته، وأصيب بنوبة قلبية عندما علم انني اجتمع بك في غابة السنديان.. فهل يمكن أن يوافق على زواجنا؟ وابن عمك جهاد ثار وغضب وانهال عليك بالضرب ونشبت بيني وبينه معركة دامية يوم شاهدنا نجلس تحت السنديانة الخضراء، فهل يمكن أن يسكت وينام على الضيم، وهو يعلم أننا سنعيش زوجين سعيدين.. ان جهاداً لم يستطع أن يشاهدنا جالسين في الهواء الطلق تحت السنديانة فهل تراه يستطيع أن يشاهدنا عروسين سعيدين؟.

قالت سعاد: ان رأي جهاد لا قيمة له عندي يا نبيل؟ وهو لا ولن يستطيع أن يقرر مضيري، أما والدي فأنا اضمن موافقته على زواجنا بعد عودتي من السفر.

فتمتم نبيل.. مستحيل.. مستحيل يا سعاد.. والدك لن يوافق على زواج ابنته الغنية الواسعة الثراء من الشاب القروي الفقير نبيل الهادي.

قالت: أنا على يقين من موافقة والدي يا نبيل:.. ومن اجل الحصول على هذه الموافقة سأسافر.

فعاد نبيل الى القول: لم أفهم لماذا وكيف سيوافق، والدك ومن تراه يرغمه على الموافقة يا حبيبتي؟

فشدت يدها يده لتقول: لقد وعد والدي بالموافقة على زواجنا بعد عودتي من السفر.. وعندما يعد والدي يفي بما يعد.. سأخبرك كل شيء كل شيء يا نبيل، ولن أخفي عنك شيئاً.

وروت سعاد عبود لحبيبها نبيل الهادي كل شيء ، وأطلعته على ما قام به الدكتور كـرم من مساع وجهود لأقناع والدها.

وختمت حديثها بقولها : ولذلك فقد أشار علي الدكتور كـرم بالسفر. وأرى يا نبيل ان سفري سيكون الطريق الوحيد الى سعادتنا يا حبيبي.

فتمتم نبيل: أخشى أن تكون ثمة مؤامرة علينا يا سعاد.

قالت: لا . اطمئن.ليس ثمة اي مؤامرة، انني لواثقة من صدق واخلاص الدكتور كـرم وهو لدي في مقام والدي.

وتدخلت نوال سلمان لتقول: من الخير لكما يا نبيل أن تسافر سعاد.. فراقكما ثلاثة اشهر يوفر لكما السعادة الوارفة الظلال مدى الحياة.

فهمس نبيل الهادي ، والألم يعصر قلبه: ليكن ما تريدان ولكن متى؟ والى أين ستسافر سعاد؟

فأجابت سعاد عبود. وألمها ليس بأقل من ألم نبيل: سأسافر بعد أيام قليلة.. خلال هذا الاسبوع سنرحل عن هذه الربوع عائدين الى بيروت، ويخيل الي أن والدي بدأ بأنجاز معاملات السفر.. أنا لن أسافر وحدي يا نبيل ، ستكون أمي ونوال برفقتي وسننتقل من بلد الى بلد ومن عاصمة الى عاصمة، ومن مدينة الى مدينة.

قال ، وهو يحاول اخفاء دمعة بدأت تتأهب للانطلاق من عينيه :

هل ستكتبين الي يا سعاد؟ وهل سأستطيع الاطمئنان الى سلامتك وأنت بعيدة عني؟

قالت: لا .. لقد اشترطوا على أن أقطع كل صلة لي بك طيلة مدة سفري.. وسأقوم بتنفيذ ما وعدت.. لا بأس يا حبيبي فلنتحمل وطأة الفراق هذه المدة القصيرة كي نستطيع أن ننعم بالسعادة طيلة حياتنا.

وصمت نبيل..

وصمتت سعاد،

وساد الصمت أرجاء القاعة.

وبدأت الدموع تموج في عيني سعاد ونبيل.

فرأت نوال سلمان أن تحول دون انهمار الدموع من عيون الحبيبين.

قالت مخاطبة صديقتها: يجب أن تعودي الآن يا سعاد الى الدار وسأرافقك.

ووقفت نوال.

فوقف نبيل.

ووقفت سعاد.

ومدَّ نبيل يداً مرتجفة ليصافح سعاد مودعاً.

فاذا بيده تصافح يد سعاد الواهية.

وتشابكت اليدان لتنهمر الدموع الغزيرة من العيون.

وارتمت سعاد على صدر نبيل وأجهشت بالبكاء.

وضمها نبيل...

وطوقها بذراعيه وكأنه يريد أن يحتفظ بها ويحول دون ابتعادها عنه، والدموع تتدحرج على خديه.

قيل إن الإنسان لا يعرف قدر الحب ووزنه وقيمته، إلا ساعة فراق الحبيب.

وسعاد ونبيل أدركا أي حب عاصف عظيم شديد يغمر قلبيهما، وقد وقفا وقفة الوداع الاليم.

وطال عناقهما.

فرأت نوال سلمان أن تضع حداً لتلك الوقفة المؤلمة المعذبة.

فهمست: يكفي يا سعاد.. مع السلامة يا نبيل فلنشاهد وجهك قريباً، وأنت بألف خير.

وانسلخ الحبيبان عن بعضهما.

وسار نبيل الهادي دون أن ينبس بحرف.

وعندما وصل الى الباب التفت الى حبيبته سعاد.

وشاهدت سعاد الدموع تتدحرج على خديه فهمست: يا حبيبي!..

وارتمت على المقعد الوثير.. وأجهشت بالبكاء.

وخرج نبيل الهادي وهو يمسح دموعه..

وراحت نوال سلمان تكفكف دموع صديقتها سعاد عبود وتواسيها هامسة في أذنيها كلمات التشجيع والمواساة.

الفصل الخامس

بدأ الخريف يلملم اطرافه متأهباً للرحيل، مفسحاً لفصل الشتاء الطريق لغزو الطبيعة الصامتة الخرساء

وانتشرت الغمام الدكناء في الفضاء لتغمر الارض برذاذ من المطر.

والبرد القارس بدأ يغمر الجبال العالية الشماء.

وتعرت الأشجار من ثوبها الاخضر، وقد تناثرت أوراقها التي صُبغ لونها الاخضر الريان بالاصفرار.

وبدت الأغصان العارية منتصبة كانها أيدٍ ترتفع مبتهلة الى السماء.

وعاد المزارعون والفلاحون، في اعالي جبال الشمال من الكروم وقد انتهى موسم القطاف.

وأقاموا في منازلهم القروية يرقبون إطلالة الشتاء بأمطاره وعواصفه وثلوجه وسيوله ورياحه.

واقفرت قرى الشمال العالية من المصطافين وقد عادوا الى المدن الساحلية هرباً من البرد القارس، ومن الثلوج المتأهبة للبزوغ.

وعاد ناصر عبود بأسرته من مزرعته في أعالي جبال الشمال الى داره في بيروت، ليبدأ بانجاز معاملات سفر زوجته وابنته سعاد وصديقتها نوال سلمان الى اوروبا..

ولم يستغرق انجاز المعاملة وقتاً طويلا..

فلدى صاحب مصرف الاقتصاد اصدقاء كثيرون في الدوائر الرسمية وفي شركات السفر.

والأفضلية في دوائر الدولة في لبنان للأصدقاء وللأنسباء ولأصحاب المصارف الاثرياء.

وأصبحت جوازات السفر الثلاثة جاهزة بعد أيام قليلة.

فوثب ناصر عبود الى زوجته والى سعاد والى نوال يسألهن: الى أين ستَشْخَصْنَ وأين ستكون المحطة الاولى في رحلتكن؟.

فهمست سعاد: سنسافر الى حيث تريد يا والدي الحبيب.

قال ناصر عبود: أرى أن تكون العاصمة الأولى التي تنزلن فيها باريس فتقيمان هناك في العاصمة الفرنسية، أسبوعاً أو أسبوعين تشاهدان خلالها عظمة الآثار التي خلفها ملوك فرنسا الراحلون.

فطغت ابتسامة ساخرة على شفتي أم سعاد لتقول متسائلة: الى باريس؟.. وفي فصل الشتاء؟. أنهرب من ثلوج المزرعة في البقاع يا ناصر لنقع في فخ ثلوج بارس؟ ان فصل الشتاء في فرنسا شديد القسوة، بارد عاصف مثلج. ستكون باريس آخر محطة تنزل فيها قبل عودتنا الى لبنان في مطلع شهر الربيع ان شاء الله.

وأيدت نوال سلمان رأي أم سعاد.

أما سعاد فقد لاذت بالصمت دون أن تبدي رأياً. ما همها اذا كانت في باريس او في نيويورك أو جنيف، أو في دكار أو في الصين أو في الهند؟...

ما دامت بعيدة عن حبيبها نبيل فالنتيجة واحدة.

قال ناصر عبود مازحاً: أرى الحق بجانبك هذه المرة يا أم سعاد،ولم يكن هذا الحق بجانبك يوماً منذ زواجنا حتى الآن.. أرى أن تكون المدينة الاولى التي تزرنها مدينة نيويورك.وفصل الشتاء في نيويورك ليس في قسوة الشتاء في باريس.

وتم الاتفاق على أن تسافر زوجة ناصر عبود وابنته سعاد وصديقتها نوال الى نيويورك حيث يقمن فترة من الزمن ينتقلن بعدها الى سويسرا أو الى باريس أو الى روما أو الى أية مدينة يخترنها.

وبعد اسبوع واحد كانت الطائرة تقلع من مطار بيروت الدولي الى نيويورك حاملة زوجة ناصر عبود، وابنته سعاد وصديقتها نوال سلمان.

وكانت سعاد تذرف الدموع الغزيرة وهي جالسة في مقعدها في الطائرة.

وما ان حلقت تلك الطائرة في الفضاء، حتى انفجرت دموع سعاد عبود.. وأجهشت بالبكاء.

وقد أدركت أنها تركت قلبها في لبنان.

واطمأن صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني وقد ابتعدت ابنته سعاد عن لبنان.

وفي ابتعادها عن لبنان، ابتعاد عن ابن وكيل المزرعة.

وكان ناصر عبود يأمل أن تعود سعاد بعد شهور قليلة، وربما عادت بعد شهر واحداإلى لبنان، وقد تحررت من قيود ذلك الحب المقيت لتتزوج من ابن عمها جهاد.

أما جهاد فلم يعرف الاطمئنان طريقاً الى قلبه.

كان جهاد يأمل ان يتزوج من ابنة عمه سعاد، وأن يتم العرس في العاجل الوشيك ليتمكن من الوصول الى الثروة الطائلة المدرار.

الا ان الرياح تجري بما لا تشتهي السفن.

وقد جرت الرياح بما لا يتمنى جهاد عبود وتشتهي سفنه..

فأقام من دهره على نقمة وغضب وعبوس..

كما اقام على انتظار ممل صفيق انه لينتظر عودة سعاد بنافذ صبر؟..

وكان جهاد عبود يأمل أن تعود سعاد من رحلتها الى لبنان بعد شهر وان يتم زفافها بعد عودتها.

الا ان غياب سعاد طال الى أبعد من شهر.

فبدأ اليأس يتغلب على الامل في صدر جهاد عبود.

لقد بدأ جهاد يشعر بالفراغ يملأ روحه، وصدره، وجيبه أيضاً...

فهو بحاجة ملحة الى المال.والمرتب الذي يتقاضاه من مصرف

الاقتصاد لا يكاد يكفيه للانفاق على عشيقاته، في الملاهي لليلية، وفي نوادي المقامرة.

وكان جهاد عبود قد لجأ الى الاقتصاد في نفقاته آملا أن يتم زفافه من ابنة عمه سعاد في القريب العاجل، فيستولي أولا على بائنتها. ثم يمد يده ثانياً الى مصرف والدها ليغرف من صندوقه المال على قدر ما يشاء.

الا أن حساب حقل جهاد عبود لم ينطبق على حساب بيدره.

وموعد العرس تأجل الى ما بعد عودة سعاد.

ومن يدري ماذا سيحدث بعد عودتها.

فقد يتأجل موعد العرس، الى سنة أو الى سنتين.

وربما تـأجل الى أبعد من سنتين.

فهل يستطيع جهاد عبود الانتظار الى أن يمنَّ عليه القدر بالزفاف من ابنة عمه ساد.

وانصرف الى التفكير ينغمس فيه على حيرة وقلق واضطراب:

ماذا عليه أن يفعل ليعيد سعاد الى لبنان ويستعجل موعد العرس؟

وحاول الاجابة على هذا السؤال فعجز

ليس يدري ماذا عليه أن يفعل.

وطال تفكيره دون جدوى.

فهمس في سره: لقد أصبحت عاجزاً يا جهاد عن رسم الخطط الموفقة المضمونة النجاح. وجميع الخطط التي رسمتها حتى الآن، باءت بالفشل، وقد كنت بالأمس القريب سيد جميع الذين يرسمون

الخطط الناجحة.

وطال تفكيره دون أن يهتدي الى وسيلة تعيد سعاد الى لبنان على جناح السرعة والعجل.

وأخيراً،

وبعد تفكير طويل لاحت له فكرة ابتسم لها

وهمس: يجب ان يموت والد سعاد.

موت والدها وحده يكفي لأعادتها فوراً الى الاراضي اللبنانية.

عندما يموت عمي سأبرق لزوجته معلناً لها النبأ المؤسف الفجيع:

و... وتعازي الحارة يا «تانت» وليعوضنا الله بسلامتك وبسلامة الحبيبة سعاد...

واتسعت الإبتسامة الماكرة على شفتيه.

وهمس: ستهرع أرملة المرحوم ناصر عبود وابنتها سعاد عائدتين الى بيروت لتشييع الفقيد العزيز الى المقر الأخير..

وهكذا تعود سعاد وتودع والدها الوداع الأخير.

ويبقى علي ان اغمرها بالعطف وبالحنان.

وأبدي حيالها الاهتمام الشديد لأحملها على تنفيذ رغبة والدها وهو تحت التراب، بالزواج مني.

واطمأن جهاد عبود كل الاطمئنان للفكرة الموفقة.

الا أن اطمئنانه لم يطل.

فهمس في سره: ولكن.. ولكن كيف سيموت عمي، وهو في صحة تامة؟ فالنوبة القلبية لم تستطع أن تصل به الى القبر، والحكم بالاعدام الذي اصدرته عليه منذ شهور ظل بدون تنفيذ.

وعاد جهاد الى التفكير العميق يستغرق فيه محاولا الوصول الى وسيلة تصل بعمه والد سعاد الى القبر.

ولم يطل به التفكير

فهمس: السم... ليس ثمة غير السم، يقضي على ناصر عبود، وهو الوسيلة الناجحة المضمونة للقضاء عليه.

وانصرف جهاد الى تنفيذ الخطة الجديدة، خطة القضاء على عمه بواسطة السم.

الا انه قبل أن يبدأ بتنفيذ الخطة، ومضت فكرة جديدة في رأسه أهابت به الى صرف النظر عن دس السم لعمه في الطعام.

فقد تذكر جهاد ان عمه هو الطريق الوحيد للوصول الى زواجه من سعاد.

وهو الذي اقترح هذا الزواج.

وهو الذي أصر وما زال يصر عليه.

فاذا مات عمه سيفقد الوسيلة الوحيدة التي تكفل له الزواج من سعاد، ويقطع الطريق بيده للوصول الى سعاد، وللوصول الى الثروة الطائلة الكبرى.

ان سعاد ما زالت حتى الآن ترفض الزواج منه بالرغم من اصرار والدها وعناده.

فماذا ستفعل بعد موت هذا الوالد؟

وأجاب نفسه على السؤال: من المؤكد أن سعاد ستقطع كل علاقة لي بالأسرة.

وربما أمرت بطردي من العمل في المصرف..

ثم .. ثم تتزوج من حبيبها ابن وكيل المزرعة.

وهمس جهاد عبود في سره وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد:

يا.. لك من أبلة ساذج مجنون يا جهاد.. اتفتك بعمك لتمهد الطريق أمام ابنته للزواج من حبيبها نبيل الهادي؟

وعاد الى التفكير مجدداً:

يجب أن يهتدي الى وسيلة تعيد سعاد الى لبنان على جناح السرعة، غير وسيلة الفتك بعمه..

ولكن ما هي تلك الوسيلة؟.

وطال تفكيره دون جدوى

فهو لم يستطع الوصول الى طريقة تعيد اليه سعاد، وتفسح الى اموالها الطريق الى جيبه.

وفيما جهاد عبود يفكر، ويمعن في التفكير دون أن يتوصل الى تلك الوسيلة، هبطت عليه «النعمة» دون أن يبذل اي عناء.

فقد دعاه عمه اليه ذات صباح ليقول له مازحاً: الم تشتق الى سعاد يا جهاد؟

فاجاب جهاد بمكر ودهاء: الشوق اليها يحرق قلبي يا عمي ولكن ماذا استطيع أن أفعل سوى التذرع بالصبر واللجوء الى الانتظار؟

فابتسم ناصر عبود ليقول: اطمئن انت سترى سعاد،

وستطفىء لهيب الشوق المندلع في قلبك يا ابن اخي العزيز.

فلمعت الدهشة في عيني جهاد عبود.

وتساءل: ماذا؟ هل ستعود سعاد قريباً الى لبنان؟؟

قال ناصر عبود: لا.. سعاد لن تعود الى لبنان وقد تطول إقامتها في الغرب ثلاثة أو اربعة اشهر. ولكن...

فقطع جهاد على عمه الكلام ليقول: ولكن ماذا يا عمي؟

قال صاحب مصرف الاقتصاد: ولكن أنت ستسافر الى حيث هي سعاد.

فعاد جهاد عبود الى التساؤل، وكأنه لا يصدق ما يسمع: كيف؟ ومتى؟ ولماذا تريدني أن أسافر يا عمي؟

قال والد سعاد: أتعلم في أي بلد هي سعاد وأمها وصديقتها الآن يا جهاد؟

قال: لا.. ولكن يخيل الي انهن في الولايات المتحدة الاميريكية.

فاتسعت الابتسامة على شفتي ناصر عبود ليقول: لا... لقد اخطأت التقدير. انهن الآن في العاصمة الفرنسية، وهن ينزلن في أكبر فنادق باريس.ومن حسن حظك أنك ستسافر خلال أيام قليلة الى باريس.

فعاد جهاد عبود الى التساؤل: أنا سأسافر الى باريس؟ ولماذا

فهمس والد سعاد: اسمع يا جهاد،، كان من المقرر أن يسافر الى باريس مدير المصرف العام، الا أن وعكة صحية ألمت به كما

تعلم، وهو لن يستطيع السفر قبل شهر على أقل تعديل، ولعل ذلك من حسن حظك.. مصائب قوم عند قوم فوائد، والمصيبة التي حلت بمدير المصرف العام كانت فائدة لك.فقد اتخذ مجلس الادارة أمس قراراً بايفاد أحد كبار الموظفين الى باريس، واقترحت انا ان تكون انت ذلك الموظف الكبير، ستسافر اذن الى باريس على نفقة المصرف، ولن تضطر الى انفاق ليرة واحدة من مرتبك، وستشاهد سعاد وتنعم بالاقامة قربها زهاء اسبوع.

فارتاح جهاد عبود كل الارتياح،وعمه يطلعه على هذا النبأ وهمس في سره: يا لغباوة الانسان ويا لسخافة عقله، فهو يرسم ويخطط.ويأتي القدر لينسف كل ما خطّط ورسم هذا الإنسان لينفذ هو ما رسم وما خطط، ان خطط القدر وحدها هي التي تنفذ.

ولو أحسن جهاد عبود التحديد لقال: ان الله وحده عز وجل هو الذي يرسم. ويخطط وينفذ الحوادث والمفاجآت في حياة الانسان.

وعاد جهاد عبود الى طرح السؤال على عمه: ماذا سأفعل في باريس يا عمي؟ ولماذا قرر مجلس الادارة ان أسافر الى العاصمة الفرنسية؟

قال ناصر عبود: انت الآن أحد مدراء المصرف يا جهاد، ولست مؤهلا لأن تطلع على أعمال المصرف ومغامراته وصفقاته الكبيرة.الا أنني أمل يا ابن اخي أن اصل بك الى مركز المدير العام بعد أن تصبح زوج سعاد.

فغمر الفرح قلب جهاد عبود، وعمه يعلله بالوصول الى

منصب المدير العام بعد أن يتزوج من سعاد،
ولكن؟ متى سيتزوج من سعاد؟
وتابع صاحب مصرف الاقتصاد كلامه
قال: لذلك فانا سأطلعك الآن على سر من أسرار المصرف الخطيرة، ان مصرفنا مثل معظم المصارف اللبنانية يا ابن اخي، لا يعتمد في تحقيق الارباح الطائلة، الضخمة، على الودائع والفوائد.. بل هو يعتمد على الصفقات الكبيرة. وأمامنا اليوم صفقة كبيرة سيحقق مصرفنا من خلالها ارباحاً تقدر بزهاء خمسة ملايين ليرة.

فدهش جهاد عبود: خمسة ملايين ليرة لبنانية في صفقة واحدة؟

اذن.. اذن ماذا؟

اذن سيصبح من كبار الاثرياء يوم يصبح مديراً عاماً للمصرف،

وسيكون من أثرياء العالم العظام يوم يصبح صاحب المصرف.

وأكمل ناصر عبود كلامه ليقول: صفقتنا هذه ستكون مع الدولة اللبنانية، لا تعجب، أجل مع الدولة اللبنانية، أنت تعلم أن احد الوزراء في الحكومة هو من اصدقائي الاوفياء، والوزارة التي يشرف عليها صديقي الوزير بحاجة الى معدات وآلات الكترونية حديثة، لقد تقدم مصرفنا بعرض لتقديم هذه المعدات والآلات للوزارة. ورست المناقصة على مصرفنا بفضل صديقي الوزير، سيتقاضى مصرفنا مبلغ خمسة عشر مليون ليرة ثمن هذه

الآلات والمعدات.

قال جهاد: فهمت الآن..

فتساءل ناصر عبود: ماذا فهمت؟

قال جهاد: أن ثمن هذه الآلات والمعدات هو عشرة ملايين ليرة تتقاضون من الدولة خمسة عشر مليوناً فتدفعون عشرة ملايين ثمن الآلات والمعدات الالكترونية، وتربحون خمسة ملايين.

فابتسم ناصر عبود وتمتم: لم تفهم شيئاً، وستكون بحاجة الى دروس طويلة كي تستطيع أن تتبوأ منصب المدير العام في مصرف الاقتصاد اللبناني.

فهمس جهاد عبود: هل لك أن توضح لي يا عمي كيف ستتم الصفقة وكيف ستحققون ربحاً قدره خمسة ملايين ليرة؟

فأجاب ناصر عبود: ان ثمن هذه المعدات في المصنع الفرنسي هو خمسة ملايين ليرة فقط.

قال جهاد: اذن ستكون أرباح المصرف عشرة ملايين ليرة لا خمسة فقط، ما دمتم ستتقاضون من الدولة خمسة عشر مليوناً.

فاتسعت الإبتسامة على شفتي صاحب مصرف الاقتصاد ليقول: لا... أرباحنا لن تتجاوز الملايين الخمسة، اسمع يا جهاد، ولتكن هذه الصفقة درساً لك تفيد منه يوم تصبح مديراً عاماً للمصرف، نحن سنتقاضى من الوزارة خمسة عشر مليون ليرة لبنانية ندفع منها خمسة ملايين ثمن الآلات والمعدات الالكترونية، ونضع في صندوقنا خمسة ملايين ليرة هي ربحنا من الصفقة. يبقى ثمة خمسة ملايين

مليونان منها لمعالي الوزير ، ومليون لسعادة المدير العام ، ومليونان لرئيس وأعضاء لجنة المناقصات.

وختم ناصر عبود كلامه بقوله: وهكذا يخرج من الخزينة اللبنانية مبلغ خمسة عشر مليون ليرة لبنانية ثمن بضاعة لا تزيد قيمتها عن خمسة ملايين. وبعد أن وقفت على هذا السر يا جهاد هل علمت الآن كيف «تطير» اموال الدولة في لبنان؟ وكيف يدخل الوزراء وكبار الموظفين الى الوزارات فقراء ويخرجون منها أثرياء كباراً؟

وصمت صاحب مصرف الاقتصاد برهة ليقول: المهم الآن، هو انك ستسافر الى باريس، وستشخص فور وصولك الى ادارة المصنع فتسلمها المعاملة وتستلم منها التعهد بتسليم الآلات والمعدات.أما ثمن البضاعة فسنحوله للمصنع الفرنسي بواسطة احد المصارف الفرنسية التي نتعامل معها.. ثم.. ثم.. تشخص الى الفندق وتشاهد سعاد وتستطيع أن تقيم في باريس زهاء أسبوع.

وارتاح جهاد عبود كل الارتياح.

فهو سيسافر الى بايس.

ولن يعود الى لبنان الا ومعه سعاد وأمها وصديقتها.

وكانت ادارة مصرف الاقتصاد اللبناني قد انجزت معاملة سفر جهاد عبود الى فرنسا.

فطار جهاد الى باريس والأمل الباسم الوارف الظلال يغمر قلبه،ويشيع في صدره البهجة والإرتياح.

ووصل الى العاصمة الفرنسية.

ونفّذ اوامر عمه.فشخص تواً الى ادارة المصنع الفرنسي.
وكان مدير المصنع في انتظاره.
فسلمه ما لديه في الحقيبة من أوراق تتعلق بالصفقة.
ثم تسلم منه التعهد بتسليم المعدات والآلات.
وشخص الى الفندق الكبير حيث تنزل سعاد وأمها وصديقتها نوال سلمان.
فاذا بأم سعاد تقيم منه على انتظار.
وعجب جهاد للاستقبال الحار الذي استقبلته به زوجة عمه دون أن تفاجأ بحضوره الى باريس.
الا أن اعجابه زال عندما اعلنت له ام سعاد ان ابا سعاد ابرق اليها من بيروت يعلمها بسفره الى باريس.
فقالت: وها أنا كما ترى أقيم على انتظار وصولك يا ابني.
فتساءل جهاد: وسعاد ؟ أين هي؟
قالت: لقد ذهبت مع صديقتها نوال سلمان لزيارة القصور الفرنسية الاثرية، وهما ستعودان بعد قليل.
وتساءلت أم سعاد: كيف أحوال عمك أبي سعاد يا جهاد؟
فصمت جهاد برهة ليقول بأسف: ان حاله الصحية تدعو إلى القلق يا «تانت» وأرى أن تعودي مع سعاد الى بيروت على جناح السرعة.
لقد بدأ جهاد عبود بتنفيذ الخطة التي رسمها، فور وصوله الى باريس.

فهو يريد ان يوهم أم سعاد أن زوجها في خطر كي يحملها على العودة مع سعاد الى لبنان، آملا أن يقرب موعد العرس.

ودهشت زوجة ناصر عبود، وجهاد يعلن لها ان حال زوجها الصحية تدعو الى القلق.

وتمتمت: لم يطلعني ناصر في رسائله على أنه يشكو ألماً أو داء.

قال: يبدو انه لا يريد أن يثير مخاوفك.

وبدأ القلق يستبد بزوجة ناصر عبود.

وبدأت تفكر بالعودة مع ابنتها وصديقة ابنتها الى بيروت لتكون على مقربة من زوجها المريض «الذي تدعو حاله الصحية الى القلق».

واذا بسعاد وبصديقتها نوال سلمان تطلان.

ووجمت سعاد.

واكفهرت.

وأطل الاستياء من عينيها وهي تشاهد جهاداً يجلس قرب والدتها.

ووثب جهاد يصافحها بحرارة ويصافح نوال سلمان.

وصافحته سعاد بيد باردة دون ان تنبس بكلمة ترحيب.

وجلست لتروي لأمها ما شاهدته في قصر «اللوفر» من آثار رائعة تثير الدهشة والاعجاب.

واذا بزوجة ناصر عبود تنهض قائلة: سأترككم تتحدثون، وسأعود اليكم بعد قليل.

قالت ام سعاد هذا، وسارت الى غرفتها لترفع سماعة الهاتف

وتطلب الاتصال بزوجها في بيروت.

دقائق قليلة ورن جرس الهاتف.

وقال الموظف في الفندق: تفضلي يا سيدتي بالتحدث، فأنت على اتصال الآن ببيروت.

وعبر خط الهاتف سمعت ام سعاد صوت «السكرتيرة» في مصرف الاقتصاد تتساءل: من؟

قالت: أنا مدام عبود يا سميرة، أريد التحدث الى ناصر بك.

وتمتمت السكرتيرة سميرة متسائلة: كيف حالك يا سيدتي؟ وكيف حال الآنسة سعاد؟ انني في اشتياق إليكما.

قالت ام سعاد: اسمعي يا سميرة، أريد منك أن تخبريني كيف صحة ناصر بك.

وردت السكرتيرة: إنه بألف خير يا سيدتي.

- هل هو في المصرف الآن؟

- أجل انه في مكتبه، أتريدين التحدث اليه؟

- أجل.

- تفضلي بالتحدث الى ناصر بك يا سيدتي.

وسمعت أم سعاد صوت زوجها عبر خط الهاتف يتساءل: أم سعاد؟ كيف حالك؟ وكيف حال سعاد؟

وردت: نحن بخير ولكنني أريد أن أعلم كيف حالك أنت، وكيف صحتك؟؟

قال: انا بألف خير.

قالت: لقد اخبرني جهاد ان صحتك تدعو الى القلق يا ناصر، أخبرني كل شيء ما بك؟ وممَّ تشكو؟ اني قلقة عليك.

وسمعت أم سعاد قهقهة زوجها عبر خط الهاتف.

وتمتم: يبدو ان جهاد يريد اثارة مخاوفك لتعودي مع سعاد الى بيروت،لقد استطاع الخبيث ان يثير قلقك، اطمئني يا ام سعاد فأنا بألف خير. ولكن اخبريني كيف حالك أنت وكيف حال سعاد؟

قالت: انا وسعاد وصديقتها بخير يا ناصر، ولكن سعاد...

فهمس بذعر: ما بها سعاد؟

قالت: انها لتبدو ساهمة، حائرة قلقة.. الحزن يستبد بها، وألم العذاب يطل من عينيها. وهي تريد أن تعود الى لبنان في العاجل الوشيك.

قال ناصر عبود: يبدو أنها لم تنسَ ذلك الشاب الماكر الخبيث نبيلا... لا بأس. لا تعودي بها الى لبنان الآن. أريدها ان تنس حبها. ذلك الحب الذي أنزل بنا المصائب والويلات.

قالت: سأعمل برأيك وسننتقل بعد ايام قليلة من باريس الى جنيف.. الى اللقاء يا ناصر.

- الى اللقاء...

وألقت ام سعاد بالسماعة من يدها.

وعادت الى قاعة الاستقبال في الفندق حيث يجلس جهاد وسعاد ونوال، والابتسامة تطفو على شفتيها.

فاذا بجهاد يبادرها بقوله: متى سكون عودتكن الى بيروت يا «تانت»؟ .

واتسعت الابتسامة على شفتي ام سعاد.

وهمست: لن نعود قبل شهو أو شهرين.

- وعمي؟.. وصحته المتدهورة؟

- اطمئن.. عمك بألف خير، وقد تحدثت اليه الآن هاتفياً

ووجم جهاد عبود،

وأدرك أن خطته هذه باءت بالفشل أيضاً.

وأن عليه ان يعود الى بيروت وحده تاركاً سعاد في باريس.

وأقام جهاد عبود في باريس أسبوعاً تأكد خلاله من أن سعاد لا نزال مقيمة على حب نبيل الهادي.

وأنها بعيدة عنه هو بعد الارض عن السماء.

وعندما استقل الطائرة عائداً الى بيروت كان الحقد على نبيل الهادي يتأجج في صدره كلظى الاتون.

وجلس جهاد عبود على مقعد في الطائرة وراح يفكر...

وتذكر ما سمع من الدكتور كرم في دار عمه في المزرعة يوم كان يخاطب سعاد محاولا اقناعها بالسفر الى الغرب...

يومذاك قال الدكتور كرم لسعاد: «حاولي أن تنسي حب نبيل يا سعاد.. سافري الى خارج لبنان في محاولة للنسيان... واذا عدت الى لبنان دون ان تستطيعي التخلص من هذا الحب، فأنا سأضمن لك موافقة والدك على زواجك من نبيل».

واشتد الحقد به، وكلام الدكتور كرم يتردد في خاطره...

نبيل الهادي سيسلبه سعاد وأموال سعاد...

وهمس في سره: لا.. لا.. لا.. وألف لا؟!

وفيما الطائرة تخترق الفضاء في طريقها الى بيروت مضى جهاد عبود في تفكيره العميق الفسيح،

فتذكر ما قاله الدكتور كرم لعمه والد سعاد أيضاً: «اذا لم تستطع سعاد التخلص من حب نبيل الهادي فعليك يا ناصر ان توافق على زواجها من هذا الشاب، وخير لك ان تشاهد ابنتك عروساً لنبيل الهادي من أن تراها جثة هامدة يسيرون بها الى القبر».

وتذكر جهاد ان عمه أبدي موافقته على ما قال الدكتور كرم.

ماذا اذن؟. ماذا؟

ان سعاد لم تتخلص من حب نبيل الهادي،

وقد لاح له منها انها لا تزال على وله وهوى وهيام بذلك الشاب الوضيع،

وستعود الى لبنان لتتزوج من نبيل الهادي.

واشتد الحقد به،

وتحول الحقد في صدره الى غضب شديد

فهمس في سره: نبيل الهادي يجب أن يموت. الموت وحده يبعده عن سعاد..

وعندما حطت الطائرة في مطار بيروت الدولي، كان جهاد عبود قد اصدر حكمه على نبيل الهادي بالاعدام هامساً: لن ينجو مني نبيل الهادي هذه المرة.

وانغمس جهاد عبود في تفكير بارد سحيق عميق.

عليه ان يرسم خطة تكون مضمونة النجاح فلا تتعرض للفشل مثل جميع الخطط السابقة التي رسمها، والتي كان نصيبها الفشل الذريع.

ومضى جهاد عبود في تفكيره البعيد،

وهمس: علي بالاسراع في الفتك بنبيل الهادي.. نبيل يجب ان يموت،وان ينتقل الى العالم الآخر قبل عودة سعاد من رحلتها الاستجمامية. وهي عندما تعود ولا تجد نبيلا ستضطر الى النزول عند رغبة والدها في الزواج مني.

وارتاح للفكرة، فكرة الاسراع في تنفيذ خطة الفتك بنبيل الهادي..

ولكن.. ولكن اين هي هذه الخطة؟

وعاد الى التفكير بخطة ناجحة للفتك بنبيل الهادي.

واستغرق في التفكير العميق: كيف سيفتك به.. واين؟.. ومتى؟..

واهتدى بعد تفكير طويل الي وسيلة تضمن له القضاء على ابن وكيل المزرعة:

وهمس في سره: الديمول... السم الزعاف.

ففي كل بيت من بيوت القرى الجاثمة بين جبال الشمال، وفي سفوحها وعلى قممها، وفي ودیانها،كميات من سم «الديمول» الذي يستعين به المزارعون على ابادة الحشرات التي تهدد مواسم التفاح وتقضي على الاثمار الشهية،

ما عليه اذن الا ان يدفع احد ابناء القرية الى دس كمية من سم « الديمول » في طعام نبيل الهادي ويخلص منه..

ولكن..

وعادت كلمة « ولكن » تتردد في خاطر جهاد عبود..

ولكن من هو ذلك الرجل الذي سينفذ حكم الاعدام بنبيل الهادي ويدس له السم في طعامه او في شرابه؟

من هو..

ومض في خاطر جهاد عبود اسم نصور ابن ام نصور.

نصور...

لا..

لقد جرب في المرة السابقة حظّه مع نصور وعهد اليه باطلاق النار على نبيل الهادي فلم يقم نصور بالمهمة، وكاد يفضحه..

فليبحث اذن عن غير نصور ابن ام نصور.

وعاد الى التفكير..

واهتدى الى بصيص من النور.. وهو يحبك خيوط الجريمة السوداء: سيشتري علبة من الحلوى فيفتحها وينثر على قطع الحلوى كمية من السم، ثم يحكم اقفالها،

ويشخص الى احد ابناء القرية ويطلب اليه ان يسلمها الى نبيل الهادي.

ويقول له: « ان الآنسة سعاد عبود ارسلت لك هذه الهدية من فرنسا ».

وكاد يوافق على هذه الخطة

ولكنه تراجع عن تنفيذها وقد اكتشف ان هذه الخطة ليست مضمونة النجاح..

فمن يضمن له ان نبيلا سيكون أول من يتناول الحلوى؟ الا يجوز ان تتناول امه او يتناول والده قطعة من الحلوى فيموت الاب او تموت الام ويسلم نبيل

ولنفترض ان نبيلا قضى تحت وطأة السم الزعاف فماذا سيحدث؟

سيحضر رجال الامن ورجال العدل والطبيب الشرعي، ويبدأ التحقيق..

ويجري تحليل الحلوى التي تناول منها الشاب الصريع..

ثم يسأل ذلك الرجل الذي حمل علبة الحلوى الى نبيل: « من سلمك علبة الحلوى وطلب اليك ان تحملها الى نبيل الهادي »؟ .

وذعر جهاد عبود وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد،

ومد يده الى عنقه يتحسسه،

وقد خيل اليه ان حبل المشنقة التف حول عنقه.

وهمس: لا.. لا.. وألف لا.. ليس لي ان اعتمد على احد في تنفيذ جريمة قتل نبيل الهادي.ولا ان الجأ الى مساعدة احد.. انا وحدي سأنفذ الخطة المرسومة وافتك بنبيل الهادي.. وما حك جلدك مثل ظفرك.

وعاد الى التفكير مجدداً في رسم خطة جديدة..

وصرف النظر عن وسيلة السم..

سيبحث عن وسيلة أخرى
فالسم ليس الوسيلة الوحيدة للقضاء على حياة البشر..
وهناك مئات الوسائل..
ورأى جهاد ان القتل بواسطة البندقية أضمن وأسلم وأُسرع
و... و «أستر».
ورسم الخطة
وحبك خيوطها بكل دقة وحذر وحذق: سيشخص الى المزرعة ويتسقط اخبار نبيل الهادي، ويراقبه ويتتبع خطواته..
فلا بد لنبيل من ان يشخص الى الاحراج والغابات او الى الكروم،
او الى اي مكان ناءٍ، بعيدٍ عن البيوت الآهلة..
وهناك حيث لا تقع عليه عين، يطلق عليه النار من بندقية صيد، ويعود ادراجه الى بيروت،
ولا من رأى ولا من سمع...
واطمأن بعض الاطمئنان للخطة الموفقة..
وراح يجري بعض التعديلات على الخطة ليبعد اية شبهة عنه
قال في نفسه: بعد ان افتك بنبيل واتأكد من موته سأضع البندقية قرب جثته،فيخيل للجميع ان الحادث وقع قضاء وقدراً: كان نبيل الهادي يتصيد الطيور فزلت به القدم. وانطلقت البندقية فقتل..
واذا استبعد المحققون قصة انطلاق الرصاصة من البندقية وادركوا ان ثمة يداً اطلقت النار من البندقية على نبيل الهادي،

فهم سيجزمون حتماً ان تلك اليد هي يد نبيل الهادي نفسه.وان الحادث هو حادث انتحار،

إذ ليس من المعقول ان يترك القاتل،لو ان هناك قاتلا بندقيته في مكان الجريمة.

وابتسم..

وارتاح كل الارتياح للخطة الموفقة المضمونة النجاح

واسرع جهاد عبود الى مزرعة عمه

وقد عزم على الاسراع في تنفيذ جريمته الرهيبة النكراء هامساً: «لا تؤجل للغد ما تستطيع ان تفعله اليوم يا جهاد».

ووصل جهاد عبود الى دار عمه في المزرعة الواسعة الاطراف

وفتح الباب،

ودخل ليبحث عن بندقية صيد في تلك الدار..

ولم يطل به البحث فثمة في دار عمه مجموعة من اسلحة الصيد، اختار منها بندقية سعاد تلك البندقية التي كانت سعاد تحملها صباح كل يوم وتشخص بها الى الغابة الخضراء، مدعية انها في رحلة صيد، وهي لم تكن في الحقيقة الا في رحلة غرام وهيام...

وحشا البندقية بطلقين

وراح يتسقط اخبار نبيل الهادي من بعض القرويين والقرويات، واخبار والده ووالدته، وبعض العمال.لئلا يحصر اهتمامه باخبار نبيل الهادي وحده..

وعلم جهاد عبود ان ابا نبيل بخير،

وان والدته بصحة جيدة
وان العمال وابناء القرية كلهم على احسن حال ،
وان نبيلا يتمتع بالعافية.وهو يشخص صباح كل يوم الى الغابة الخضراء .
واطمأن جهاد عبود : يبدو إن خطته سائرة في طريق التنفيذ بنجاح .
ونام ليلته في دار عمه في المزرعة ، وهو يحلم بتنفيذ الجريمة
وما ان بزغ الصباح ، حتى نهض من سريره ليرتدي ثيابه على عجل ، ويحمل البندقية ويشخص الى الغابة الخضراء .
وكانت الشمس قد بدأت تظهر من وراء الجبال فاترة الحرارة تحجبها الغيوم حيناً وتفسح لها المجال احياناً ، لسكب ذوبها الذهبي على تلك الجبال الشامخة والوديان السحيقة ،
والهواء يهب بارداً فيغمر اشجار الغابة ويعبث بأغصانها
والطيور تتنقل على تلك الاغصان مغردة
والطبيعة غرقى في كآبة فصل الشتاء البارد المثلج العاصف الكئيب .
ووصل جهاد عبود الى الغابة ،
وتسلل بين الاشجار متوغلا في داخلها ،
وكمن وراء شجرة وارفة الظلال يراقب الطريق الى الغابة منتظراً قدوم نبيل الهادي .
ولم يطل به الانتظار ،
فقد اطل نبيل بعد قليل

وها هو يسير نحو السنديانة العجوز التي كان يجلس تحت ظلالها قرب حبيبته سعاد،

وكان نبيل الهادي هزيل الجسم، اصفر الوجه،كسير الجناح، حتى خيّل لجهاد عبود ان باستطاعته الوثوب اليه والفتك به خنقاً بيديه، دون الاضطرار للجوء الى البندقية..

غير انه خشي ان يتغلب عليه نبيل هذه المرة بالرغم من هزاله كما تغلب عليه في المرة السابقة،

وما دامت البندقية جاهزة فلماذا المغامرة والمخاطرة؟.

وشاهد جهاد عبود نبيلا الهادي يكاد يقترب من السنديانة الدائمة الاخضرار

وما ان اقترب من السنديانة حتى انحنى على التراب يقبله..

انه ليقبل التراب الذي كانت تدوسه حبيبته سعاد

يا للحب العنيف الهائل الجبار العظيم.

ورفع جهاد عبود بندقية الصيد الى كتفه،

وصوبها الى راس نبيل الهادي..

وبكل هدوء شدت اصابعه الزناد...

طلق واحد، وهوى نبيل الهادي الى الارض،وقد اصابه الطلق الناري في الرأس

لقد سقط نبيل الهادي الى الارض فوق التراب الذي كان يقبله منذ لحظات

التراب الذي داسته حبيبته سعاد.

وبالرغم من ان اصابة نبيل الهادي كانت قاتلة

وبالرغم من ان نبيلا لفظ انفاسه فوراً دون ان يهمس بحرف فقد اخذ جهاد عبود يرتجف كأنه ورقة من اوراق الاشجار الصفراء المتساقطة في الخريف، وقد خشي ان يثب نبيلا اليه وينهال عليه بالضرب،

لقد كان جهاد عبود يخاف نبيلاً الهادي وهو ميت.كما كان يخافه وهو حي

الا انه بدأ يستعيد شجاعته رويداً رويداً وهو يشاهد نبيلا جثة هامدة والدم يتدفق من رأسه

واطمأن بعض الاطمئنان: الحمد الله هو لم يحتج الى اطلاق طلقين من البندقية

طلق واحد كان كافياً للقضاء على نبيل

وسيخيل الى المحقق ان نبيلا انتحر..

والمنتحر لا يطلق على رأسه اكثر من طلق واحد.

وبخطوات مضطربة مرتعشة واهية، تقدم جهاد عبود من جثة نبيل الهادي.وألقى بالبندقية قرب الجثة المخضبة بالدم

ثم هرول مسرعاً الى المزرعة ليستقل سيارته الخاصة ويطير بها عائدا الى بيروت.

وبدأت الشمس الصفراء تطل من وراء الجبال فتحجبها غيوم كانون حيناً،وتفسح لنورها الواهي احياناً السبيل الى قمم تلك الجبال..

وبدأ بعض الفلاحين يخرجون من منازلهم للقيام بأعمالهم.وبينهم الراعي الذي يقود قطيعه الى الاحراج، والحطّاب الذي يشخص

الى الغابات ليحتطب.والعامل الذي يغتنم فرصة الصحو ليبني مدماكاً في حائط،او ليغرس غرسة في حقله.

واطل نصور ابن ام نصور على غابة السنديانة حاملا فأسه ليحتطب

واقترب من تلك السنديانة العجوز التي كانت تجلس تحت اغصانها « خطيبته السابقة » سعاد عبود قرب « معلم الصيد » نبيل الهادي

واذا به يرتد على ذعر وقد شاهد نبيلا الهادي جثة هامدة غارقة في الدم.

ووقف نصور امام جثة نبيل الهادي، جاحظ العينين لا يعلم ماذا عليه ان يفعل

وشاهد بندقية الصيد ملقاة قرب جثة نبيل فراح يتفرس بها دون ان يجرؤ على ان يمد اليها يداً

وهمس: هذه هي بندقية سعاد عبود، ولكن اين هي سعاد؟ اتكون قد فتكت بنبيل وهربت؟

واشتد الذعر بنصور،وقد أيقن ان نبيلا ابن ابي نبيل اصبح جثة هامدة.فأطلق ساقيه للريح عائداً الى القرية وهو يولول: « يا اهل الضيعة اركضوا.. سعاد عبود قوصت نبيل الهادي، اركضوا.. يا اهل الضيعة كلكم اركضوا.

وكان صوت نصور ابن أم نصور يلعلع في تلك الانحاء فتعيده الوديان والجبال صدى بعيداً رهيباً مخيفاً:

« يا أهل الضيعة اركضوا.. ».

وركض اهل الضيعة...

واسرعوا الى الغابة يقودهم نصور ابن أم نصور والدموع تتدحرج على وجنتيه وهو يتمتم: «يا ضياع شبابك يا نبيل وقصف الله عمرك يا سعاد».

ووصل أبناء تلك القرية الى الغابة فشاهدوا ما شاهد نصور ابن أم نصور:

«نبيل الهادي جثة هامدة غارقة في الدم.والبندقية قربه

فتهامسوا: «يبدو أن نبيلا أطلق النار على نفسه».

وقال بعضهم: «لا... لم ينتحر نبيل، لم يطلق الرصاص على نفسه،لقد عثر وهو يصطاد الطيور فسقط، وانطلقت بندقيته فصرعته».

الا أن نصوراً كان يصر على أن سعاد عبود «قوّصت» نبيلا وان تلك البندقية هي بندقيتها.

وهمَّ بعض أبناء القرية برفع جثة الشاب الصريع والانتقال بها الى دار والديه.

الا أن مختار القرية هتف بهم: لا تلمسوا الجثة ولا تمدوا الى البندقية يداً قبل وصول رجال الامن.

واتصل المختار برجال الامن يطلعهم على نبأ مصرع نبيل الهادي.

وأقبل رجال الأمن،وقاضي التحقيق والطبيب الشرعي ورجال الادلة الجنائية...

وبدأ التحقيق.

وكان لا بد من الإستماع الى الشاهد الأول الذي اكتشف الجثة.

إلى نصور ابن أم نصور.

' ووقف نصور أمام المحقق والدموع تترقرق في عينيه ليجيب على الاسئلة.

قال: « جئت إلى الغابة لأحتطب، فشاهدت نبيلاً جثة هامدة. وبندقية سعاد عبود قربه، فأسرعت الى أبناء القرية لأطلعهم على الأمر.

وسأله المحقق: كيف عرفت ان البندقية هي بندقية سعاد عبود؟

فمسح نصور دموعه بكفه ليجيب: « محسوبكم » نصور ابن أم نصور يعرف جميع البنادق في القرية.

وراح نصور يصف بنادق ابناء القرية: بندقية ابن المختار فرنسية الصنع، وبندقية عبد الله المير بلجيكية قديمة، وبندقية المرحوم نبيل إلمانية و..

وقطع المحقق عليه الكلام ليسأله: هل تعتقد ان سعاد هي التي اطلقت النار على نبيل الهادي يا نصور؟

وأجاب نصور بجزم: أجل هي. فالبندقية بندقيتها ونبيل الهادي كان يعلمها الصيد و...

- وماذا يا نصور؟

- وكان يغازلها أيضاً. ولذلك فقد فسخت خطوبتي عنها وشطبت اسمها من الدفتر..

– وهل كانت سعاد عبود خطيبتك؟

– أجل.. ولكنني فسخت الخطبة عندما أخبرني ابن عمها جهاد انها على علاقة عاطفية بنبيل الهادي. وقد شاهدتها مع نبيل هنا في هذه الغابة، ودعاني جهاد الى اطلاق النار عليها وعلى جهاد إنتقاماً لشرفي ولكنني لم أفعل.

وبدأت التهمة تحوم حول نصور.

سعاد كانت خطيبته.

وقد اكتشف خيانتها وعلاقتها بنبيل الهادي..

وكاد المحقق يأمر بالقبض على نصور الا أن مختار القرية اقترب من المحقق هامساً في أذنه: إن الشاهد نصوراً شاب ساذج أبله يا سيدي ويخيل إليه أن جميع فتيات القرية خطيباته.

والتفت المحقق الى نصور يسأله: كم خطيبة عندك يا نصور؟

وبكل فخر واعتداد، تمتم نصور: «أوه... كتار يا سيدي كتار كثير كل بنات الضيعة خطيباتي».

وتأكد المحقق من بلاهة نصور.

فصرف النظر عن اتهامه.

إلا أنه أخذ بشهادته في ما يتعلق بالبندقية.

فالبندقية هي فعلا بندقية سعاد عبود.

كما توقف المحقق عند قول نصور أن جهاداً عبود دعاه الى اطلاق النار على نبيل وسعاد.

وسأل المحقق مختار القرية: أين هي سعاد عبود؟ وأين هو ابن عمها جهاد؟

وردّ المختار: الآنسة سعاد هي كريمة ناصر بك عبود، وهي خارج لبنان. لقد سافرت مع والدتها وصديقتها نوال سلهان الى اوروبا منذ زهاء ثلاثة أشهر. أما ابن عمها جهاد فهو في بيروت.

وتدخل نصور ابن أم نصور هاتفاً: بالأمس كان جهاد هنا في القرية يا سيدي.وقد شاهدته.

ودهش المختار وهو يسمع ما يقول نصور.

وازداد دهشة، وقد انبرى بعض ابناء القرية مؤيدين ادعاء نصور.

وأطلق المحقق رجال الأمن في اثر جهاد عبود.فقبضوا عليه.

ولدى التحقيق معه انكر تهمة قتل نبيل الهادي.

إلا أن جميع الأدلة كانت ضده.

فهناك أكثر من خمسة قرويين شاهدوه في القرية قبل اكتشاف الجريمة بيوم واحد.

والبصمات التي رفعها رجال الادلة الجنائية عن البندقية تنطبق كل الانطباق على بصمات جهاد...

واعترف جهاد عبود بقتل نبيل الهادي، وقد جابهه المحقق بالأدلة التي تثبت جريمته.

ولكنه ادعى انه قتل نبيل الهادي دفاعاً عن شرف الاسرة التي وصمها نبيل بالعار.

وشيعت القرية الهادئة الوادعة الرابضة في سفح جبل شامخ من جبال الشمال فتاها الصريع نبيلا،بالدموع الحمراء.

وكان منظر والد نبيل ووالدته وهما يبكيان وحيدهما ويرثيانه يفتت الأكباد.

وحمل أبناء القرية نعش نبيل يسيرون به الى المقر الأخير تحت وابل من الثلوج البيضاء.

فكأن الطبيعة أرادت أن تغمر نبيلا بوشاح ناصع البياض وهو في طريقه الى العالم الآخر.

ونشرت الصحف اللبنانية تفاصيل الجريمة النكراء

ولم تغفل تلك الصحف عن سرد اسباب الجريمة: «ابنة ناصر عبود، صاحب مصرف الاقتصاد اللبناني، تدلهت في حب ابن وكيل مزرعة أبيها مما أهاب بخطيبها، وهو ابن عمها، جهاد، الى الانتقام من ابن وكيل المزرعة فاطلق عليه النار وصرعه..»

وأقام صاحب مصرف الاقتصاد، ناصر عبود، على ذل وألم وانكسار.

لا سيما والقضاء اللبناني قضى بإعدام ابن أخيه جهاد. ثم خفض الحكم الى السجن المؤبد.

لقد حاول ناصر عبود اتقاء الفضيحة، فضيحة تورّط ابنته سعاد في حب نبيل الهادي، الا أن الفضيحة لحقت به لتصمه في الجبين، وتلطخ بياض أيامه الناصع بقاتم السواد.

- ٢ -

عادت سعاد عبود، مع والدتها، وصديقتها الوفية نوال سلمان، من رحلتها بعد أشهر قليلة الى لبنان لتفاجأ بالخبر القاصم، الهادم، المدمر المخيف: «ابن عمها جهاد فتك بنبيل الهادي، فذهب الى السجن، وارسل نبيلا الى القبر...»

الى القبر؟..

نبيل وصل الى القبر؟..

مات؟...

رحل عن هذا العالم الفاني؟..

ألن تشاهد حبيبها نبيلا بعد اليوم؟.

وذعرت سعاد عبود.

وانطلقت في سيارتها الخاصة، تقودها بنفسها الى القرية الباسمة التي كانت قد بدأت تنفض عنها عبوس فصل الشتاء واكفهراره لترتدي حلة الربيع الخضراء.

ولحقت نوال سلمان بصديقتها الحبيبة سعاد الى القرية. وقد خشيت أن يدفع الحزن الشديد بسعاد الى ارتكاب حماقة تزيد في تخديش سمعتها، وفي إذلال والدها المريض.

ووصلت سعاد الى القرية.

واتجهت الى غابة السنديان.

الى تلك الغابة التي، شهدت خلواتها بنبيل، والتي سمعت همساتها، ووشوشاتها، وهي تولول وتنادي: نبيل!... يا نبيل!..

وكانت الجبال والوديان والتلال والوهاد تعيد صوت سعاد عبود ونداءها وولولتها صدى ألحان مرعبة. وأهازيج مخيفة سوداء..

لم يكن ثمة من يجيب سعاد عبود سوى الصدى البعيد المرعب المخيف.

وجثت سعاد تحت أغصان السنديانة الوارفة الظلال، حيث كانت تجلس قرب حبيبها نبيل مولولة: يا نبيل!..

ووصلت بعد قليل صديقتها نوال سلمان.

وأمسكت بيدها هامسة: سعاد!.. كوني عاقلة يا أختي.

وهمست سعاد والدموع الحمراء تنسكب غزيرة على وجنتيها النديتين: نوال!.. لقد رحل نبيل وتركني وحيدة على هذه الارض، كان نبيل ينوي السفر الى المهجر يا نوال.. إلاّ انني حلت بينه وبين السفر، واحتفظت بجواز سفره، ولكن نبيلا سافر إلى أبعد من المهجر القاصي البعيد، سافر الى هناك الى ما وراء الأفق البعيد دون جواز سفر... جواز سفره ما زال معي يا نوال.

ونظرت سعاد إلى الأفق هامسة من خلال دموعها الغزيرة: لقد ظلمتني يا قلبي.. ... ظلمتني يا قلبي.. لماذا اخترت نبيلاً حبيباً

لك يا قلبي؟ لماذا لم تختر غير نبيل الهادي ايها القلب الظالم القاسي؟

وأمسكت نوال بيد صديقتها الملتاعة الباكية قائلة: هوّني الأمر عليك يا سعاد.. لا تستسلمي لليأس يا أختي.

ومضت سعاد في النظر الى الأفق البعيد متسائلة: لماذا لا نستطيع ان نختار أحبابنا على هذه الأرض؟ لماذا لا نستطيع ان نختار أباءنا وأمهاتنا؟.. لماذا لا نستطيع أن نختار حظنا في هذه الحياة؟ نحن نأتي الى هذه الارض مغمضي العيون، ونرحل عنها، وعيوننا مغمضة. لا نعلم من أين أتينا ولا الى أين نذهب... ما أعظم قدرتك وحكمتك وقوتك الهائلة الرهيبة المجهولة يا الله فليتبارك اسمك العظيم يا الهي.

وعادت نوال سلمان تمسك بيد سعاد متمتمة: تعالي يا سعاد تعالي نعد إلى بيروت تعالي يا أختي، تعالي.

إلا أن سعاد أفلتت من يد نوال.

وانطلقت تعدو فوق الصخور والأشواك منادية: يا نبيل!.. يا نبيل!.. يا نبيل!..

واتجهت الى القرية، ونوال تلحق بها.

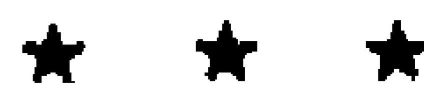
وشخصت الى مقابر القرية باحثة عن قبر حبيبها نبيل الهادي بين تلك القبور.

واهتدت الى قبر الحبيب.

هذا هو قبره يجثم تحت شجرة سرو عالية دائمة الاخضرار.

فجثت فوق ذلك القبر تمرغ وجهها في ترابه الندي مولولة، منتحبة، باكية.

وهمست سعاد تخاطب حبيبها، الهاجع في غفوته الابدية في ذلك القبر: نبيل!.. لماذا تركتني وحدي هنا يا حبيبي؟ لماذا لم تأخذني معك في الرحلة الطويلة البعيدة؟.. اتذكر ماذا قلت لي، يوم جلسنا تحت ظلال السنديانة الخضراء؟.. أتذكر؟.. يومذاك، قلت لي: «اطمئني يا سعاد، فأنا لن ابتعد عنك، لن أسافر وحدي. اذا كان لا بد من السفر فنحن سنسافر معا. ذلك لأنني أحبك يا سعاد، ولا استطيع أن أبتعد عنك يا حبيبتي» هكذا قلت لي يا نبيل يومذاك.. فكيف سافرت وحدك يا حبيبي؟ ألا تحب سعاد؟..



مضت الايام سريعة عاجلة.

وانقضى عام على تلك الجريمة الرهيبة، رحل خلاله أربعة أحياء عن هذا العالم الفاني:

والد سعاد، وقد قضت عليه النوبة القلبية الثالثة، بعد أن هدت كارثة الفضيحة قواه.

ووالدتها: وقد لحقت بزوجها بعد شهر واحد الى العالم الاخر.

ووالد نبيل الهادي. الذي عجز عن احتمال مصيبة الفاجعة النازلة به.

ووالدة نبيل. التي لم تستطع احتمال فقد وحيدها الصريع فلحقت به.

لقد استطاع جهاد عبود اخيرا أن ينفذ خطته المرسومة فقتل نبيلا، وعمه ناصرا وزوجته، كما قتل أيضا والدي نبيل.

ولكنه خسر حريته.

وخسر سعاد، وثروة سعاد التي كان يحلم بها.

الطلق الناري الذي صوبه جهاد عبود الى رأس نبيل في الغابة الخضراء لم يقتل نبيلا وحده.

بل هو قتل اربعة مع نبيل، والد سعاد، ووالدتها ووالد نبيل ووالدته. انه ((طلق)) الحقد، والبغض والجشع والطمع والشر، الذي يستطيع ان يصرع ألوف البشر وأن يدمّر العالم.

وأصبحت سعاد عبود وحدها في هذه الحياة، تجابه العاصفة العاتية الهوجاء، بصمت وألم وعذاب.

وارتدت سعاد عبود الثياب القاتمة السوداء.

وانصرفت الى الاهتمام بادارة مصرف والدها. وقد اصبحت صاحبة ذاك المصرف.

وتقدم الى طلب يدها الكثيرون، بينهم نواب، ووزراء، ورجال مال واعمال.

فهي عروس نادرة تغري الطامعين بالزواج.

انها صبية حسناء، مثقفة واسعة الثراء..

إلا أن سعاد كانت ترفض الزواج وترد طالبي يدها على خيبة أمل.

وكانت سعاد دائمة التجهم والعبوس.

تقضي فصل الشتاء في قصرها في بيروت، حتى إذا أطل الربيع تنتقل الى مزرعتها في اعالي جبال الشمال، لتزور كل يوم قبر حبيبها نبيل.

ثم تشخص الى غابة السنديان لتجلس تحت تلك السنديانة العجوز، تنظر الى الافق البعيد من خلال الاغصان الخضراء وتبكي.

ويقيم على خدمة سعاد عبود اثنان: أم سعيد، الخادمة المخلصة الوفية.

ونصور ابن أم نصور الذي ابى أن يبتعد عن سعاد، وهو يشاهدها في حزنها وألمها ودموعها..

وكان نصور يتفانى في خدمة سعاد، وقد عزم على ان يقف حياته لخدمتها كافرا بالحب والزواج، وبخطيباته بنات القرية...

وعند كل مساء، تجلس سعاد عبود على شرفة دارها لتدير الة التسجيل وتستمع الى اغنية تحرص كل الحرص على الاحتفاظ بها..

انها اغنية الرحبانيين التي تنشدها فيروز. «راجعة»..

وتستمع سعاد الى الاغنية، والدموع تموج في عينيها:

«قالوا ابعدي بتنسيه وبتنسي هواه
وبتستريحي من عذابو ومن شقاه»

الى أن تقول فيروز في اغنيتها الشجية:

«وبعدت عامطرح هني كلو أمان.

وقلت بدي شيل من قلبي الحنان
وارجع مثل ما كنت غني من زمان
لا عاشقة ولا أسهر واركض وراه »
وتنفجر باكية وهي تستمع صوت المطربة فيروز منشداً:
«لا القلب ناسي ولا الدموع مكفكفي
ولا الشوق خف ولا بتهدا العاطفي.
والعمر ناقص هون. شو؟.. مش عارفي
وسمعت صوت بعيد، وعرفتو نداه..

وتمتزج دموعها باهاتها ولوعتها، وقد أشرفت فيروز على نهاية اغنيتها:

« ولك راجعة وحياة عينو راجعة
راجعة اوقف عابابو خاشعة
استغفرو عن غيبتي واطلب رضاه.. »

وتتدحرج الدموع غزيرة على وجنتي سعاد عبود.

وتنظر الى الافق البعيد البعيد من خلال دموعها هامسة: نبيل!... يا حبيبي!.. متى ستأخذني اليك يا نبيل يا حياة سعاد.

تمت

مؤلفات الاستاذ بيار روفايل
القصص العاطفية

الأرض العذراء
الأمل الصريع
انا خاطئة
بين نارين
حسناء بغداد
خبز ودمع
خذ قلبي ودعني
دموع الأرز ١/٢
دموع العذارى
دموع لا تجف
زنبقة في الوحول

سرّ الراهبة
صرخة الاستقلال
صقر الصحراء
ضاع عمري
طريق الدموع
ظلمتني يا قلب
غادة دمشق
في مهبّ الرياح
لا تلمني
لن يعود
ماذا فعلت بقلبي

معقل النسور ١/٢
ملائكة في الجحيم
من اجل عينيك

نار في الجنوب
هل تذكرين
وحدي مع الليل.

تطلب من دار الجيل